الشفا

١٧٨١
عمومي
٢٤٢ خصوصي
حديث

اخبرنا الشيخ الفقيه ابو الفدا اسماعيل بن ابراهيم بن عبد الله مرينش سمعت الشيخ الفقيه محمد بن ادريس
يحيى بن زكريا بن يحيى بن مهدي القصار يقول سمعت شيخنا الامام العالم الحسيب الاكمل الاصيل العزيز
ابا الحسن محمد بن احمد بن علي الكناني يقول سمعت الفقيه ابا الفضل عياض بن القاضي ابي عبد الله محمد بن القاضي
الامام ابي الفضل عياض اليحصبي يقول سمعت ابي القاضي ابا عبد الله محمدا يقول سمعت ابي ابا محمد او كان من اهل
الفضل والخير وكان يدعى بمحمد الفاضل يقول راى عمي القاضي الامام ابا الفضل عياض بن موسى بن عياض في النوم
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما جالسان على سرير من ذهب وكانت تعتريني دهشة في السلام على رسول الله
صلى الله عليه وسلم تعجبا مما رايت من جلوس عمي معه على السرير وكان عمي يفهم عني نظر التعجب فقال يا محمد اشدد
يديك على كتاب الشفا فتمسك به فكانه اشعرني بانه احلني هذه المنزلة الشريفة والرتبة الرفيعة انتهى

كذا وجدته معلقا بحاشية الزمور بخط قديم

او قف

وقف سنتابي — سنتالي

ني خصه في الجاه وغيرالصادق ويتمام شفاعته وختامته بواره بقوله سننبيه على الحكيم
فكانت نصرة الله له انصر من نصره نفسه وردة تعالى على عدوه ابلغ من رده وانبت
في ديوان مجده صلى الله عليه وسلم الفصل السابع فيما ورد من قوله تعالى في جهته صلى الله
عليه وسلم مورد الشفقة والاكرام قال الله تعالى طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى قيل
طه اسم من اسمائه عليه السلام وقيل هو اسم لله وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان
وقيل هي حروف مقطعة لمعان قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي وقيل هو امر من
الوطء والهاء كناية عن الارض اي اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد
على قدم واحدة وهو قوله تعالى ما انزلنا عليك القرآن لتشقى نزلت الاية فيما كان
النبي صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل حدثنا القاضي ابو عبد الله
محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي ابي الوليد الباجي اجازة ومن اصله نقلت قال ثنا
ابو ذر الحافظ قال حدثنا ابو محمد الحموي ثنا ابراهيم بن خزيم الشاشي قال ثنا عبد بن حميد
ثنا هاشم بن القاسم عن ابي جعفر عن الربيع بن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى
قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعني طإ الارض يا محمد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى
ولا خفاء بما في هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة وان جعلنا طه من اسمائه عليه السلام
كما قيل او جعلت قسما لحق الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة قوله تعالى
فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث اسفا اي قاتل نفسك لذلك
غضبا او غيظا او جزعا ومثله قوله ايضا لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين ثم قال
ان نشا ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب قوله تعالى
فاصدع بما تومر واعرض عن المشركين الى قوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون الى
آخر السورة وقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك قال مكي سلاه الله تعالى بما ذكر
وهون عليه ما يلقى من المشركين واعلمه ان من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل

كتاب الشفا للقاضي عياض به خروم ... كما انه كثير ... الحبيب

هذه التسلية قوله تعالى وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذا قوله تعالى
كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون عزاه الله تعالى بما أخبر
به عن الأمم السالفة ومقالها لأنبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن محنته بمثله
من كفار مكة وأنه ليس أول من لقي ذلك ثم طيب نفسه وأبان عذره بقوله
تعالى فتول عنهم أي أعرض عنهم فما أنت بملوم أي في أداء ما بلغت وإبلاغ ما حملت ومثله
قوله تعالى واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا أي اصبر على أذاهم فإنك بحيث نراك ونحفظك
سلاه الله بهذا في آي كثيرة من هذا المعنى **القسم السابع فيما أخبر الله به**
في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الأنبياء وحظوة رتبته عليهم
عليهم السلام قوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب
وحكمة إلى قوله من الشاهدين قال أبو الحسن القابسي استخص الله تعالى محمدا صلى الله
عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره أبانه به وهو ما ذكره في هذه الآية قال المفسرون أخذ الله
الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا إلا ذكر له محمدا صلى الله عليه وسلم ونعته وأخذ عليه ميثاقه
إن أدركه ليؤمنن به وقيل أن يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم وقوله
ثم جاءكم الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم قال علي بن أبي طالب
رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده إلا أخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم
لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدي وقتادة
في آي تضمنت فضله من غير وجه واحد قال الله تعالى وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح الآية وقال إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح إلى قوله وكيلا روي عن
عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال بأبي أنت
وأمي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك في أولهم فقال
وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح الآية بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد بلغ

من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون يا ليتنا
أطعنا الله وأطعنا الرسولا قال قتادة إن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت أول الأنبياء في
الخلق وآخرهم في البعث فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره قال السمرقندي في هذا
تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم المعنى أخذ الله عليهم
الميثاق إذ أخرجهم من ظهر آدم كالذر وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الآية
قال أهل التفسير أراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه بعث إلى الأحمر
والأسود وأحلت له الغنائم وظهرت على يديه المعجزات وليس أحد من الأنبياء أعطي
فضيلة أو كرامة إلا وقد أعطي محمد صلى الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله أن الله
تعالى خاطب الأنبياء بأسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه فقال يا أيها النبي
ويا أيها الرسول وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وإن من شيعته لإبراهيم أن الهاء عائدة
على محمد صلى الله عليه وسلم أي إن من شيعة محمد لإبراهيم أي على دينه ومنهاجه وأجازه الفراء وحكاه
عنه مكي وقيل المراد نوح عليه السلام **القسم الثامن في إعلام الله تعالى خلقه بصلاته**
عليه وولايته له ورفعه العذاب بسببه قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم
أي ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وبقي من بقي فيها من
المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل قوله لو تزيلوا الآية
وقوله ولولا رجال مؤمنون الآية فلما هاجر المؤمنون نزلت وما لهم ألا يعذبهم الله
وهذا من أبين ما يظهر مكانته صلى الله عليه وسلم ودرئه العذاب عن أهل مكة بسبب كونه
ثم كون أصحابه بعده بين أظهرهم فلما خلت مكة منهم عذبهم الله بتسليط المؤمنين
عليهم وغلبتهم إياهم وحكم فيهم سيوفهم وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم وفي الآية
أيضا تأويل آخر حدثنا القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله بقراءتي عليه ثنا أبو الفضل
ابن خيرون وأبو الحسين الصيرفي قالا ثنا أبو يعلى بن زوج الحرة ثنا أبو علي السنجي ثنا محمد بن أحمد بن

محبوب المروزي ثنا أبو عيسى الحافظ ثنا سفيان بن وكيع ثنا ابن نمير عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل الله تعالى علي أمانين لأمتي وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فإذا مضيت تركت فيكم الاستغفار ونحو منه قوله تعالى وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قال عليه السلام أنا أمان لأصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن وقال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الأمان الأعظم ما عاش وما دامت سنته باقية فهو باق فإذا أميتت سنته فانتظر البلاء والفتن وقال الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي الآية أبان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلاته عليه ثم بصلاة ملائكته وأمر عباده بالصلاة والتسليم عليه وقد حكى أبو بكر بن فورك أن بعض العلماء تأول قوله عليه السلام وجعلت قرة عيني في الصلاة على هذا أي في صلاة الله علي وملائكته وأمره الأمة بذلك إلى يوم القيامة والصلاة من الملائكة استغفار ومنا له دعاء ومن الله تعالى رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة والبركة وسنذكر حكم الصلاة عليه وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص أن الكاف من كاف أي كفاية الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى أليس الله بكاف عبده والهاء هدايته له قال ويهديك صراطا مستقيما والياء تأييده له قال وأيدك بنصره والعين عصمته له قال والله يعصمك من الناس والصاد صلاته عليه قال إن الله وملائكته يصلون على النبي وقال تعالى وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه الآية مولاه أي وليه وصالح المؤمنين قيل الأنبياء وقيل الملائكة وقيل أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وقيل علي كرم الله وجهه وقيل المؤمنون على ظاهره

الفصل التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى إنا فتحنا لك فتحا مبينا إلى قوله يد الله فوق أيديهم تضمنت هذه الآيات من فضله

والثناء

والثناء عليه وكريم منزلته عند الله ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء إليه فابتدأ جل جلاله بإعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وأنه مغفور له غير مؤاخذ بما كان وما يكون قال بعضهم أراد غفران ما وقع وما لم يقع أي أنك مغفور لك وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا إله غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك قيل بخضوع من تكبر لك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل برفع ذكرك في الدنيا وينصرك ويغفر لك فأعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له وفتح أهم البلاد عليه وأحبها له ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته على أمته المؤمنين بالسكينة والطمأنينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا والآخرة ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا فعد محاسنه وخصائصه صلى الله عليه وسلم من شهادته على أمته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لأمته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات ليؤمن بالله ثم به من سبقت له من الله الحسنى وتعزروه أي تجلوه وقيل تنصروه وقيل تبالغوا في تعظيمه وتوقروه أي تعظموه وقرأ بعضهم تعززوه بزاءين من العز والأكثر والأظهر أن هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال وتسبحوه فهذا راجع إلى الله تعالى قال ابن عطاء جمع للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة من الفتح المبين وهو من أعلام الإجابة والمغفرة وهي من أعلام المحبة وتمام النعمة وهي من أعلام الاختصاص والهداية وهي من أعلام الولاية فالمغفرة تبرئة من العيوب وتمام النعمة إبلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهي الدعوة إلى المشاهدة وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه أن جعله حبيبه وأقسم بحياته ونسخ به شرائع غيره وعرج به إلى المحل الأعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ

البصر وما طغى وبعثه الى الاحمر والاسود واحل له ولامته الغنائم وجعله شفيعا مشفعا
وسيد ولد ادم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركني التوحيد ثم قال ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان اي انما يبايعون الله ببيعتهم اياك يد الله
فوق ايديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده وهذه
استعارة وتجنيس في الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم اياه وعظم شان المبايع صلى الله
عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله
رمى وان كان الاول في باب المجاز وهذا في باب الحقيقة لان القاتل والرامي بالحقيقة هو الله
جل جلاله وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه ولانه ليس في قدرة البشر توصيل
تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملا عينيه وكذلك قتل الملائكة
لهم حقيقة وقد قيل في هذه الاية الاخرى انها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته
اي ما قتلتموهم وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى
قلوبهم بالجزع اي ان منفعة الرمي كانت من فعل الله فهو القاتل والرامي بالمعنى وانت بالاسم

الفصل العاشر فيما اظهره الله تعالى في كتابه العزيز من كرامته عليه صلى الله عليه وسلم ومكانته عنده

وما خصه به من ذلك سوى ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه تعالى من قصة الاسراء
في سورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته ما شاهده
من العجائب ومن ذلك عصمته من الناس بقوله تعالى والله يعصمك من الناس وقوله واذ يمكر
بك الذين كفروا الاية وقوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله به عنه في هذه
القصة من اذاهم بعد تحزبهم لهلكه وخلوصهم نجيا في امره والاخذ على ابصارهم عند
خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر في ذلك من الايات ونزول السكينة عليه
وقصة سراقة بن مالك حسبما ذكره اهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة
ومنه قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر اعلمه الله تعالى

بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات
الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم اجاب عنه عدوه ورد عليه قوله فقال ان شانئك
هو الابتر اي عدوك ومبغضك والابتر الذليل الحقير او المفرد الوحيد او الذي لا خير فيه
وقال تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم قيل السبع المثاني السور الطوال
الاول والقران العظيم ام القران وقيل السبع المثاني ام القران والقران العظيم سائره وقيل
السبع المثاني ما في القران من امر ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل واعداد نعم واتيناك
نبا القران العظيم وقيل سميت ام القران مثاني لانها تثنى في كل ركعة وقيل بل الله استثناها
لمحمد صلى الله عليه وسلم وذخرها له دون الانبياء وسمى القران مثاني لان القصص تثنى فيه
وقيل السبع المثاني اكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة والولاية
والتعظيم والسكينة وقال تعالى وانزلنا اليك الذكر الاية وقال عز وجل وما ارسلناك الا
كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال سبحانه قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الاية
قال الفقيه القاضي ابو الفضل رحمه الله فهذه من خصائصه وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال عليه
السلام بعثت الى الاحمر والاسود وقال النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم
قال اهل التفسير اولى بالمؤمنين من انفسهم اي ما انفذه فيهم من امر فهو ماض عليهم كما
يمضي حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى من اتباع راي النفس وازواجه
امهاتهم اي هن في الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية
ولانهن له ازواج في الاخرة وقد قرئ وهو اب لهم ولا يقرا به الان لمخالفته المصحف وقال الله
تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية قيل فضله العظيم بالنبوة وقيل
بما سبق له في الازل واشار الواسطي الى انها اشارة الى احتمال الرؤية التي لم يحتملها موسى
صلى الله عليهما وسلم تسليما الباب الثاني في تكميل الله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه

جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا. اعلم أيها المحب لهذا النبي الكريم الباحث عن تفاصيل
جمل قدره العظيم أن خصال الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة
الحياة الدنيا ومكتسب ديني وهو ما يحمد فاعله ويقرب إلى الله زلفى ثم هي أيضا على فنين
منها ما يتخلص لأحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل فأما الضروري المحض فما ليس للمرء فيه
اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة
فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه وأعضائه واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه
وكرم أرضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته إليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه
ومنكحه وماله وجاهه وقد تلحق هذه الخصال الآخرة بالأخروية إذا قصد بها
التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة
وأما المكتسبة الأخروية فسائر الأخلاق العلية والآداب الشرعية من الدين والعلم والحلم
والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود والشجاعة والحياء
والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الأدب والمعاشرة وأخواتها وهي
التي جماعها حسن الخلق وقد يكون من هذه الأخلاق ما هو في الغريزة وأصل الجبلة لبعض
الناس وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها في أصل
الجبلة شعبة كما سنبينه إن شاء الله وتكون هذه الأخلاق دنيوية إذا لم يرد بها
وجه الله والدار الآخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق أصحاب العقول السليمة
وإن اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها فصل قال الفقيه القاضي رحمه الله إذا كانت
خصال الجلال والكمال ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يتشرف بواحدة منها أو اثنتين إن اتفقت
له في كل عصر إما من نسب أو جمال أو قوة أو علم أو حلم أو شجاعة أو سماحة حتى يعظم
قدره ويضرب باسمه الأمثال ويتقرر له بالوصف بذلك في القلوب أثرة وعظمة وهو
منذ عصور خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلى ما لا يأخذه

عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص الكبير المتعال من فضيلة
النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والإسراء والرؤية والقرب والدنو والوحي
والشفاعة والوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج
والبعث إلى الأحمر والأسود والصلاة بالأنبياء والشهادة بين الأنبياء والأمم وسيادة
ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم والأمانة
والهداية ورحمة للعالمين وإعطاء الرضا والسؤل والكوثر وسماع القول وإتمام النعمة
والعفو عما تقدم وتأخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة
والتأييد بالملائكة وإيتاء الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم وتزكية
الأمة والدعاء إلى الله وصلاة الله والملائكة والحكم بين الناس بما أراه الله ووضع
الإصر والأغلال عنهم والقسم باسمه وإجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم وإحياء
الموتى وإسماع الصم ونبع الماء من بين أصابعه وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس
وقلب الأعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصى
وإبراء الآلام والعصمة من الناس إلى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه إلا مانحه ذلك
ومفضله به لا إله غيره إلى ما أعد له في الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس
ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول ويحار دون إدراكها الوهم
فصل إن قلت أكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة أنه صلى الله عليه وسلم أعلى الناس
قدرا وأعظمهم محلا وأكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل خصال الكمال
مذهبا جميلا شوقني إلى أن أقف عليها من أوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلا فاعلم
نور الله قلبي وقلبك وضاعف في هذا النبي الكريم حبي وحبك أنك إذا نظرت إلى
خصال الكمال التي هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته حائزا لجميعها محيطا
بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الأخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع

أما الصورة وجمالها وتناسب أعضائه في حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة والمشهورة
الكثيرة بذلك من حديث علي وأنس بن مالك وأبي هريرة والبراء بن عازب وعائشة أم المؤمنين
وابن أبي هالة وأبي جحيفة وجابر بن سمرة وأم معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب وأبي
الطفيل والعداء بن خالد وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم رضي الله عنهم من أنه
صلى الله عليه وسلم كان أزهر اللون أدعج أنجل أشكل أهدب الأشفار أبلج أزج أقنى
أفلج مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء البطن والصدر واسع الصدر
عظيم المنكبين ضخم العظام عبل العضدين والذراعين والأسافل رحب الكفين والقدمين
سائل الأطراف أنور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا القصير المتردد
ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر إذا
افتر ضاحكا افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام إذا تكلم رئي كالنور يخرج من
ثناياه أحسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن ضرب اللحم قال البراء
ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو هريرة
ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه وإذا
ضحك يتلألأ في الجدر وقال جابر بن سمرة رضي الله عنه وقال له رجل كان وجهه صلى الله
عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت أم معبد رضي الله عنها
في بعض ما وصفته به أجمل الناس من بعيد وأحلاه وأحسنه من قريب وفي حديث ابن
أبي هالة رضي الله عنه يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي رضي الله عنه
في آخر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر
قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم والأحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة
فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة ما فيه الكفاية في
القصد إلى المطلوب إن شاء الله تعالى وقد ختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه

هناك

قف على حسنه صلى الله عليه وسلم

هناك إن شاء الله تعالى فصل وأما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الأقذار
وعورات الجسد فكان قد خصه الله في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع
وخصال الفطرة العشر وقال بني الإسلام على النظافة حدثنا أبو بحر سفيان بن العاص وغير واحد
قالوا ثنا أحمد بن عمر ثنا أبو العباس الرازي ثنا أبو أحمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا قتيبة
ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال ما شممت عنبرا قط ولا مسكا ولا شيئا
أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة أنه صلى الله عليه وسلم مسح خده
قال فوجدت ليده بردا وريحا كأنما أخرجها من جؤنة عطار قال غيره مسها بطيب أو لم يمسها
يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان
بريحها ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار أنس فعرق فجاءت أمه رضي الله عنها بقارورة
تجمع فيها عرقه فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو من
أطيب الطيب وذكر البخاري رحمه الله في تاريخه الكبير عن جابر رضي الله عنه لم يكن النبي صلى الله
عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه من طيبه صلى الله عليه وسلم وذكر إسحاق
ابن راهويه أن تلك كانت رائحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم وروى المزني عن جابر رحمه الله أردفني
النبي صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان ينم علي مسكا وقد حكى
بعض المعتنين بأخباره وشمائله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أراد أن يتغوط انشقت الأرض
فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى الله عليه وسلم وأسند محمد بن سعد
كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم إنك تأتي
الخلاء فلا نرى منك شيئا من الأذى فقال يا عائشة أو ما علمت أن الأرض تبتلع ما يخرج من الأنبياء
فلا يرى منه شيء وهذا الخبر وإن لم يكن مشهورا فقد قال قوم من أهل العلم بطهارة الحدثين
منه صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض أصحاب الشافعي رحمه الله حكاه الإمام أبو نصر بن الصباغ
في شامله وقد حكى القولين عن العلماء في ذلك أبو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع

المالكية وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تعاريج الشافعية وشاهد هذا انه صلى الله
عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب ومنه حديث علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله
عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا قال وسطعت
منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط ومثله قال ابو بكر رضي الله عنه حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم
بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان دمه يوم احد ومصه اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم
ذلك له وقوله لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال عليه السلام
ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكر عليه وقد روي عنه عليه السلام نحو من هذا
في امراة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك ابدا ولم يامر واحدا منهم بغسل فم
ولا نهاه عن عوده وحديث هذه المراة التي شربت بوله صحيح الزم الدارقطني مسلما والبخاري
اخراجه في الصحيح واسم هذه المراة بركة واختلف في نسبها فقيل هي ام ايمن وكانت
تخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان
يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا فسال بركة
عنه فقالت يا رسول الله قمت وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم روى حديثها ابن جريج وغيره
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات قد ولد مختونا مقطوع السرة وروي عن امه
آمنة انها قالت ولدته نظيفا ما به قذر وعن عائشة رضي الله عنها ما رايت فرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم قط وعن علي رضي الله عنه اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيري فانه
لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله
عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضا قال عكرمة لانه كان صلى الله عليه وسلم
محفوظا فصل واما وفور عقله وذكاء لبه وقوة حواسه وفصاحة لسانه واعتدال
حركاته وحسن شمائله فلا مرية انه كان اعقل الناس واذكاهم ومن تامل تدبيره امر بواطن
الخلق وظواهرهم وسياسة الخاصة والعامة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما افاضه

وفو

من العلم وورد من الشرائع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب منه
لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وهذا ما لا يحتاج الى تقرير لتحققه وقد
قال وهب بن منبه قرات في احد وسبعين كتابا فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم
ارجح الناس عقلا وافضلهم رايا وفي رواية اخرى فوجدت في جميعها ان الله لم يعط جميع الناس
من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال
الدنيا وقال مجاهد كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلاة يرى من خلفه كما يرى من بين يديه
وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين وفي الموطا عنه عليه السلام اني لاراكم من وراء
ظهري ونحوه عن انس في الصحيحين وعن عائشة مثله قالت زيادة زاده الله تعالى اياها في حجته
وفي بعض الروايات اني لانظر من ورائي كما انظر من بين يدي وفي اخرى اني لابصر من قفاي كما
ابصر من بين يدي وحكى بقي بن مخلد عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم
يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم الملائكة
والشياطين ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش والكعبة
حين بنى مسجده وقد حكي عنه انه كان يرى في الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة على
رؤية العين وهو قول احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر تخالفه
ولا احالة في ذلك وهي من خواص الانبياء وخصالهم صلى الله عليهم وسلم تسليما كما اخبرنا
ابو محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه ثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني ثنا ام القاسم
بنت ابي بكر عن ابيها ثنا الشريف ابو الحسن علي بن محمد الحسني ثنا محمد بن محمد بن سعيد ثنا محمد بن
احمد بن سليم ثنا محمد بن محمد بن مرزوق ثنا همام ثنا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله جل جلاله لموسى عليه السلام كان يبصر
النملة على الصفا في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا
صلى الله عليه وسلم بما ذكرناه من هذا الباب بعد الاسراء والحظوة بما راى من آيات ربه الكبرى

وقد جاءت الاخبار بانه صرع ركانة اشد اهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وصارع ابا ركانة
في الجاهلية وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ابو هريرة رضي الله عنه ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيته
كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وفي صفته ان ضحكه كان تبسما واذا
التفت التفت معا واذا مشى مشى تقلعا كانما ينحط من صبب صلى الله عليه وسلم فصل
واما فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل
الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ
وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف اوتي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم السنة
العرب والعجم فكان يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها
حتى كان كثير من اصحابه يسالونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تامل حديثه
وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي
المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن حارثة العليمي والاشعث بن قيس ووائل بن حجر
الكندي وغيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووهاطها
وعزازها تاكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة
ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل والفارض الداجن والكبش الحوري وعليهم فيها
الصالغ والقارح وقوله صلى الله عليه وسلم لنهد اللهم بارك في محضها ومخضها ومذقها وابعث
راعيها في الدثر وافجر له الثمد وبارك له في المال والولد من اقام الصلاة كان مسلما
ومن اتى الزكاة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بني نهد ودائع
الشرك ووضائع الملك لا تلطط في الزكاة ولا تلحد في الحياة ولا تتثاقل عن الصلوات
وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان الركوب والفلو الضبيس
لا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس دركم ما لم تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق ومن اقر

فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة ومن كتابه لوائل بن حجر الى الاقيال العباهلة
والارواع المشابيب وفيه في التيعة شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة
وفي السيوب الخمس ومن زنا مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنا مم ثيب
فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن
حجر يترفل على الاقيال اين هذا من كتابه لانس في الصدقة المشهورة لما كان هؤلاء على
هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط واكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس
ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عطية السعدي
فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بلغتنا وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث العامري حين سأله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
سل عنك اي سل عما شئت وهي لغة بني عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع
كلمه وحكمه الماثورة فقد الف الناس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها
الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون
تتكافا دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم وقوله صلى الله عليه وسلم الناس
كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما ترى له والناس معادن
وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال
خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله صلى الله عليه وسلم اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين
وان احبكم الي واقربكم مني مجالسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين
يالفون ويولفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين
لا يكون عند الله وجيها ونهيه صلى الله عليه وسلم عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة
المال ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله اتق الله حيث كنت واتبع
السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور اوساطها وقوله احبب حبيبك

هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وقوله: الظلم ظلمات يوم القيامة، وقوله في بعض
دعائه: اللهم إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها أمري وتلم بها شعثي وتصلح
بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد بها ألفتي وتعصمني
بها من كل سوء، اللهم إني أسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر على
الأعداء، إلى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبه وأدعيته ومخاطباته
وعهوده مما لا خلاف أنه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره،
وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق إليها ولا قدر أحد أن يفرغ في قالبه عليها كقوله: حمي
الوطيس، ومات حتف أنفه، ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين، والسعيد من وعظ بغيره، في أخواتها
مما يدرك الناظر العجب في مضمنها ويذهب به الفكر في أداني حكمها، وقد قال له أصحابه رضوان الله
عليهم: يا رسول الله ما رأينا الذي هو أفصح منك، فقال: وما يمنعني وإنما أنزل القرآن بلساني
لسان عربي مبين، وقال مرة أخرى: بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد، فجمع له بذلك صلى الله
عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة ألفاظ الحاضرة ورونق كلامها إلى التأييد
الإلهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه بشري، وقالت أم معبد في وصفها له: حلو المنطق
فصل لا نزر ولا هذر كأن منطقه خرزات نظمن، وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله
عليه وسلم. فصل: قال القاضي رحمه الله: وأما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه فمما لا يحتاج إلى
إقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فإنه نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها
وأشرف العرب وأعزهم نفرا من قبل أبيه وأمه ومن أهل مكة من أكرم بلاد الله على الله وعلى
عباده. حدثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه الله، ثنا القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف،
ثنا أبو ذر عبد بن أحمد، أخبرنا أبو محمد السرخسي وأبو إسحاق وأبو الهيثم قالوا: ثنا محمد بن يوسف،
ثنا محمد بن إسماعيل، ثنا قتيبة بن سعيد، ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن أبي
هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت

من القرن الذي كنت منه. وعن العباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله خلق الخلق
فجعلني من خيرهم من خير قرنهم، ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة، ثم تخير البيوت فجعلني
من خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا. وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني
كنانة، واصطفى من بني كنانة قريشا، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم.
قال الترمذي: وهذا حديث صحيح. وفي حديث عن ابن عمر رواه الطبري أنه صلى الله عليه وسلم قال: إن
الله تعالى اختار خلقه فاختار منهم بني آدم، ثم اختار بني آدم فاختار منهم العرب، ثم اختار
العرب فاختار بني هاشم، ثم اختار بني هاشم فاختارني، فلم أزل خيارا من خيار، ألا من أحب
العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن قريشا
كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام، يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة
بتسبيحه، فلما خلق الله آدم ألقى ذلك النور في صلبه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأهبطني
الله عز وجل إلى الأرض في صلب آدم، وجعلني في صلب نوح، وقذف بي في صلب إبراهيم، ثم لم يزل
الله تعالى ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة الزكية حتى أخرجني من بين أبوي لم
يلتقيا على سفاح قط. ويشهد لصحة هذا الخبر شعر العباس رضي الله عنه في مدح النبي صلى الله
عليه وسلم المشهور. فصل: وأما ما تدعو ضرورة الحياة إليه مما فصلناه فعلى ثلاثة ضروب:
ضرب الفضل في قلته، وضرب الفضل في كثرته، وضرب تختلف الأحوال فيه. فأما التمدح والكمال
بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء والنوم، ولم تزل العرب والحكماء تتمادح
بقلتهما وتذم بكثرتهما، لأن كثرة الأكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة
الشهوة، مسبب لمضار الدنيا والآخرة، جالب لأدواء الجسد وخثارة النفس وامتلاء الدماغ،
وقلته دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة، مسبب للصحة وصفاء الخاطر
وحدة الذهن، كما أن كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء والفطنة

مسبب للكسل وعادة البخر وتضييع العمر في غير نفع وقساوة القلب وغلبته وموته والشواهد
على هذا مما يعلم ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا من كلام الامم المتقدمة والحكماء
السالفين واشعار العرب واخبارها وصحيح الحديث وآثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى
الاستشهاد عليه اختصارا واقتصارا على اشتهار العلم به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد
اخذ من هذين الفنين بالاقل هذا مما لا يدفع من سيرته وهو الذي امر به وحض عليه لا سيما لارتباط
احدهما بالآخر حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه ثنا ابو الفضل الاصبهاني ثنا ابو نعيم
الحافظ ثنا سليمان بن احمد ثنا بكر بن سهل ثنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح ان يحيى
بن جابر حدثه عن المقدام بن معديكرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ ابن آدم
وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه
وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولان كثرة النوم من كثرة الاكل والشرب قال سفيان
الثوري بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال بعض السلف لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا
فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه ما
كان على ضفف اي كثرة الايدي وعن عائشة رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم
شبعا قط وانه كان في اهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه
قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا بحديث بريرة وقوله الم ار البرمة فيها لحم اذ لعل سبب
سؤاله صلى الله عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان سنته اذ رآهم لم يقدموه اليه مع
علمه انهم لا يستأثرون عليه به فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من امره بقوله هو لها
صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمان يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة
وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم لمن يأكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث
قوله صلى الله عليه وسلم اما انا فلا آكل متكئا والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعدد في الجلوس
له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس على هذه

الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل
جلوس المستوفز مقعيا ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد وليس
معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا
شهدت بذلك الآثار الصحيحة ومع ذلك فقد قال عليه السلام ان عيني تنامان ولا ينام قلبي
وكان نومه على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهدأ للقلب
وما يتعلق به من الاعضاء الباطنة حينئذ لميلها الى الجانب الايسر فيستدعي ذلك
الاستثقال فيه والطول واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب وقلق واسرع الافاقة
ولم يغمره الاستغراق والضرب الثاني ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره
كالنكاح والجاه اما النكاح فمتفق فيه شرعا وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورية
ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية واما في الشرع فسنة
مأثورة وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما افضل هذه الامة اكثرها نساء يشير اليه
صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام تناكحوا تناسلوا فاني مباه بكم الامم ونهى عن التبتل
مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر اللذين نبه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله من
كان ذا طول فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد
قال سهل بن عبد الله قد حببن الى سيد المرسلين فكيف نزهد فيهن ونحوه لابن عيينة وقد
كان زهاد الصحابة رضوان الله عليهم كثيري الزوجات والسراري كثيري النكاح وحكي
في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم غير شيء وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزبا فان قلت
كيف يكون النكاح وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن زكرياء عليهما السلام قد اثنى
الله عز وجل عليه انه كان حصورا فكيف يثني الله عليه بالعجز عما تعده فضيلة وهذا
عيسى عليه السلام تبتل من النساء ولو كان كما قررته لنكح فاعلم ان ثناء الله تعالى على
يحيى بانه حصور ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له بل قد انكر هذا حذاق المفسرين

ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالانبياء وانما معناه انه معصوم من
الذنوب اي لا ياتيها كانه حصر عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له
شهوة في النساء وقد بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها
موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسى عليه السلام او بكفاية من الله تعالى كيحيى
عليه السلام فضيلة زايدة لكونها شاغلة في كثير من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هي
في حق من اقدر عليها وملكها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة عليا وهي درجة
نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن
وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته اياهن بل قد صرح انها ليست من حظوظ دنياه
هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره فقال صلوات الله وسلامه عليه حبب الي من دنياكم
فدل على ان حبه لما ذكر من النسا والطيب اللتين من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه
بل لاخرته للفوايد التي ذكرناها في التزويج وللقاء الملائكة في الطيب ولانه ايضا مما يحض
على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته
وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين
وفصل بين الحالين فقال وجعلت قرة عيني في الصلاة فقد ساوى صلى الله عليه وسلم يحيى وعيسى
في كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان صلى الله عليه وسلم ممن اقدر على القوة في هذا
واعطي الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد الحراير ما لم يبح لغيره وقد روينا عن انس انه صلى الله
عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال انس وكنا
نتحدث انه اعطي قوة ثلاثين خرجه النسائي وروي نحوه عن ابي رافع وعن طاوس اعطي
عليه السلام قوة اربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم وقالت سلمى مولاته طاف
النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه التسع وتطهر من كل واحدة قبل ان ياتي الاخرى
وقال هذا اطهر واطيب وقد قال سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع

وتسعين

وتسعين وانه فعل ذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما كان في ظهر سليمان عليه السلام ماء مائة رجل
وكانت له ثلاث مائة امراة وثلاث مائة سرية وحكى النقاش وغيره سبع مائة امراة وثلث
مائة سرية وقد كان لداود على زهده واكله من عمل يده تسع وتسعون امراة وتمت بزوج اوريا
مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة وفي
حديث انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة
وكثرة الجماع وقوة البطش واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب
وقد قال عز من قائل في صفة عيسى عليه السلام وجيها في الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة
فهو مضر لبعض الناس لعقبى الاخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح
الخمول وذم العلو في الارض وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة
قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه
خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره في ذلك معروفة سياتي بعضها
وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روي عن قيلة انها لما راته ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة
عليك السكينة وفي حديث ابن مسعود ان رجلا قام بين يديه صلى الله عليه وسلم فارعد فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم هون عليك فاني لست بملك الحديث فاما عظيم قدره بالنبوة
وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامر هو مبلغ النهاية
ثم هو في الاخرة سيد ولد ادم ولا فخر وعلى معنى هذا الفصل نظمنا هذا القسم باسره ○

فصل واما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل
لاجله ككثرة المال فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجاته
وتمكن اغراضه بسببه والا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه
منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه وامله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي والثناء
الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند اهل الدنيا واذا صرفه في وجوه البر وانفقه

في سبل الخير وقصد بذلك العفة عن ملل والذل لاحد كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان صاحبه
ممسكا له غير موجهه وجوهه حرصا على جمعه عادة كان كالعدم وكان منقصة في صاحبه
ولم يفِ به عن جدة السلامة بل اوقعه في هوة رذيلة البخل ومذمة النذالة فاذا التمدح
بالمال وفضيلته عند محصليه ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره وتحصيله في
منصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غني
بالمعنى ولا ممتدح عند احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من اغراضه اذ ما
بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه فاشبه خازن مال غيره ولا مال له فكانه ليس في يده منه
شيء والمنفق مليء غني بتحصيله فوائد المال وان لم يبق في يده من المال شيء فانظر سيرة نبينا صلى الله
عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي خزائن الارض ومفاتح البلاد واحلت له الغنائم ولم تحل
لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب
وما دانا ذلك من الشام والعراق وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى
للملوك الا بعضه وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استاثر بشيء منه ولا امسك منه
درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني ان لي احدا ذهبا
يبيت عندي منه دينار الا دينارا ارصده لديني واتته دنانير مرة فقسمها وبقي منها
ستة فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت ومات
صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة في نفقة عياله صلى الله عليه وسلم واقتصر من نفقته وملبسه
ومسكنه على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في
الغالب الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الديباج
المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر اذ المباهاة في الملابس والتزين بها ليست من خصال
الشرف والجلالة وهي من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه
وكونه لبس مثله غير مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين وقد ذم الشرع

ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس انما يعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال
وكذلك التباهي بجودة المسكن وسعة المنزل وتكثير آلاته وخدمه ومركوباته ومن تملك
الارض وجبي اليه ما فيها فهذه لازمة او تابعة لما فوقها لفضيلة المالية وملك للفخر
بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زائدة عليها في الفخر ومعرفا في المدح باضرابه عنها وزهده
في فانيها وبذلها في مظانها فصل واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والآداب الشريفة
التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقها
واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من
اجزاء النبوة وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها والتوسط
فيها دون الميل الى منحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على الانتهاء
في كمالها والاعتدال الى غايتها حتى اثنى الله تعالى عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت
عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال عليه السلام بعثت
لاتمم مكارم الاخلاق وقال انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا
وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في اصل خلقته واول فطرته
لم تحصل له باكتساب ولا رياضة الا بجود الهي وخصوصية ربانية وهكذا سائر الانبياء عليهم
السلام ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى
ويحيى وسليمان وغيرهم عليهم السلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم
والحكمة في الفطرة قال الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا قال المفسرون اعطي يحيى العلم بكتاب الله تعالى
في حال صباه وقال معمر كان ابن سنتين او ثلاث فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب خلقت
وقيل في قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله
وروحه وقيل صدقه وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد لما في
بطنك تحية له وقد نص الله تعالى على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله لها الا تحزني على

من قام من تحتها وعلى قوائمه قال ابن المنادي عن عيسى ونطق على كلامه في مهده فقال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما اقتدى به داود أبوه وحكى الطبري أن عمره كان حين أوتي الملك اثني عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون وأخذه بلحيته وهو طفل وقال المفسرون في قوله تعالى ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل أي هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه قبل إبداء خلقه وقال بعضهم لما ولد إبراهيم عليه السلام بعث الله إليه ملكا يأمره عن الله عز وجل أن يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل أفعل فذلك رشده وقيل إن إلقاء إبراهيم عليه السلام في النار ومحنته كانت وهو ابن ستة عشر سنة وإن ابتلاء إسحاق بالذبح وهو ابن سبع سنين وإن استدلال إبراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر شهرا وقيل أوحي إلى يوسف وهو صبي عندما هم إخوته بإلقائه في الجب بقول الله تعالى وأوحينا إليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون إلى غير ذلك من ذكر أخبارهم وقد حكى أهل السير أن آمنة بنت وهب أخبرت أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه إلى الأرض رافعا رأسه إلى السماء وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشأت بغضت إلي الأوثان وبغض إلي الشعر ولم أهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله إلا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم أعد ثم يتمكن الأمر لهم وتترادف نفحات الله عليهم وتشرق أنوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه الأخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت أو الشهامة أو صدق اللسان أو السماحة وكما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل

ميسر لما خلق له ولهذا ما قد اختلف السلف فيها هل هذه الخلق جبلة أو مكتسبة فحكى الطبري عن بعض السلف أن الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن وبه قال وهو الصواب ما أصلناه وقد روى سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل الخلال يطبع عليها المؤمن إلا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حديثه والجراءة والجبن غرائز يضعهما الله حيث يشاء وهذه الأخلاق المحمودة والخصال الجميلة كثيرة ولكنا نذكر أصولها ونشير إلى جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها إن شاء الله تعالى

فصل أما أصل فروعها ومنبع ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي ينبعث منه العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة الفطنة والإصابة وصدق الظن والنظر في العواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد أشرنا إلى مكانه منه صلى الله عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه وإذ جلالة محله من ذلك وما تفرع منه متحقق عند من تتبع مجاري أحواله واطراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والإنجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الأمم الخالية وأيامها وضرب الأمثال وسياسات الأنام وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة إلى فنون العلوم التي اتخذ أهلها كلامه عليه السلام فيها قدوة وإشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته إن شاء الله تعالى دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس إلى علمائهم بل نبي أمي لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره وأبان أمره وعلمه وأقرأه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الأقاصيص وآحاد القضايا إذ مجموعها ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم إلى سائر ما علمه الله وأطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال تعالى وعلمك ما لم تكن

تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول في تقدير فضله عليه وخرست الألسن دون وصف
يحيط بذلك أو ينتهي إليه فصل وأما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره
وبين هذه الألقاب فرق فإن الحلم حالة توقر وثبات عند الأسباب المحركات والاحتمال حبس
النفس عند الآلام والمؤذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة وأما العفو فهو ترك المؤاخذة
وهذا كله مما أدب الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم فقال خذ العفو وأمر بالعرف الآية وروي أن
النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الآية سأل جبريل عن تأويلها فقال له حتى أسأل العالم
ثم ذهب ثم أتاه فقال يا محمد إن الله يأمرك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك
وقال له واصبر على ما أصابك الآية وقال تعالى فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وقال تعالى وليعفوا
وليصفحوا الآية وقال تعالى ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله
وأن كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة
الأذى إلا صبرا وعلى إسراف الجاهل إلا حلما حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره
قالوا نا محمد بن عتاب نا أبو بكر بن واقد القاضي وغيره قالوا نا أبو عيسى نا عبيد الله نا يحيى بن يحيى نا مالك
عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرين قط
إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم
لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله تعالى بها وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم
لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم أحد شق ذلك على أصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم
فقال إني لم أبعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون وروي عن عمر
رضي الله عنه أنه قال في بعض كلامه بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب
لا تذر على الأرض الآية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند آخرنا فلقد وطئ ظهرك وأدمي
وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون
قال الفقيه القاضي أبو الفضل رحمه الله انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الإحسان

وحسن الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم إذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم
حتى عفا عنهم ثم أشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اللهم اغفر أو اهد ثم أظهر سبب الشفقة
والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فإنهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فإن هذه
قسمة ما أريد بها وجه الله لم يزده في جوابه أن بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له
فقال ويحك فمن يعدل إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل ونهى من أراد من أصحابه قتله ولما
تصدى له غورث بن الحارث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا
والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو قائم والسيف صلتا في
يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من
يمنعك مني فقال كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء إلى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس
ومن عظيم خبره في العفو عفوه عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح
من الرواية وأنه لم يؤاخذ لبيد بن الأعصم إذ سحره وقد أعلم به وأوحي إليه بشرح أمره ولا
عتب عليه فضلا عن معاقبته وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن أبي وأشباهه من المنافقين بعظيم
ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا بل قال لمن أشار بقتلهم لا يتحدث أن محمدا يقتل أصحابه وعن
أنس قال كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه أعرابي جبذة شديدة
حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي
عندك فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وأنا
عبده ثم قال ويقاد منك يا أعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال لأنك لا تكافئ بالسيئة السيئة
فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم أمر أن يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر قالت عائشة رضي الله عنها
ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله
سبحانه وتعالى وما ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امرأة
وجيء إليه برجل فقيل له هذا أراد أن يقتلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو أردت ذلك لم

لم تصلا على. وجاءه زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ
بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر رضي الله عنه وشدد
له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا وهو كنا الى غير
هذا احوج منك يا عمر تامرني بحسن القضاء وتامره بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي من اجله
ثلاث وامر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سبب اسلامه وذلك
وكان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء الا وقد عرفتها في محمد صلى الله عليه وسلم الا اثنتين
لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل الا حلما فاختبرته بهذا فوجدته كما
وصف والحديث عن حلمه عليه السلام وصبره وعفوه عند المقدرة اكثر من ان ناتي عليه وحسبك ما
ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش
واذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة معهم الى ان اظفره الله عليهم وحكمه فيهم وهم
لا يشكون في استيصال شافتهم وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفا وصفح وقال ما تقولون
اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم
الاية اذهبوا فانتم الطلقاء وقال انس هبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذي كف
ايديهم عنكم الاية وقال لابي سفيان وقد سيق اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب وقتل عمه واصحابه
ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول ويحك يا ابا سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال
بابي انت وامي ما احلمك واوصلك واكرمك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعد الناس
غضبا واسرعهم رضى صلى الله عليه وسلم فصل واما الجود والكرم والسخاء والسماحة ومعانيها
متقاربة وقد فرق بعضهم بينها بفروق فجعل الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه
وسموه ايضا حرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس
وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود

وهو ضد التقتير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوازى في هذه الخلق الكريمة ولا يبارى
بهذا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي رحمه الله ثنا القاضي ابو الوليد
الباجي ثنا ابو ذر الهروي ثنا ابو الهيثم الكشميهني وابو محمد السرخسي وابو اسحق البلخي
قالوا ثنا ابو عبد الله الفربري ثنا البخاري ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان عن ابن المنكدر سمعت جابر بن
عبد الله رضي الله عنهما يقول ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فقال لا وعن انس وسهل بن سعد
مثله وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير واجود ما
كان في شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل عليه السلام اجود بالخير من الريح المرسلة وعن انس
ان رجلا ساله فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى بلده وقال اسلموا فان محمدا يعطي عطاء من لا يخشى
فاقة واعطى غير واحد مائة من الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت حالته
صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وقد قال له ورقة بن نوفل انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد
على هوازن سباياها وكانوا ستة الاف واعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل اليه
تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه
رجل فساله فقال ما عندي شيء ولكن ابتع علي فاذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر رضي الله عنه
ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فقال رجل من الانصار يا رسول الله
انفق ولا تخف من ذي العرش اقلالا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في
وجهه وقال بهذا امرت ذكره الترمذي وذكر عن معوذ بن عفراء اتيت النبي صلى الله عليه وسلم بقناع
من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطاني ملء كفه حليا وذهبا قال انس رضي الله عنه
كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد والخبر بجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم كثير وعن
ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يساله فاستسلف له رسول الله صلى الله
عليه وسلم نصف وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه نائل والخبر
بجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم كثير وقد قال ابو علي الدقاق من شيوخ المتصوفة المشاهير

وملابسة التجارب وتطلب الهفوة على رأيهم واصطلاحهم في ألفاظهم وهو غاية الكرم والإيثار
أن منع الكلوم لا يكون بعالمه إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإن كل واحد في القيامة يقول نفسي
نفسي وهو يقول أمتي أمتي. فصل وأما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب
وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت بحيث يحمد فعلها دون
خوف. وكان النبي صلى الله عليه وسلم منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة
وفر الكماة والأبطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع
إلا وقد أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه صلى الله عليه وسلم حدثنا أبو علي
الجياني فيما كتب لي قال ثنا القاضي سراج ثنا أبو محمد الأصيلي ثنا أبو زيد الفقيه ثنا محمد بن يوسف
ثنا محمد بن إسماعيل ثنا ابن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي إسحاق سمع البراء وسأله رجل أفررتم يوم
حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته
على بغلته البيضاء وأبو سفيان آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبي لا كذب وزاد
غيره أنا ابن عبد المطلب فما رئي يومئذ أحد كان أشد منه وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم
عن بغلته. وذكر مسلم عن العباس قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق
رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة أن لا
تسرع وأبو سفيان آخذ بركابه ثم نادى يا للمسلمين الحديث. وقيل كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذا غضب ولا يغضب إلا لله لم يقم لغضبه شيء. وقال ابن عمر ما رأيت أشجع ولا
أنجد ولا أجود ولا أرضى ولا أفضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال علي رضي الله عنه
إنا كنا إذا حمي البأس ويروى اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم
فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا
وكان من أشد الناس يومئذ بأسا. وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم
إذا دنا العدو لقربه منه. وعن أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأجود الناس

واشجع

وأشجع الناس لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم راجعا قد سبقهم إلى الصوت وقد استبرأ الخبر على فرس لأبي طلحة عري والسيف في
عنقه وهو يقول لن تراعوا. وقال عمران بن حصين ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة
إلا كان أول من يضرب. ولما رآه أبي بن خلف يوم أحد وهو يقول أين محمد لا نجوت إن نجا
وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين افتدي يوم بدر عندي فرس أعلفها كل يوم فرقا من
ذرة أقتلك عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنا أقتلك إن شاء الله فلما رآه يوم أحد
شد أبي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله
عليه وسلم هكذا أي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا
عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير إذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في
عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من أضلاعه فرجع إلى قريش
يقول قتلني محمد وهم يقولون لا بأس بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم أليس قد قال
أنا أقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم إلى مكة. فصل وأما الحياء
والإغضاء فالحياء رقة تعتري وجه الإنسان عند فعل ما يتوقع كراهته أو ما يكون تركه
خيرا من فعله والإغضاء التغافل عما يكره الإنسان بطبيعته وكان النبي صلى الله عليه وسلم
أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات إغضاء قال الله سبحانه إن ذلكم كان يؤذي النبي
فيستحيي منكم الآية. حدثنا أبو محمد بن عتاب رحمه الله بقراءتي عليه ثنا أبو القاسم حاتم بن محمد
ثنا أبو الحسن القابسي ثنا أبو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبدان ثنا عبد الله
ثنا شعبة عن قتادة قال سمعت عبد الله مولى أنس عن أبي سعيد الخدري كان النبي صلى الله عليه وسلم
أشد الناس حياء من العذراء في خدرها وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحدا بما يكرهه حياء وكرم نفس وعن
عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن أحد ما يكرهه لم يقل

ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال أقوام يصنعون أو يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله
وروي عن أنس رضي الله عنه أنه دخل عليه رجل به أثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه أحدا
بما يكره فلما خرج قال صلى الله عليه وسلم لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها قالت عائشة رضي الله عنها
في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا بالأسواق ولا يجزي بالسيئة
السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل هذا الكلام عن التوراة من رواية ابن سلام رحمه الله
وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ويروى عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان من حيائه لا يثبت
بصره في وجه أحد وأنه كان يكني عما اضطره الكلام إليه مما يكره وعن عائشة رضي الله عنها
ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط فصل وأما حسن عشرته وأدبه وبسط خلقه
صلى الله عليه وسلم مع أصناف الخلق فبحيث انتشرت به الأخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه في وصفه
عليه السلام كان أجود الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وألينهم عريكة وأكرمهم
عشرة حدثنا أبو الحسن علي بن مشرف الأنماطي فيما أجازنيه وقرأته على غيره قال ثنا أبو إسحاق
الحبال قال ثنا أبو محمد بن النحاس ثنا ابن الأعرابي ثنا أبو داود ثنا هشام أبو مروان ومحمد بن المثنى قالا ثنا
أبو الوليد بن مسلم ثنا الأوزاعي سمعت يحيى بن أبي كثير يقول حدثني محمد بن عبد الرحمن بن أسعد
ابن زرارة عن قيس بن سعد قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في آخرها فلما أراد الانصراف
قرب له سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد يا قيس
اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فأبيت فقال
إما أن تركب وإما أن تنصرف فانصرفت وفي رواية أخرى اركب أمامي فصاحب الدابة أولى بمقدمها
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر
الناس ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره ولا خلقه ويتفقد أصحابه ويعطي
كل جلسائه نصيبهم لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه من جالسه أو قاربه لحاجة
صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول

قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق سواء بهذا وصفه ابن أبي هالة
قال وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح
يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ
القلب لانفضوا من حولك وقال تعالى ادفع بالتي هي أحسن السيئة الآية وكان عليه السلام يجيب
من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ عليها قال أنس خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عشر سنين فما قال لي أف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وعن
عائشة رضي الله عنها ما كان أحد أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه أحد من
أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم
منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم وكان يمازح أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم
ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ويعود المرضى في أقصى المدينة
ويقبل عذر المعتذر قال أنس ما التقم أحد أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحي رأسه
حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخذ ولم
ير مقدما رجله بين يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة وعن
[illegible] حتى لم ير قط مادا رجليه بين أصحابه حتى يضيق بها على أحد
يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في
الجلوس عليها إن أبى ويكني أصحابه ويدعوهم بأحسن أسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع
على أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بنهي أو قيام ويروى بانتهاء أو قيام ويروى أنه كان لا يجلس
إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته فإذا فرغ عاد إلى صلاته وكان صلى الله
عليه وسلم أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفسا ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب قال عبد الله
ابن الحارث ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أنس رضي الله عنه كان خدم
المدينة يأتون النبي صلى الله عليه وسلم إذا صلى الغداة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بآنية إلا غمس يده فيها

وربما كان له في الغداة البائنة ثم يبيت ويمر به النبي صلى الله عليه وسلم فصل وأما الشفقة والرأفة
والرحمة لجميع الخلق فقال الله تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم وقال تعالى
وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه السلام أن الله تعالى أعطاه اسمين من أسمائه
فقال بالمؤمنين رءوف رحيم وحكى نحوه الإمام أبو بكر بن فورك حدثنا الفقيه أبو محمد عبد الله بن محمد
الخشني بقراءتي عليه ثنا إمام الحرمين أبو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا أبو أحمد الجلودي ثنا إبراهيم
ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو الطاهر ثنا ابن وهب ثنا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله
صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن أمية
مائة من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب حدثنا سعيد بن المسيب أن صفوان بن أمية قال
والله لقد أعطاني ما أعطاني وإنه لأبغض الخلق إلي فما زال يعطيني حتى إنه لأحب الخلق إلي وروي أن
أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فأعطاه ثم قال أحسنت إليك قال الأعرابي لا ولا أجملت فغضب
المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل إليه صلى الله عليه وسلم وزاده
شيئا ثم قال أحسنت إليك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
إنك قلت ما قلت وفي أنفس أصحابي من ذلك شيء فإن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي
حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد أو العشي جاء فقال صلى الله عليه وسلم إن هذا
قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي أكذلك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفورا فناداهم
صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها منكم وأعلم فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض
فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وإني لو تركتكم حيث قال الرجل
ما قال فقتلتموه دخل النار وروي عنه أيضا صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني أحد منكم عن أحد من
أصحابي شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر ومن شفقته على أمته صلى الله عليه وسلم تخفيفه
وتسهيله عليهم وكراهته أشياء مخافة أن تفرض عليهم كقوله لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك

مع كل وضوء وخبر صلاة الليل ونهيه عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا تتعب أمته ورغبته
لربه أن يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وأنه كان صلى الله عليه وسلم يسمع بكاء الصبي فيتجوز
في صلاته ومن شفقته صلى الله عليه وسلم أن دعا ربه وعاهده فقال أيما رجل سببته أو لعنته
فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة ولما كذبه
قومه أتاه جبريل عليه السلام فقال له إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد أمر ملك
الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت إن شئت أن أطبق
عليهم الأخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده
ولا يشرك به شيئا وروى ابن المنكدر أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله أمر
السماء والأرض والجبال أن تطيعك فقال أؤخر عن أمتي العذاب لعل الله أن يتوب عليهم قالت عائشة
رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما وقال ابن مسعود رضي الله عنه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا وعن عائشة رضي الله عنها
أنها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق
فصل وأما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم حدثنا القاضي أبو محمد بن علي
محمد بن إسماعيل بقراءتي عليه قال ثنا أبو بكر محمد بن محمد ثنا أبو إسحاق الحبال ثنا أبو محمد بن النحاس ثنا ابن الأعرابي
ثنا أبو داود ثنا محمد بن يحيى ثنا محمد بن سنان ثنا إبراهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم عن عبد الله بن
شقيق عن أبيه عن عبد الله بن أبي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل أن يبعث وبقيت
له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه فقال
يا فتى لقد شققت علي أنا ههنا منذ ثلاث أنتظرك وعن أنس رضي الله عنه كان النبي صلى الله
عليه وسلم إذا أتي بهدية قال اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة لخديجة إنها كانت تحب
خديجة رضي الله عنها وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة لما
كنت أسمع يذكرها وإن كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها واستأذنت عليه أختها فارتاح

إليها ودخلت عليه امرأة فهش لها وأحسن السؤال عنها فلما خرجت قال إنها كانت تأتينا
في أيام خديجة رضي الله عنها وإن حسن العهد من الإيمان ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي
رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم وقال صلى الله عليه وسلم إن آل أبي فلان ليسوا لي
بأولياء غير أن لهم رحما سأبلها ببلالها وقد صلى صلى الله عليه وسلم بأمامة ابنة ابنته زينب
يحملها على عاتقه فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها وعن أبي قتادة قال وفد وفد للنجاشي فقام
النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال له أصحابه نكفيك فقال إنهم كانوا لأصحابنا مكرمين
وإني أحب أن أكافيهم ولما جيء بأخته من الرضاعة الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت له بسط
لها رداءه وقال لها إن أحببت أقمت عندي مكرمة محببة أو متعتك ورجعت إلى قومك فاختارت
قومها فمتعها وقال أبو الطفيل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا غلام إذ أقبلت امرأة حتى دنت
منه فبسط لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا أمه التي أرضعته وعن عمر بن السائب
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد
عليه ثم أقبلت أمه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة
فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه وكان يبعث إلى ثويبة مولاة أبي لهب مرضعته
بصلة وكسوة فلما ماتت سأل من بقي من قرابتها فقيل لا أحد وفي حديث خديجة رضي الله عنها
أنها قالت له صلى الله عليه وسلم أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب
المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فصل وأما تواضعه صلى الله عليه وسلم
على علو منصبه ورفعة رتبته فكان أشد الناس تواضعا وأقلهم كبرا وحسبك أنه خير بين
أن يكون نبيا ملكا أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا فقال له إسرافيل عليه السلام عند
ذلك فإن الله قد أعطاك بما تواضعت له أنك سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق الأرض عنه
وأول شافع حدثنا أبو الوليد بن العواد الفقيه رحمه الله بقراءتي عليه في منزله بقرطبة سنة
سبع وخمسمائة قال ثنا أبو علي الحافظ ثنا أبو عمر ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا أبو داود

ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا عبد الله بن نمير عن مسعر عن أبي العنبس عن أبي العدبس عن أبي مرزوق عن أبي
غالب عن أبي أمامة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا على عصا فقمنا له فقال
لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضها بعضا وقال إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد
وأجلس كما يجلس العبد وكان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين
ويجالس الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين أصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس جلس
وفي حديث عمر رضي الله عنه عنه عليه السلام لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد
فقولوا عبد الله ورسوله وعن أنس رضي الله عنه أن امرأة كان في عقلها شيء جاءته فقالت إن لي
إليك حاجة فقال اجلسي يا أم فلان في أي طرق المدينة شئت أجلس إليك حتى أقضي حاجتك
قال فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم إليها حتى فرغت من حاجتها قال أنس رضي الله عنه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم قريظة
على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه إكاف قال وكان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة فيجيب
قال وحج صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة ما تساوي أربعة دراهم فقال اللهم اجعله
حجا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الأرض وأهدى في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت
عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ على رحله رأسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا
لله تعالى ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الأنبياء
ولا تخيروني على موسى ونحن أحق بالشك من إبراهيم ولو لبثت ما لبث يوسف في السجن لأجبت
الداعي وقال للذي قال له يا خير البرية ذاك إبراهيم عليه السلام وسيأتي الكلام على هذه الأحاديث
بعد هذا إن شاء الله تعالى وعن عائشة والحسن وأبي سعيد وغيرهم رضي الله عنهم في صفته وبعضهم
يزيد على بعض وكان في بيته في مهنة أهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم
نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته
من السوق صلى الله عليه وسلم وعن أنس قال إن كانت الأمة من إماء المدينة لتأخذ بيد رسول الله

صلى الله عليه وسلم فيتعلق به حيث شاءت حتى يقضي حاجتها ودخل عليه رجل فأصابته من
هيبته رعدة فقال له هون عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد
وعن أبي هريرة رضي الله عنه دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل
وقال للوزان زن وأرجح وذكر القصة قال فوثب إلى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده
وقال هذا تفعله الأعاجم بملوكها ولست بملك إنما أنا رجل منكم ثم أخذ السراويل
فذهبت لأحمله فقال صاحب الشيء أحق بشيئه أن يحمله فصل وأما عدله صلى الله عليه وسلم
وأمانته وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم آمن الناس وأعدل الناس وأعف
الناس وأصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى قبل نبوته
الأمين قال ابن إسحاق كان يسمى الأمين بما جمع الله فيه من الأخلاق الصالحة وقال تعالى مطاع
ثم أمين أكثر المفسرين على أنه محمد صلى الله عليه وسلم ولما اختلفت قريش وتحازبت عند بناء الكعبة
فيمن يضع الحجر حكموا أول داخل عليهم فإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا
هذا محمد هذا الأمين قد رضينا به وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم إلى النبي صلى الله عليه وسلم
في الجاهلية قبل الإسلام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله إني لأمين في السماء أمين في الأرض
حدثنا أبو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه ثنا أبو الفضل بن خيرون ثنا أبو يعلى بن زوج الحرة ثنا
أبو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب المروزي ثنا أبو عيسى الحافظ ثنا أبو كريب ثنا معاوية بن هشام عن
سفيان عن أبي إسحاق عن ناجية بن كعب عن علي أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنا لا نكذبك
ولكن نكذب بما جئت به فأنزل الله تعالى فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون
وروى غيره لا نكذبك وما أنت فينا بمكذب وقيل إن الأخنس بن شريق لقي أبا جهل يوم بدر
فقال له يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق أم كاذب فقال
أبو جهل والله إن محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسأل هرقل عنه أبا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه
بالكذب قبل أن يقول ما قال قال لا وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا

ارضاكم

أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثا وأعظمكم أمانة حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم
بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ما لمست
يده يد امرأة قط لا يملك رقها وفي حديث علي رضي الله عنه في وصفه عليه السلام أصدق الناس
لهجة وقال في الصحيح ويحك فمن يعدل إن لم أعدل خبت وخسرت إن لم أعدل قالت عائشة رضي الله عنها
ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما فإن كان إثما كان أبعد
الناس منه قال أبو العباس المبرد رحمه الله قسم كسرى أيامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم
الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان أعرفهم
بسياسة الدنيا يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون لكن نبينا صلى الله عليه وسلم
جزأ نهاره ثلاثة أجزاء جزءا لله وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس
فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول أبلغوا حاجة من لا يستطيع إبلاغي فإنه من أبلغ
حاجة من لا يستطيع إبلاغها آمنه الله يوم الفزع الأكبر وعن الحسن قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يأخذ أحدا بقرف أحد ولا يصدق أحدا على أحد وذكر أبو جعفر الطبري عن علي
عنه عليه السلام ما هممت بشيء مما كان الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله
بيني وبين ما أريد من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى أكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام
كان يرعى معي لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فأسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت لذلك
حتى جئت أول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست أنظر
فضرب على أذني فنمت فما أيقظني إلا مس الشمس فرجعت ولم أقض شيئا ثم عراني مرة أخرى
مثل ذلك ثم لم أهم بعد ذلك بسوء فصل وأما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروءته
وحسن هديه فحدثنا أبو علي الجياني الحافظ إجازة وعارضته بكتابه قال ثنا أبو العباس الدلائي
ثنا أبو ذر الهروي ثنا أبو عبد الله الوراق ثنا اللؤلؤي ثنا أبو داود ثنا عبد الرحمن بن سلام ثنا حجاج
ابن محمد عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب سمعت خارجة بن زيد يقول

كان النبي صلى الله عليه وسلم أوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من أطرافه وروى
أبو سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلس احتبى بيديه
وكذلك كان أكثر جلوسه صلى الله عليه وسلم محتبيا وعن جابر بن سمرة أنه تربع وربما
جلس القرفصاء وهو في حديث قيلة وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض
عمن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير وكان
ضحك أصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به صلى الله عليه وسلم مجلسه مجلس حلم
وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم إذا تكلم أطرق جلساؤه
كأنما على رؤوسهم الطير وفي صفته يخطو تكفؤا ويمشي هونا كأنما ينحط من صبب
وفي الحديث الآخر إذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيته أنه غير عجز ولا وكل
أي غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود إن أحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم
وعن جابر بن عبد الله كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل أو ترسيل قال ابن أبي هالة
كان سكوته صلى الله عليه وسلم على أربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر قالت
عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد أحصاه
وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملها كثيرا ويحض
عليها ويقول حبب إلي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة
ومن مروءته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والأمر بالأكل
مما يلي والأمر بالسواك وإنقاء البراجم والرواجب واستعمال خصال الفطرة فصل
وأما زهده في الدنيا فقد تقدم من الأخبار أثناء هذه السيرة ما يكفي وحسبك من تقلله
منها وإعراضه عن زهرتها وقد سيقت إليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها أن توفي
صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل
رزق آل محمد قوتا حدثنا سفيان بن العاصي والحسين بن محمد الحافظ والقاضي أبو عبد الله التميمي

قالوا

قالوا ثنا أحمد بن عمر قال ثنا أبو العباس الرازي قال ثنا أبو أحمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا أبو الحسين بن
الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة رضي الله
عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعا من خبز حتى مضى لسبيله
صلى الله عليه وسلم وفي رواية أخرى من خبز شعير يومين متواليين ولو شاء لأعطاه الله ما لا يخطر
ببال وفي رواية أخرى ما شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله تعالى وقالت
عائشة رضي الله عنها ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا
وفي حديث عمرو بن الحارث ما ترك إلا سلاحه وبغلته وأرضا جعلها صدقة صلى الله عليه وسلم
قالت عائشة رضي الله عنها ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي
وقال لي إني عرض علي أن يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب أجوع يوما وأشبع يوما فأما
اليوم الذي أجوع فيه فأتضرع إليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك
وفي حديث آخر أن جبريل عليه السلام نزل عليه فقال له إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك أتحب
أن أجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيثما كنت فأطرق ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا
دار من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول
الثابت وعن عائشة رضي الله عنها قالت إن كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا إن هو
إلا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع
هو وأهل بيته من خبز الشعير وعن عائشة وأبي أمامة وابن عباس نحوه قال ابن عباس
رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم يبيت هو وأهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء
وعن أنس رضي الله عنه قال ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز
له مرقق ولا رأى شاة سميطا قط وعن عائشة رضي الله عنها إنما كان فراشه الذي ينام عليه
أدما حشوه ليف وعن حفصة رضي الله عنها قالت كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم مسحا
في بيتي نثنيه ثنيتين فينام عليه فثنيناه ليلة بأربع فلما أصبح قال ما فرشتموني الليلة

فذكرنا ذلك له فقال ردوه لحاله الأول فإنه منعتني الليلة صلاتي وكان ينام احيانا على سرير
مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه وعن عائشة رضي الله عنها قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله
عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنى وان كان ليظل
جائعا يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الارض
وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي على بطنه مما به
من الجوع واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة ما لي وللدنيا
اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على
ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي غدا
دونهم وما من شيء هو احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت فما اقام بعد الا شهرا حتى
توفي صلى الله عليه وسلم فصل واما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته له فعلى قدر علمه
بربه ولذلك قال فيما حدثناه ابو محمد بن عتاب قراءة مني عليه قال حدثنا ابو القاسم حاتم الطرابلسي
ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا ابو عبد الله الفربري ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يحيى بن بكير
عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة رضي الله عنه كان يقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في
روايتنا عن ابي عيسى الترمذي رفعه الى ابي ذر اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت
السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا
لله تعالى والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على
الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله تعالى لوددت اني شجرة تعضد ويروى هذا الكلام
وددت اني شجرة تعضد من قول ابي ذر نفسه وهو اصح وفي حديث المغيرة صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه وفي رواية كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له
اتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا ونحوه

عن

عن ابي سلمة وابي هريرة وقالت عائشة رضي الله عنها كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ديمة وايكم يطيق ما كان يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم
ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس رضي الله عنهم وقال كنت لا تشاء ان تراه من الليل
مصليا الا رأيته مصليا ولا نائما الا رأيته نائما وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معه فبدأ فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة
الا وقف فسأل ولا يمر بآية عذاب الا وقف فتعوذ ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول
سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة
سورة يفعل مثل ذلك وعن حذيفة رضي الله عنه مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس
بين السجدتين نحوا منه وقال حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وعن عائشة
رضي الله عنها قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة وعن عبد الله بن الشخير
اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز المرجل قال ابن ابي
هالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة وقال
عليه السلام اني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة وعن علي رضي الله عنه
قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس مالي والعقل اصل ديني
والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي
والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضى غنيمتي والعجز فخري والتقوى زادي والزهد حرفتي
واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة
وفي حديث آخر وثمرة فؤادي في ذكره وغمي لاجل امتي وشوقي الى ربي فصل اعلم
وفقنا الله واياك ان صفات جميع الانبياء والرسل صلوات الله عليهم من كمال الخلق وحسن
الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هي هذه الصفات لانها صفات الكمال
والجمال والتمام البشري والفضل الجميع والكمال لهم صلوات الله عليهم اذ رتبتهم اشرف الرتب

ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا
بعضهم على بعض وقال عز وجل ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقد قال عليه السلام ان
اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال اخر الحديث على خلق رجل واحد على
صورة أبيهم ادم عليه السلام طوله ستون ذراعا في السماء وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه
رايت موسى واذا رجل ضرب رجل اقنى كانه من رجال شنوءة ورايت عيسى فاذا هو رجل ربعة
كثير خيلان الوجه احمر كانما خرج من ديماس وفي حديث اخر مبلغ صفة الشيب قال وانا اشبه
ولد ابراهيم به وقال في حديث اخر في صفة موسى كاحسن ما انت راء من ادم الرجال وفي حديث
ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى من بعد لوط عليه السلام نبيا الا في ذروة من قومه
ويروى في ثروة اي كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث
قتادة عن انس رضي الله عنه ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم
صلى الله عليه وسلم احسنهم وجها واحسنهم صوتا صلى الله عليه وسلم وفي حديث هرقل وسالتك
عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها وقال تعالى في ايوب
انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقال تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة الى قوله سبحانه ويوم
يبعث حيا وقال ان الله يبشرك بيحيى الى قوله من الصالحين وقال عز وجل ان الله اصطفى
ادم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين الآيتين وقال في نوح انه كان عبدا شكورا
وقال ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى قوله الصالحين وقال اني عبد الله اتاني
الكتاب الى قوله مادمت حيا وقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى الاية
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جلده شيء استحياء الحديث
وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما الاية وقال في وصف جماعة منهم اني لكم رسول امين وقال
تعالى ان خير من استاجرت القوي الامين وقال عز وجل فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
وقال جل جلاله ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا الى قوله سبحانه فبهداهم اقتده فوصفهم

باوصاف جمة من الصلاح والهدى والاجتباء والحكم والنبوة وقال تعالى فبشرناه بغلام عليم
وحليم وقال عز وجل ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم الى قوله امين وقال
سبحانه ستجدني ان شاء الله من الصابرين وفي اسمعيل انه كان صادق الوعد الايتين وفي
موسى انه كان مخلصا وفي سليمان نعم العبد انه اواب وقال تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق
ويعقوب اولي الايدي والابصار الى قوله من الاخيار الاية وفي داود انه اواب ثم قال وشددنا
ملكه الى قوله الخطاب وقال في يوسف اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وفي موسى ستجدني
ان شاء الله صابرا وقال في شعيب عليه السلام ستجدني ان شاء الله من الصالحين وقال
سبحانه وما اريد ان اخالفكم الى قوله ما استطعت وقال تعالى ولوطا اتيناه حكما وعلما
وقال عز وجل انهم كانوا يسارعون في الخيرات الاية قال سفيان هو الحزن الدائم في اي كثيرة
ذكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك في الاحاديث كثير كقوله
عليه السلام انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
نبي بن نبي بن نبي بن نبي وفي حديث انس رضي الله عنه وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام
قلوبهم وروي ان سليمان عليه السلام كان مع ما اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا
وتواضعا لله تعالى وكان يطعم الناس لذائذ الاطعمة وياكل خبز الشعير واوحى الله تعالى
اليه يا راس العابدين ويا ابن محجة الزاهدين وان كانت العجوز لتعترضه وهو على الريح في جنوده
فيامر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف عليه السلام ما لك تجوع وانت
على خزائن الارض قال اخاف ان اشبع وانسى الجائع وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم خفف على داود القرآن فكان يامر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن قبل ان تسرج ولا
ياكل الا من عمل يده قال الله تعالى والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد وكان
عليه السلام سال ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم احب الصلاة الى الله صلاة داود واحب الصيام الى الله صيام داود وكان ينام نصف الليل

ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر
وياكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة
ولا شاخصا ببصره الى السماء حياء من ربه ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل بكى حتى
نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده اخدودا وقيل كان يخرج متنكرا
يتعرف سيرته فيستمع الثناء عليه فيزداد تواضعا وقيل لعيسى صلى الله عليه وسلم لو اتخذت
حمارا فقال انا اكرم على الله من ان يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر وياكل الشجر ولم يكن له
بيت اين ما ادركه النوم نام وكان احب الاسامي اليه ان يقال له مسكين وقيل ان موسى
عليه السلام لما ورد ماء مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال صلى الله عليه وسلم
لقد كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالقمل والفقر وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم
وقال عيسى صلى الله عليه وسلم لخنزير لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني
النطق بالسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله تعالى حتى
اتخذ الدمع مجرى في خده وكان ياكل مع الوحش لئلا يخالط الناس وحكى الطبري عن وهب ان موسى
صلى الله عليه وسلم كان يستظل بعريش وياكل من نقرة من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان
يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله عز وجل بما اكرمه من كلامه واخبارهم في هذا كله
مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصور والشمائل معروفة مشهورة
فلا نطول بها ولا تلتفت الى ما تجده في كتب بعض جهلة المورخين والمفسرين مما يخالف هذا

فصل قد اتيناك اكرمك الله من ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل المجيدة وخصال الكمال
العديدة واريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الاثار ما فيه مقنع والامر اوسع
فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع دون نفاده الادلاء وبحر علم خصائصه
زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره في الصحيح والمشهور من
المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض من فيض ورأينا ان نختم هذا الفصل بذكر حديث

الحسن

الحسن عن ابن ابي هالة لجمعه من شمائله واوصافه كثيرا صلى الله عليه وسلم وادماجه جملة كافية
من سيره وفضائله ونصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضي ابو علي الحسين
ابن محمد الحافظ رحمه الله بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة قال ثنا الامام ابو القاسم عبد الله بن طاهر
التميمي قراءة عليه اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله بن الحسين النيسابوري والشيخ
الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن المحمودي والقاضي ابو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي
قالوا ثنا ابو القسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي قال ثنا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي
قال ثنا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ قال ثنا سفين بن وكيع ثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن
العجلي املاء من كتابه قال حدثني رجل من بني تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة ام المومنين
رضي الله عنها يكنى ابا عبد الله عن ابن لابي هالة عن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال
سألت خالي هند بن ابي هالة ح قال القاضي ابو علي رحمه الله وقرات على الشيخ ابي طاهر احمد بن الحسن
ابن احمد بن خداداذ الكرجي الباقلاني قال واجاز لنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن
خيرون قالا ثنا ابو علي الحسن بن احمد بن ابرهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران
الفارسي قراءة عليه فاقر به قال ثنا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيد الله
ابن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه المعروف بابن اخي طاهر العلوي
قال ثنا اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن ابي طالب قال حدثني علي بن جعفر بن
محمد بن علي بن الحسين عن اخيه موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين
قال قال الحسن بن علي واللفظ لهذا السند سألت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان وصافا وانا ارجو ان يصف لي منها شيئا اتعلق به فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخما مفخما يتلالأ وجهه تلالؤ القمر ليلة البدر اطول من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة
رجل الشعر ان انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره ازهر
اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره الغضب اقنى العرنين

له نور يعلوه يحسبه من لم يتأمله أشم كث اللحية أدعج سهل الخدين ضليع الفم أشنب
مفلج الأسنان دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادن
متماسك سواء البطن والصدر عريض الصدر بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس أنور المتجرد
موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين مما سوى ذلك أشعر الذراعين
والمنكبين وأعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين والقدمين سائل الأطراف
أو قال سائن الأطراف سبط العصب خمصان الأخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء إذا زال
تقلعا ويخطو تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب وإذا التفت
التفت جميعا خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة
يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام قلت صف لي منطقه فقال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت
يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا
ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وإن دقت لا يذم شيئا لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه
ولا يمدحه ولا يقام لغضبه إذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه
ولا ينتصر لها إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث اتصل بها فضرب
بإبهامه اليمنى راحته اليسرى وإذا غضب أعرض وأشاح وإذا فرح غض طرفه جل ضحكه
التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها الحسين بن علي زمانا ثم حدثته
فوجدته قد سبقني إليه فسأل أباه عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه
وشكله فلم يدع منها شيئا قال الحسن سألت أبي عليه السلام عن دخول رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه مأذونا في ذلك فكان إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله
ثلاثة أجزاء جزءا لله وجزءا لأهله وجزءا لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فيرد
ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته صلى الله عليه وسلم في جزء

الأمة إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمته على قدر فضلهم في الدين فمنهم ذو الحاجة ومنهم
ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما أصلحهم والأمة من مسألته
عنهم وإخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب وأبلغوني حاجة من
لا يستطيع إبلاغي حاجته فإنه من أبلغ سلطانا حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبت الله
قدميه يوم القيامة لا يذكر عنده إلا ذلك ولا يقبل من أحد غيره قال في حديث سفيان
ابن وكيع يدخلون روادا ولا يفترقون إلا عن ذواق ويخرجون أدلة يعني فقهاء قلت فأخبرني
عن مخرجه صلى الله عليه وسلم كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يخزن لسانه إلا فيما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس
ويحترس منهم من غير أن يطوي عن أحد بشره وخلقه ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في
الناس ويحسن الحسن ويحسنه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الأمر غير مختلف لا يغفل مخافة
أن يغفلوا أو يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الذين يلونه من الناس
خيارهم وأفضلهم عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة وموازرة
فسألته عن مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم
إلا على ذكر ولا يوطن الأماكن وينهى عن إيطانها وإذا انتهى إلى القوم جلس حيث ينتهي به المجلس
ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن أحدا أكرم عليه منه من جالسه
أو فاوضه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور
من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه صلى الله عليه وسلم فصار لهم أبا وصاروا عنده في الحق
متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية الأخرى وصاروا عنده في الحق سواء مجلسه
مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته
وهذه الكلمة من غير الروايتين يتعاطفون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون
الصغير ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب فسألته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في جلسائه فقال

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب
ولا فحاش ولا عياب ولا مزاح يتغافل عما لا يشتهي ولا يوئس منه قد ترك نفسه من ثلاث
الرياء والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب
عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير واذا
سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثهم
حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة
في المنطق ويقول اذا رايتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يقبل الثناء الا من مكافئ ولا يقطع
على احد حديثه حتى يجوز فيقطعه بانتهاء او قيام منها انتهى حديثنا سفيان بن وكيع
وزاد الاخر قلت كيف كان سكوته صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم
والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس واما تفكره
ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء ولا يستفزه وجمع
له في الحذر اربع اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاده الراي بما اصلح امته
والقيام لهم بما جمع لهم امر الدنيا والاخرة انتهى الوصف بحمد الله وعونه فصل في تفسير غريب
هذا الحديث ومشكله قوله المشذب اي البائن الطول في نحافة وهو مثل قوله في الحديث
الاخر ليس بالطويل الممغط والشعر الرجل الذي كانه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة
شعر الراس اراد ان انفرقت من ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة ويروى عقيصته
وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن ومنه زهرة الحياة اي زينتها وهذا كما قال في الحديث
الاخر ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم والامهق هو الناصع البياض والآدم الاسمر اللون ومثله
في الحديث الاخر ابيض مشرب اي فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل الوافر الشعر والاقنى
السائل الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل قصبة الانف والقرن اتصال شعر الحاجبين
وضده البلج ووقع في حديث ام معبد وصفه بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة وفي الحديث

الاخ

الا انه اشكل العين واسع العين وهو الذي في بياضها حمرة والضليع الواسع والشنب رونق
الاسنان وماؤها وقيل رقتها وتحزيز فيها كما يوجد في اسنان الشباب والفلج فرق بين
الثنايا والدقيق المسربة خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة بادن ذو لحم متماسك معتدل
الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله في الحديث الاخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم اي ليس بمسترخي
اللحم والمكلثم القصير الذقن وسواء البطن والصدر اي مستويهما ومشيح الصدر ان صحت هذه
اللفظة فتكون من الاقبال وهو احد معاني اشاح اي انه كان بادي الصدر ولم يكن في صدره قعس
وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر اي ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض
البطن ولعل اللفظة مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع في الرواية الاخرى وحكاه
ابن دريد والكراديس رؤوس العظام وهو مثل قوله في الحديث الاخر جليل المشاش والكتد
والمشاش رؤوس المناكب والكتد مجتمع الكتفين وشثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان
عظما الذراعين وسائل الاطراف اي طويل الاصابع وذكر ابن الانباري انه روي سائن الاطراف او قال
سائل بالنون قال وهما بمعنى تبدل اللام من النون ان صحت الرواية بها واما على الرواية الاخرى وسائر
الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة في الحديث ورحب الراحة اي واسعها
وقيل كني به عن سعة العطاء والجود خمصان الاخمصين اي متجافي اخمص القدم وهو الموضع
الذي لا تناله الارض من وسط القدم ومسيح القدمين اي املسهما ولهذا قال ينبو عنهما
الماء وفي حديث ابي هريرة خلاف هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص
وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمي المسيح ابن مريم اي لم يكن له اخمص
ومسيح القدمين خ — وقيل مسح الماء عليهما وهذا ايضا يخالف قوله شثن القدمين اي املسهما والتقلع رفع
الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشي وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع
الخطوة اي مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد
سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام

فيختم بما شئ اقدار السعة فيه والعرب تتمادح بهذا وتذم بضده في العم وانشاح مال وانقبض وجف
الغمام الهطل وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة اي جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه
فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة ثم يبدلها في جزء اخر بالعامة ويدخلون روادا
اي محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا ينصرفون الا عن ذواق قيل عن علم يتعلمونه ويشبه ان
يكون على ظاهره اي في الغالب والاكثر والعتاد العدة والشيء الحاضر المعد والموازرة المعاونة
وقوله لا يوطن الاماكن اي لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا في غير هذا
الحديث وصابره اي حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم اي لا يذكرن بسوء ولا
تنثى فلتاته اي لا يتحدث بها اي لم تكن فيه فلتة وان كانت من احد سترت ويرفدون يعينون
والسخاب الكثير الصياح وقوله ولا يقبل الثناء الا من مكافئ قيل مقتصد في ثنائه ومدحه
وقيل الا من مسلم وقيل الا من مكافئ على يد سبقت من النبي صلى الله عليه وسلم له وتستفزه
يستخفه وفي حديث اخر في وصفه منهوس العقب اي قليل لحمها واهدب الاشفار اي طويل شعرها

الباب الثالث

فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما
خصه به في الدارين من كرامته صلى الله عليه وسلم لا خلاف انه اكرم البشر وسيد ولد آدم وافضل
الناس منزلة عند الله واعلاهم درجة واقربهم زلفى صلى الله عليه وسلم واعلم ان الاحاديث الواردة
في ذلك كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معاني ما ورد منها في اثني
عشر فصلا

الفصل الاول

فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء ورفعة الذكر
والتفضيل وسيادة ولد آدم وما خصه به في الدنيا والآخرة من مزايا الرتب وبركة اسمه
الطيب اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن احمد العدل اذنا بلفظه قال ثنا ابو الحسن الفرغاني حدثتنا
ام القاسم بنت ابي بكر بن يعقوب عن ابيها ثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى هو ابن اسمعيل عن يحيى
الحماني ثنا قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما فذلك قوله اصحاب اليمين واصحاب الشمال

فانا من اصحاب اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله فاصحاب
الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة والسابقون السابقون فانا من
السابقين وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك قوله وجعلنا
شعوبا وقبائل الآية فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني
في خيرها بيتا فذلك قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا
وعن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم
بين الروح والجسد وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من
ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى
من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ومن حديث انس رضي الله عنه انا اكرم ولد آدم على
ربي ولا فخر وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما انا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر وعن عائشة
رضي الله عنها عنه عليه السلام اتاني جبريل فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل
من محمد صلى الله عليه وسلم ولم ار بني اب افضل من بني هاشم وعن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
اتي بالبراق ليلة اسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم
على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس رضي الله عنهما عنه عليه السلام لما خلق الله آدم اهبطني
في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب ابراهيم ثم لم يزل ينقلني
في الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط والى
هذا اشار العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عمه بقوله

من قبلها طبت في الظلال وفي … مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر … انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد … الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم … اذا مضى عالم بدا طبق

حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأرض وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

في أبيات أخر. وروي عنه صلى الله عليه وسلم أبو ذر وابن عمر وابن عباس وأبو هريرة وجابر بن
عبد الله رضي الله عنهم أنه قال أعطيت خمسا وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب
مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل
وأحلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت إلى الناس كافة وأعطيت الشفاعة وفي رواية
بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية أخرى وعرض علي أمتي فلم يخف علي تابع من
متبوع وفي رواية بعثت إلى الأحمر والأسود قيل البيض والسود من الأمم وقيل الجن والإنس
والسود الجن وفي الحديث الآخر عن أبي هريرة رضي الله عنه نصرت بالرعب وأوتيت جوامع الكلم
وبينا أنا نائم إذ جيء بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي وفي رواية عنه عليه السلام وختم بي النبيون
وعن عقبة بن عامر أنه قال عليه السلام إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم وإني والله لأنظر إلى حوضي
الآن وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا من بعدي ولكن
أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال أنا محمد النبي الأمي لا نبي بعدي أوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش
وعن ابن عمر بعثت بين يدي الساعة ومن رواية ابن وهب أنه عليه السلام قال قال الله تعالى
سل يا محمد فقلت ما أسأل يا رب اتخذت إبراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا وأعطيت
سليمان ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فقال الله تعالى ما أعطيتك خير من ذلك أعطيتك الكوثر وجعلت
اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت الأرض طهورا لك ولأمتك وغفرت لك ما تقدم
من ذنبك وما تأخر فأنت تمشي في الناس مغفورا لك ولم أصنع ذلك لأحد قبلك وجعلت قلوب
أمتك مصاحفها وخبأت لك شفاعتك ولم أخبأها لنبي غيرك وفي حديث آخر رواه حذيفة

السود العرب لأن الغالب على ألوانهم الأدمة فهم من السود والحمر العجم وقيل ج ح ح ح

بشرني ربي أنه أول من يدخل الجنة معي من أمتي سبعون ألفا مع كل ألف سبعون ألفا
ليس عليهم حساب وأعطاني أن لا تجوع أمتي ولا تغلب وأعطاني النصر والعزة والرعب يسعى
بين يدي أمتي شهرا وطيب لي ولأمتي المغانم وأحل لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ولم يجعل
علينا في الدين من حرج وعن أبي هريرة رضي الله عنه عنه عليه السلام ما من نبي من الأنبياء
إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحى الله إلي
فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته صلى الله
عليه وسلم ما بقيت الدنيا وسائر معجزات الأنبياء ذهبت للحين ولم يشاهدها إلا الحاضر لها ومعجزة
القرآن يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا إلى يوم القيامة وفيه كلام يطول هذا نخبته
وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا آخر باب المعجزات وعن علي رضي الله عنه
كل نبي أعطي سبعة نجباء من أمته وأعطي نبيكم صلى الله عليه وسلم أربعة عشر نجيبا
منهم أبو بكر وعمر وابن مسعود وعمار وقال صلى الله عليه وسلم إن الله قد حبس عن مكة الفيل
وسلط عليها رسوله والمؤمنين وإنها لم تحل لأحد من بعدي وإنما أحلت لي ساعة من نهار وعن
العرباض بن سارية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إني عبد الله وخاتم النبيين
وإن آدم لمنجدل في طينته وعدة أبي إبراهيم وبشارة عيسى ابن مريم وعن ابن عباس رضي الله ((لعلها ودعوة))
عنهما قال إن الله تعالى فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على أهل السماء وعلى الأنبياء صلوات الله وسلامه
عليهم أجمعين قالوا فما فضله على أهل السماء قال إن الله تعالى قال لأهل السماء ومن يقل منهم
إني إله من دونه الآية وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم إنا فتحنا لك فتحا مبينا الآية قالوا فما فضله
على الأنبياء قال إن الله تعالى قال وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه الآية وقال لمحمد صلى الله
عليه وسلم وما أرسلناك إلا كافة للناس وعن خالد بن معدان أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا يا رسول الله أخبرنا عن نفسك وقد روي نحوه عن أبي ذر وشداد بن أوس وأنس بن مالك
فقال نعم أنا دعوة أبي إبراهيم يعني قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وبشرى بي عيسى ورأت

أو من حين حملت به انه خرج منها نور اضاءت له قصور بصرى من ارض الشام واسترضعت في بني سعد
ابن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاءني رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث
اخر ثلاثة رجال بطست من ذهب مملوء ثلجا فاخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري
الى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا
بطني وقلبي بذلك الثلج حتى انقياه قال في حديث اخر ثم تناول احدهما شيئا فاذا بخاتم في يده من
نور يحار الناظر دونه فختم به قلبي فامتلا ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه وامر الاخر يده
على مفرق صدري فالتام وفي رواية ان جبريل قال قلب وكيع اي شديد فيه عينان تبصران واذنان
سميعتان ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني بهم فرجحتهم ثم قال زنه
بمائة من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف من امته فوزنني بهم فرجحتهم ثم قال دعه عنك
فلو وزنته بامته لوزنها قال في الحديث الاخر ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني
ثم قالوا يا حبيب الله لن تراع انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث
من قولهم ما اكرمك على الله ان الله معك وملائكته قال في حديث اخر فما هو الا ان وليا عني
فكانما ارى الامر معاينة وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما ان ادم عليه السلام
عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال له الله تعالى من اين
عرفت محمدا فقال رايت في كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي
ورسولي فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله تاويل قوله فتلقى ادم من
ربه كلمات الاية وفي رواية اخرى فقال ادم لما خلقتني رفعت راسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب
لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك
فاوحى الله تعالى اليه وعزتي وجلالي انه لاخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك قال وكان ادم
عليه السلام يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر وروي عن سريج بن يونس انه قال ان لله ملائكة
سياحين عبادتها كل دار فيها احمد او محمد اكراما منهم لمحمد عليه السلام وروى ابن قانع القاضي

عن ابي الحمراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي الى السماء اذا على العرش مكتوب
لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي وفي التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وكان
تحته كنز لهما قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبت لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن ايقن
بالنار كيف يضحك عجبا لمن راى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد
عبدي ورسولي وعن ابن عباس رضي الله عنهما على باب الجنة مكتوب انني انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله
لا اعذب من قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب لا اله الا الله محمد تقي مصلح وسيد
امين وذكر السمنطاري انه شاهد في بعض بلاد خراسان مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب
لا اله الا الله وعلى الاخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوب عليه
بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وروى جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان يوم القيامة نادى مناد الا
ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه عليه السلام وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب
في جامعه عن مالك رحمه الله سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نما ورزقوا ورزق
جيرانهم وعنه عليه السلام ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وعن عبد الله
ابن مسعود رضي الله عنه ان الله نظر الى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد عليه السلام واصطفاه
لنفسه وبعثه برسالته وحكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا
رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده الاية قام خطيبا فقال يا معاشر اهل الايمان ان الله
فضلني عليكم تفضيلا ونسائي على نسائكم تفضيلا الحديث

فصل في تفضيله بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة والرؤية وامامة الانبياء والعروج به الى سدرة المنتهى وما راى من ايات ربه الكبرى

ومن خصائصه عليه السلام قصة الاسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة
مما نبه عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال الله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من
المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الاية وقال والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى من ايات ربه الكبرى
فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسراء به عليه السلام اذ هو نص القران وجاءت بتفصيله

وشرح عجائبه وخواص محمد نبينا عليه السلام فيه احاديث كثيرة منتشرة رأينا ان نقدم اكملها
ونشير الى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بحر سماعا
عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا ثنا ابو العباس العذري ثنا ابو العباس
الرازي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا شيبان بن فروخ ثنا حماد بن سلمة ثنا
ثابت البناني عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض
فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس
فربطته بالحلقة التي يربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني
جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة يا رسول الله ثم عرج
بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه
فقال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بآدم عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء
الثانية فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه
قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا صلى الله عليهما وسلم
فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله   ودعوا
عليه وسلم واذا هو قد اعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله   خ عليه السلام
فاذا انا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة
فذكر مثله فاذا انا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا
انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم مسندا   عرج
ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي
الى السدرة المنتهى واذا ورقها كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله   خ سدرة
ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الي ما اوحى ففرض
علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة

قال

قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم
قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا
قال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي تعالى
وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون
صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة
فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى
فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت
الى ربي حتى استحييت منه قال القاضي رضي الله عنه جوّد ثابت رضي الله عنه هذا الحديث
عن انس رضي الله عنه ما شاء ولم يأت احد عنه باصوب من هذا وقد خلط فيه غيره عن انس تخليطا
كثيرا لا سيما من رواية شريك بن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجيء الملك له وشق بطنه وغسله بماء زمزم
وهذا انما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة
الاسراء ولا خلاف انها كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة وقيل
قبل هذا وقد روى ثابت عن انس من رواية حماد بن سلمة ايضا مجيء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله
عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه قلبه تلك القصة مفردة من حديث الاسراء
كما رواه الناس فجوّد في القصتين وفي ان الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى كان قصة
واحدة وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج به من هنالك فازاح كل اشكال اوهمه غيره وقد روى
يونس عن ابن شهاب عن انس قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف
بيتي فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة
وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السماء فذكر القصة وروى قتادة
الحديث بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم وتأخير وزيادة ونقص وخلاف في
ترتيب الانبياء في السماوات وحديث ثابت عن انس اتقن واجود وقد وقع في حديث الاسراء زيادات   خ وقعت

تدلى منها نبقها كأنها معيدة في عرضنا منها في حديث ابن شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح
والأخ الصالح إلا آدم وإبراهيم فقالا والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس رضي الله عنهما ثم
عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام وعن أنس رضي الله عنه ثم انطلق بي حتى أتيت
سدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي قال ثم أدخلت الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة فلما
جاوزته يعني موسى عليه السلام بكى فنودي ما يبكيك فقال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل
من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقد رأيتني في جماعة من
الأنبياء فحانت الصلاة فأممتهم فقال قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبدأني
بالسلام وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل فربط فرسه إلى
صخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله
خاتم النبيين قالوا وقد أرسل إليه قال نعم قالوا حياه الله من أخ وخليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة
ثم لقوا أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم إبراهيم وموسى وعيسى
وداود وسليمان عليهم السلام ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وإن محمدا صلى الله عليه وسلم
أثنى على ربه فقال كلكم أثنى على ربه وأنا أثني على ربي الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة
للناس بشيرا ونذيرا وأنزل علي الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل أمتي خير أمة وجعل أمتي أمة
وسطا وجعل أمتي هم الأولون وهم الآخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني
فاتحا وخاتما فقال إبراهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر أنه عرج به إلى السماء الدنيا ومن سماء إلى سماء
نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه وانتهي بي إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة
إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها وإليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال تعالى
إذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية أبي هريرة رضي الله عنه من طريق الربيع
ابن أنس فقيل لي هذه السدرة المنتهى ينتهي إليها كل أحد من أمتك خلا على سبيلك وهي السدرة
المنتهى يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين

وأنهار

وأنهار من عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وإن ورقة منها مظلة
الخلق فغشيها نور وغشيتها الملائكة قال فهو قوله إذ يغشى السدرة ما يغشى فقال تبارك وتعالى
له سل يا محمد فقال عليه السلام يا رب إنك اتخذت إبراهيم خليلا وأعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى
تكليما وأعطيت داود ملكا عظيما وألنت له الحديد وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان ملكا
عظيما وسخرت له الجن والإنس والشياطين والريح وأعطيته ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وعلمت
عيسى التوراة والإنجيل وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص وأعذته وأمه من الشيطان الرجيم
فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه قد اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب
الرحمن وأرسلتك إلى الناس كافة وجعلت أمتك هم الأولون وهم الآخرون وجعلت أمتك لا تجوز
لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي وجعلتك أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا وأعطيتك
سبعا من المثاني ولم أعطها نبيا قبلك وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت
عرشي ولم أعطها نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية الأخرى قال فأعطي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاثا أعطي الصلوات الخمس وأعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله
شيئا من أمته المقحمات وقال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى الآيتين وذكر جبريل عليه السلام في صورته
له ست مائة جناح وفي حديث شريك أنه رأى موسى عليه السلام في السماء السابعة قال بتفضيل
كلام الله قال ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله فقال موسى لم أظن أن يرفع علي أحد وقد روي
عن أنس رضي الله عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم بالأنبياء ببيت المقدس وعن أنس رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا قاعد ذات يوم إذ دخل جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي
فقمت إلى شجرة فيها مثل وكري الطائر فقعد في واحدة وقعدت في الأخرى فسمت حتى سدت الخافقين
ولو شئت لمسست السماء وأنا أقلب طرفي ونظرت جبريل كأنه حلس لاطئ فعرفت فضل
علمه بالله علي وفتح لي باب السماء ورأيت النور الأعظم وإذا دون الحجاب رفرف الدر والياقوت
ثم أوحى الله إلي ما شاء أن يوحي وذكر البزار عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما أراد الله تعالى أن يعلم

خ وسمت

لاطئ معناه لاصق

الحلس نحو الكساء الذي يبسط على البعير ويشد عليه الرحل

رسوله لا اذ جاءه جبريل عليه السلام بدابة يقال لها البراق فذهب يركبها فاستصعبت عليه
فقال لها اسكني فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى انتهى بها الى جبريل
الحجاب الذي يلي الرحمن تعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا جبريل من هذا فقال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل
ساعتي فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال
الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي انا الله لا اله الا انا وذكر مثل هذا
في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قوله حي على الصلاة حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد
محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فأم اهل السماء فيهم آدم ونوح عليهما السلام قال ابو جعفر محمد بن
علي بن الحسين راويه اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على اهل السموات والارض قال القاضي
رضي الله عنه ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق فهم المحجوبون والباري
جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصائرهم
وادراكاتهم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقوله
في هذا الحديث الحجاب واذ خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال انه حجاب حجب به من وراءه من ملائكته
عن الاطلاع على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث
قول جبريل عليه السلام عن الملك الذي خرج من وراءه ان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي
هذه فدل على ان هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب في تفسير سدرة المنتهى قال اليها
ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على
حذف المضاف اي الذي يلي عرش الرحمن او امرا ما من عظيم آياته او مبادئ حقائق معارفه مما هو اعلم
به كما قال تعالى واسأل القرية اي اهلها وقوله فقيل من وراء الحجاب صدق انا اكبر فظاهره انه سمع
في هذا الموطن كلام الله ولكن من وراء حجاب كما قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من
وراء حجاب اي وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فيحتمل

انه في غير هذا الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه والله اعلم

فصل

ثم اختلف السلف والعلماء هل كان اسراء بروحه او بجسده على ثلاث مقالات فذهبت طائفة
الى انه اسراء بالروح وانه رؤيا منام مع اتفاقهم ان رؤيا الانبياء حق ووحي والى هذا ذهب معاوية
وحكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحاق وحجتهم قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا
التي اريناك الا فتنة للناس وما حكوا عن عائشة رضي الله عنها ما فقد جسد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقوله بينا انا نائم وقول انس وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في آخرها
فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين الى انه اسراء بالجسد وفي
اليقظة وهذا هو الحق وهو قول ابن عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة ومالك بن صعصعة
وابي حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب
وابن زيد والحسن وابراهيم ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عائشة وهو
قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو قول اكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمحدثين خ
والمتكلمين والمفسرين وقالت طائفة كان الاسراء بالجسد يقظة من المسجد الحرام الى بيت
المقدس والى السماء بالروح واحتجوا بقوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد
الاقصى فجعل المسجد الاقصى غاية الاسراء الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي
محمد صلى الله عليه وسلم به واظهار الكرامة له بالاسراء اليه قال هؤلاء ولو كان الاسراء بجسده الى
زائد على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ في المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت
المقدس ام لا ففي حديث انس وغيره ما تقدم من صلاته فيه وانكر ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله
ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا قال القاضي رضي الله عنه والحق من هذا والصحيح ان شاء الله
انه اسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الآية وصحيح الاخبار والاعتبار ولا يعدل
عن الظاهر والحقيقة الى التأويل الا عند الاستحالة وليس في الاسراء بجسده وحال يقظته
استحالة اذ لو كان مناما لقال بروح عبده ولم يقل بعبده وقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى ولو كان

مناما لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء
من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره
انما كان عن جسمه وحال يقظته الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالانبياء عليهم السلام ببيت المقدس
في رواية انس او في السماء على ما روى غيره وذكر مجيء جبريل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح
السماء فيقال ومن معك فيقول محمد ولقائه الانبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشانه
في فرض الصلاة ومراجعته مع موسى في ذلك وفي بعض هذه الاخبار فاخذ يعني جبريل بيدي فعرج بي
الى السماء الى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وانه وصل الى سدرة
المنتهى وانه ادخل الجنة وراى فيها ما ذكره قال ابن عباس رضي الله عنهما هي رؤيا عين راها النبي
صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام وعن الحسن فيه بينا انا جالس في الحجر جاءني جبريل فهمزني بعقبه
فقمت فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعي ذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة فاخذ بعضدي فجرني الى
الى باب المسجد فاذا بدابة وذكر خبر البراق وعن ام هانئ قالت ما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم
الا وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشاء الاخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هانئ لقد صليت الغداة معكم الان كما
ترون فهذا بين في انه بجسمه صلى الله عليه وسلم وعن ابي بكر من رواية شداد بن اوس عنه انه قال للنبي
صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به طلبتك يا رسول الله البارحة في مكانك فلم اجدك فاجابه ان جبريل
حملني الى المسجد الاقصى وعن عمر رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسري بي
في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قائم معه آنية ثلاث وذكر الحديث وهذه التصريحات
ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن ابي ذر عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي وانا
بمكة فنزل جبريل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم الى اخر القصة ثم اخذ بيدي فعرج بي
وعن انس اتيت فانطلقوا بي الى زمزم فشرح عن صدري وعن ابي هريرة لقد رايتني في الحجر وقريش
تسائلني عن مسراي فسالتني عن اشياء لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي انظر اليه

[هامش: فايقظني خ]
[هامش: معكم العشاء الاخرة كما رايتني بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس وصليت فيه ثم صليت الغداة معكم]
[هامش: فجعلت]

ونحوه عن جابر وقد روي عن عمر بن الخطاب في حديث الاسراء عنه عليه السلام انه قال ثم رجعت الى
خديجة وما تحولت عن جانبها فصل في ابطال حجج من قال انها نوم احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا
الرؤيا التي اريناك فسماها رؤيا قلنا قوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده يرده لانه لا يقال في النوم
اسرى وقوله تعالى فتنة للناس يؤيد انها رؤيا عين واسراء بشخص اذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب
به احد لان كل احد يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في اقطار متباينة على ان المفسرين
قد اختلفوا في هذه الآية فذهب بعضهم الى انها نزلت في قضية الحديبية وما وقع في نفوس الناس
من ذلك وقيل غير هذا واما قولهم انه قد سماها في الحديث مناما وقوله في حديث آخر بين النائم
واليقظان وقوله ايضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول وصول الملك
اليه كان وهو نائم او اول حمله والاسراء به وهو نائم وليس في الحديث انه كان نائما في القصة كلها
الا ما يدل عليه ثم استيقظت وانا في المسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت او استيقظ
من نوم آخر بعد وصوله بيته ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان في بعضه وقد يكون قوله
استيقظت وانا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجائب ما طالع من ملكوت السموات والارض
وخامر باطنه من مشاهدة الملا الاعلى وما راى من آيات ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع الى
حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه حقيقة على
مقتضى لفظه ولكنه اسري بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء حق تنام اعينهم ولا تنام
قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات الى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله
شيء من المحسوسات عن الله ولا يصح هذا ان يكون في وقت صلاته بالانبياء ولعله كانت له
في هذا الاسراء حالات ووجه رابع وهو ان يعبر بالنوم ها هنا عن هيئة النائم من الاضطجاع
ويقويه قوله في رواية عبد بن حميد عن همام بينا انا نائم وربما قال مضطجع وفي رواية هدبة
عنه بينا انا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى بين النائم واليقظان
فيكون سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم الى ان هذه الزيادات

[هامش: لا فتنة للناس]
[هامش: قضية خ]
[هامش: القصة خ]
[هامش: بعضه خ]

من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث انما هي رواية شريك عن انس فهي
منكرة من روايته اذ شق البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره عليه السلام وقبل
النبوة ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث والاسراء كان باجماع بعد المبعث فهذا كله يوهن
ما وقع في رواية انس مع ان انسا قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه
من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك
ابن صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث واما قول عائشة رضي الله عنها ما فقدت
جسده فعائشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها لم تكن حينئذ زوجة ولا في سن من يضبط
ولعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف في الاسراء متى كان فان الاسراء كان في اول الاسلام على — خ في اول
قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة في الهجرة بنت نحو ثمانية
اعوام وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه انه لخمس
والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فاذا لم تشاهد ذلك عائشة دل انها حدثت بذلك عن غيرها
فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في حديث ام هانئ وغيره
وايضا فليس حديث عائشة بالثابت والاحاديث الاخر اثبت لسنا نعني حديث ام هانئ وما
ذكرت فيه خديجة وايضا فقد روي في حديث عائشة ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم
الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده لانكارها ان تكون رؤياه
لربه رؤية عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره فان قيل فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى
فقد جعل ما رآه للقلب وهذا يدل على انه رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله
قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى فقد اضاف الامر للبصر وقد قال اهل التفسير في قوله ما كذب الفؤاد
ما رأى اي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر قلبه ما رأته عينه

فصل واما رؤيته صلى الله عليه وسلم لربه جل وعز فاختلف السلف فيها فانكرته عائشة رضي الله عنها
حدثنا ابو الحسين سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه قال ثنا ابي وابو عبد الله بن عتاب الفقيه

قال ثنا القاضي يونس بن مغيث ثنا ابو الفضل الصقلي ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده
قالا ثنا عبد الله بن علي ثنا محمد بن آدم ثنا وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر عن مسروق انه قال لعائشة
يا ام المؤمنين هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث من حدثك بهن
فقد كذب من حدثك ان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار الآية وذكر الحديث
وقال جماعة بقول عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة انه انما رأى جبريل واختلف — خ فـل
عنه وقال بانكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن
ابن عباس رضي الله عنه انه رآه بعينه وروى عطاء عنه رآه بقلبه وعن ابي العالية عنه رآه بفؤاده
مرتين وذكر ابن اسحاق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يسأله هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه فقال نعم — ح أن
والاشهر عنه انه رأى ربه بعينيه وروي ذلك عنه من طرق وقال ان الله تعالى اختص موسى عليه
السلام بالكلام وابراهيم عليه السلام بالخلة ومحمدا صلى الله عليه وسلم بالرؤية وحجته قوله تعالى
ما كذب الفؤاد ما رأى افتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة اخرى قال الماوردي قيل ان الله تعالى قسم كلامه
ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى ابو الفتح
الرازي وابو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس
وكعب فقال ابن عباس اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا قد رأى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاو — بته
الجبال وقال ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين محمد وموسى فكلمه موسى ورآه محمد بقلبه
وروى شريك عن ابي ذر في تفسير الآية قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه وحكى السمرقندي عن
محمد بن كعب القرظي وربيع بن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته
بفؤادي ولم أره بعيني وروى مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي
وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى الحديث وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف
بالله لقد رأى محمد ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب
عن ابن مسعود وحكى ابن اسحاق ان مروان سأل ابا هريرة هل رأى محمد ربه فقال نعم وحكى النقاش

عن أحمد بن حنبل أنه قال أنا أقول بحديث ابن عباس بعينه رآه رآه حتى انقطع نفسه يعني نفس
أحمد وقال أبو عمر قال أحمد بن حنبل رآه بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالأبصار وقال
سعيد بن جبير لا أقول رآه ولا لم يره وقد اختلف في تأويل الآية عن ابن عباس وعكرمة والحسن
وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود رأى جبريل
وحكى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أنه قال رآه وعن ابن عطاء في قوله ألم نشرح لك صدرك
قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام وقال أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري
رضي الله عنه وجماعة من أصحابه أنه رأى الله ببصره وعيني رأسه وقال كل آية أوتيها نبي من
الأنبياء عليهم السلام فقد أوتي مثلها نبينا صلى الله عليه وسلم وخص من بينهم بتفضيل الرؤية
ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز أن يكون قال القاضي أبو الفضل
رضي الله عنه والحق الذي لا امتراء فيه أن رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها
والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله عز وجل
وما لا يجوز عليه بل لم يسأل إلا جائزا غير مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه
إلا من علمه الله تعالى فقال الله تعالى لن تراني أي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب له مثلا مما
هو أقوى من بنية موسى وأثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها
على الجملة وليس في الشرع دليل على استحالتها ولا امتناعها إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير قاطع
مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله لا تدركه الأبصار لاختلاف التأويلات
في الآية وإذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها
على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه أبصار الكفار وقيل لا تدركه
الأبصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه الأبصار وإنما يدركه المبصرون وكل
هذه التأويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني الآية
وقوله تبت إليك لما قدمناه ولأنها ليست على العموم ولأن من قال معناها لن تراني في الدنيا إنما هو تأويل

وأيضا

وأيضا فليس فيه نص الامتناع وإنما جاءت في حق موسى وحيث تتطرق التأويلات وتتسلط
الاحتمالات فليس للقطع إليه سبيل وقوله تبت إليك أي من سؤال ما لم تقدره لي وقد قال
أبو بكر الهذلي في قوله لن تراني أي ليس لبشر أن يطيق أن ينظر إلي في الدنيا وأنه من نظر إلي مات
وقد رأيت لبعض السلف والمتأخرين ما معناه أن رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب
أهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة غرضا للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية فإذا
كان في الآخرة وركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية وأتم أنوار أبصارهم وقلوبهم
قووا بها على الرؤية وقد رأيت مثل هذا لمالك بن أنس رحمه الله لم ير في الدنيا لأنه باق ولا يرى الباقي
بالفاني فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصارا باقية رئي الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح
وليس فيه دليل على الاستحالة إلا من حيث ضعف القدرة فإذا قوى الله تعالى من يشاء من عباده
وأقدره على حمل أعباء الرؤية لم يمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما
السلام ونفوذ إدراكهما بقوة إلهية منحاها لإدراك ما أدركاه ورؤية ما رأياه والله أعلم
وقد ذكر القاضي أبو بكر في أثناء أجوبته عن الآيتين ما معناه أن موسى عليه السلام رأى الله
تعالى فلذلك خر صعقا وأن الجبل رأى ربه فصار دكا بإدراك خلقه الله له واستنبط ذلك
من قوله ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ثم قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل
جعله دكا وخر موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى رآه على هذا القول وقال جعفر بن محمد للجبل
شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا إفاقة وقوله هذا يدل على أن موسى رآه وقد
وقع لبعض المفسرين أنه رآه وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا صلى الله عليه وسلم
له إذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز إذ ليس في الآيات نص بالمنع وأما وجوبه لنبينا
صلى الله عليه وسلم والقول بأنه رآه بعينه فليس فيه قاطع أيضا ولا نص إذ المعول فيه على آيتي النجم
والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن ولا أثر قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث
ابن عباس خبر عن اعتقاده لم يسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله

حديث أبي ذر في تفسير الآية وحديث معاذ محتمل للتأويل وهو مضطرب الإسناد والمتن وحديث
أبي ذر الآخر محتمل مشكل فروي نور أنى أراه وحكى بعض شيوخنا أنه روي نوراني أراه وفي
حديثه الآخر سألته فقال رأيت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد منهما على صحة الرؤية
فإن كان الصحيح رأيت نورا فهو قد أخبر أنه لم ير الله تعالى وإنما رأى نورا منعه وحجبه عن
رؤية الله وإلى هذا يرجع قوله نور أنى أراه أي كيف أراه مع حجاب النور المغشي للبصر وهذا مثل
ما في الحديث الآخر حجابه النور وفي الحديث الآخر لم أره بعيني ولكن رأيته بقلبي مرتين وتلا ثم دنا فتدلى
والله قادر على خلق الإدراك الذي في البصر في القلب أو كيف شاء لا إله غيره فإن ورد حديث
نص بين في الباب اعتقد ووجب المصير إليه إذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله
الموفق للصواب سبحانه وتعالى فصل وأما ما ورد في هذه القصة من مناجاته لله وكلامه
معه بقوله تعالى فأوحى إلى عبده ما أوحى إلى ما تضمنته الأحاديث فأكثر المفسرين على أن
الموحي الله إلى جبريل وجبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم إلا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد
الصادق قال أوحى الله إليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي وإلى هذا ذهب بعض المتكلمين أن
محمدا صلى الله عليه وسلم كلم ربه تعالى في الإسراء وحكي عن الأشعري وحكوه عن ابن مسعود
وابن عباس وأنكره آخرون وذكر النقاش عن ابن عباس في قصة الإسراء عنه عليه السلام
في قوله تعالى دنا فتدلى قال فارقني جبريل فانقطعت الأصوات عني فسمعت كلام ربي
وهو يقول ليهدأ روعك يا محمد ادن ادن وفي حديث أنس في الإسراء نحو منه وقد احتجوا في
هذا بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب إلى قوله ما يشاء فقالوا
هي ثلاثة أقسام من وراء حجاب كتكليم موسى وبإرسال الملائكة كحال جميع الأنبياء وأكثر
أحوال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام إلا
المشافهة مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي دون واسطة
وقد ذكر أبو بكر البزار عن علي عليه السلام في حديث الإسراء ما هو أوضح في سماع النبي

صلى الله

صلى الله عليه وسلم لكلام الله تعالى من الآية فذكر فيه فقال الملك الله أكبر الله أكبر فقيل لي
من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر وقال في سائر كلمات الأذان مثل ذلك ويجيء الكلام
في مشكل هذين الحديثين في الفصل الذي بعد هذا مع ما يشبههما وفي أول فصل من الباب فيه
وكلام الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن اختصه من أنبيائه جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في
الشرع قاطع يمنعه فإن صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى عليه السلام كائن
حق مقطوع به نص على ذلك في الكتاب العزيز وأكده بالمصدر دلالة على الحقيقة ورفع مكانه
على ما ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب كلامه ورفع محمدا صلى الله عليه وسلم
فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع فيه صريف الأقلام فكيف يستحيل في حق هذا
أو يبعد سماع الكلام فسبحان من خص من يشاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات
فصل وأما ما ورد في حديث الإسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله دنا فتدلى
فكان قاب قوسين أو أدنى فأكثر المفسرين أن الدنو والتدلي منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام
أو مختص بأحدهما من الآخر أو من السدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس هو محمد صلى الله عليه وسلم
دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب وقيل هما بمعنى واحد أي قرب
وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس هو الرب تعالى دنا من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى إليه أي أمره
وحكمه وحكى النقاش عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فأراه ما
شاء أن يريه من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله
عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت
عني الأصوات فسمعت كلام ربي جل وعلا وعن أنس في الصحيح عرج بي جبريل إلى سدرة المنتهى
ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى إليه بما شاء وأوحى إليه
خمسين صلاة وذكر حديث الإسراء وعن محمد بن كعب هو محمد دنا من ربه صلى الله عليه وسلم من ربه
فكان منه قاب قوسين أو أدنى وقال جعفر بن محمد أدناه ربه منه حتى كان منه كقاب قوسين

منه خ

اختصه خ

الآيتين خ

وقال جعفر بن محمد الدنو من الله لا حد له ومن العباد بالحدود وقال ايضا انقطعت الكيفية عن
الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد صلى الله عليه وسلم الى ما اودع قلبه من المعرفة
والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه اعلم ان ما وقع في اضافة الدنو والقرب هنا من الله او الى الله فليس بدنو مكان
ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي صلى الله عليه وسلم
من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة
اسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة وتانيس وبسط واكرام ويتاول فيه ما يتاول
في قوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا على احد الوجوه نزول افضال واجمال وقبول واحسان
قال الواسطي من توهم انه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا
يعني عن درك حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عائدا الى الله [قاب]
تعالى لا الى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف
على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب واظهار التحفي
وانافة المنزلة والمرتبة من الله له ويتاول فيه ما يتاول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت
منه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل
المامول بالاحسان فصل في تفضيله في القيامة بخصوص الكرامة حدثنا القاضي
ابو علي ثنا ابو الفضل وابو الحسين قالا ثنا ابو يعلى ثنا السنجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي ثنا الحسين
ابن يزيد الكوفي ثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن انس قال قال رسول الله صلى الله [عن أنس]
عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء
الحمد بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن انس في بعض هذا الحديث
انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم
اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا لواء الحمد بيدي وانا اكرم ولد آدم على ربي ولا فخر ويطوف [خ يئسوا]

على الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون وعن ابي هريرة رضي الله عنه واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم
على يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي
يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وعن ابي هريرة رضي الله عنه
عليه السلام انا سيد ولد آدم يوم القيامة واول من تنشق عنه القبر واول شافع واول مشفع
وعن ابن عباس انا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من
يحرك حلق الجنة فيفتح لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر
وعن انس انا اول الناس يشفع في الجنة واكثر الناس تبعا وعن انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
انا سيد الناس يوم القيامة وتدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين وذكر حديث الشفاعة
وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال اني لارجو ان اكون اعظم الانبياء اجرا يوم القيامة
وفي حديث اخر اما ترضون ان يكون ابراهيم وعيسى فيكم يوم القيامة ثم قال انهما في امتي يوم
القيامة اما ابراهيم فيقول انت دعوتي وذريتي فاجعلني من امتك واما عيسى فالانبياء اخوة
بنو علات امهاتهم شتى ان عيسى اخي ليس بيني وبينه نبي وانا اولى الناس به وقوله صلى الله
عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيامة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيامة ولكن اشار عليه السلام
لانفراده فيه بالسؤدد والشفاعة دون غيره اذ لجا الناس اليه في ذلك اليوم فلم يجدوا سواه
والسيد هو الذي يلجا الناس اليه في حوائجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر لم يزاحمه
احد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله الواحد القهار والملك له تعالى في الدنيا والاخرة
لكن في الاخرة انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا وكذلك لجا الى محمد صلى الله عليه وسلم جميع
الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الاخرى دون دعوى وعن انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [قال]
آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من انت فنقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد
قبلك وعن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء

وماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبداً
وعن أبي ذر رضي الله عنه نحوه وقال طوله ما بين عمان إلى أيلة يشخب فيه ميزابان من الجنة
وعن ثوبان مثله وقال أحدهما من ذهب والآخر من ورق وفي رواية حارثة بن وهب كما بين المدينة
وصنعاء وقال أنس أيلة وصنعاء وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الأسود وروى حديث الحوض
أيضاً أنس وجابر وسمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد وأبو برزة
الأسلمي وحذيفة بن اليمان وأبو أمامة وزيد بن أرقم وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد
وسويد بن جبلة وأبو بكر وعمر بن الخطاب وابن بريدة وأبو سعيد الخدري وعبد الله الصنابحي وأبو هريرة (بريدة)
والبراء وجندب وعائشة وأسماء بنتا أبي بكر وأبو بكرة وخولة بنت قيس وغيرهم رضي الله عنهم
من الرواة والله أعلم. فصل في تفضيله بالمحبة والخلة جاءت بذلك الآثار الصحيحة واختص
صلى الله عليه وسلم على ألسنة المسلمين بحبيب الله أخبرنا أبو القاسم بن إبراهيم الخطيب وغيره
عن كريمة بنت محمد ثنا أبو الهيثم وثنا حسين بن محمد الحافظ سماعاً ثنا القاضي أبو الوليد (عليه)
ثنا عبد بن أحمد ثنا أبو الهيثم ثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الله بن محمد ثنا
أبو عامر ثنا فليح ثنا أبو النضر عن بسر بن سعيد عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لو كنت (سعيد)
متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر وفي حديث آخر وإن صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن
مسعود وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً وعن ابن عباس رضي الله عنه قال جلس ناس من أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم
فقال بعضهم عجباً إن الله اتخذ إبراهيم من خلقه خليلاً وقال آخر ماذا بأعجب من كلام موسى
كلمه الله تكليماً وقال آخر فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر وآدم اصطفاه الله
فخرج عليهم فسلم وقال سمعت كلامكم وعجبكم أن الله اتخذ إبراهيم خليلاً وهو كذلك وموسى
نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله (الله)
ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر وأنا أول من

يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين
ولا فخر وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم إني اتخذتك
خليلاً فهو مكتوب في التوراة أنت حبيب الرحمن. قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه (أنت)
اختلف في تفسير الخلة وأصل اشتقاقها فقيل الخليل المنقطع إلى الله الذي ليس في انقطاعه
إليه ومحبته له اختلال وقيل الخليل المختص واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم
أصل الخلة الاستصفاء وسمي إبراهيم خليل الله لأنه يوالي فيه ويعادي فيه وخلة الله له نصره (فيه)
وجعله إماماً لمن بعده وقيل الخليل أصله الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة وهي
الحاجة فسمي بها إبراهيم لأنه قصر حاجته على ربه وانقطع إليه بهمه ولم يجعله قبل غيره
إذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى في النار فقال ألك حاجة قال أما إليك فلا وقال أبو بكر (به)
ابن فورك الخلة صفاء المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الأسرار وقال بعضهم أصل الخلة
المحبة ومعناها الإسعاف والإلطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك في كتابه
بقوله وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فأوجب الله
للمحبوب أن لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا والخلة أقوى من البنوة لأن البنوة قد تكون فيها
العداوة كما قال تعالى إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم ولا يصح أن تكون عداوة مع خلة
فإذاً تسمية إبراهيم ومحمد عليهما السلام بالخلة إما بانقطاعهما إلى الله ووقف حوائجهما
عليه والانقطاع عمن دونه والإضراب عن الوسائط والأسباب أو لزيادة الاختصاص منه تعالى بهما
وخفي ألطافه عندهما وما خالل بواطنهما من أسرار إلهيته ومكنون غيوبه ومعرفته أو لاستصفائه (الأسرار)
لهما واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يخللهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من
لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى قوله عليه السلام ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت
أبا بكر خليلاً لكن أخوة الإسلام واختلف العلماء وأرباب القلوب أيهما أرفع درجة الخلة أو درجة (المحبة)
فجعلها بعضهم سواء فلا يكون الحبيب إلا خليلاً ولا الخليل إلا حبيباً لكنه خص إبراهيم بالخلة

ومحمد صلى الله عليه وسلم بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله صلى الله
عليه وسلم لو كنت متخذا غير ربي خليلا لاتخذته وقد اطلق المحبة عليه السلام لعائشة رضي الله عنها
وابيها واسامة وغيرهم واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا صلى الله
عليه وسلم ارفع من درجة ابراهيم الخليل عليهما السلام واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحب
ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة المخلوق فاما الخالق جل جلاله
فمنزه عن الاعراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة اسباب القرب
وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته
فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به
ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع الى الله والاعراض
عن غير الله وصفاء القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه
القرآن برضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة بقوله

قد تخللت مسلك الروح مني   وبذا سمي الخليل خليلا
فاذا ما نطقت كنت حديثي   واذا ما سكت كنت الغليلا

واذا ما مرضت كنت شفائي / واذا ما اظلمت كنت الدليلا

فاثبات الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا محمد عليه السلام بما دلت عليه الاثار الصحيحة
المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
الاية حكى اهل التفسير ان هذه الاية لما نزلت قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا
كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الاية قل اطيعوا الله
والرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه بقوله فان الله
لا يحب الكافرين وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة
والخلة يطول جملته اشارات الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي الى
ما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض

والحبيب

والحبيب يصل اليه به من قوله فكان قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل الذي تكون مغفرته (مغفرته)
في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين
من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الاية والخليل قال ولا تخزني يوم يبعثون والحبيب
قيل له يوم لا يخزي الله النبي فابتدئ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة حسبي الله
والحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان صدق والحبيب قيل له ورفعنا
لك ذكرك اعطي بلا سؤال والخليل قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب هذا
المقال من تفضيل المقامات والاحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا
فصل في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اخبرنا
الشيخ ابو علي الغساني الجياني فيما كتب به الي بخطه ثنا سراج بن عبد الله القاضي ثنا ابو محمد
الاصيلي ثنا ابو زيد وابو احمد قالا ثنا محمد بن يوسف قال ثنا محمد بن اسمعيل قال ثنا اسمعيل بن ابان
ثنا ابو الاحوص عن ادم بن علي قال سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول ان الناس يصيرون يوم القيامة
(خ جثاء) جثا كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي الشفاعة الى النبي
صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله تعالى المقام المحمود وعن ابي هريرة رضي الله عنه سئل
عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال هي الشفاعة
وروى كعب بن مالك رضي الله عنه عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيامة فاكون انا وامتي
على تل ويكسوني ربي حلة خضراء من الجنة ثم يؤذن لي فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك المقام
المحمود وعن ابن عمر رضي الله عنهما وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى ياخذ بحلقة الجنة
فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود رضي الله عنه عنه عليه السلام
انه قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه فيه الاولون والاخرون ونحوه عن كعب
والحسن وفي رواية هو المقام الذي اشفع لامتي فيه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم أن المقام المحمود قيل وما هو قال ذاك يوم ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه
المحدث وعن أبي موسى رضي الله عنه عنه عليه السلام خيرت بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين
الشفاعة فاخترت الشفاعة لأنها أعم أترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين وعن أبي هريرة
رضي الله عنه قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة قال شفاعتي لمن شهد أن لا إله إلا
الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن أم حبيبة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أريت ما تلقى أمتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للأمم قبلهم
فسألت الله أن يؤتيني شفاعة فيهم يوم القيمة ففعل وقال حذيفة رضي الله عنه يجمع الله
الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا
لا تكلم نفس إلا بإذنه فينادي محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر
ليس إليك والمهتدي من هديت وعبدك بين يديك ولك وإليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك تباركت
وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي ذكر الله تعالى وقال ابن عباس إذا دخل
أهل النار النار وأهل الجنة الجنة فتبقى آخر زمرة من الجنة وآخر زمرة من النار فتقول زمرة النار
لزمرة الجنة ما نفعكم إيمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم أهل الجنة فيسألون آدم
وغيره بعده في الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى يأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم فذلك
فذلك المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه أيضا ومجاهد وذكره علي بن حسين
عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد صلى الله عليه وسلم
يعني الذي يبعثه الله فيه قلت نعم قال فإنه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله تعالى به من يخرج إخراج
يعني من النار وذكر حديث الشفاعة في إخراج الجهنميين وعن أنس رضي الله عنه نحوه وقال فهذا
المقام المحمود الذي وعده وعن سلمان رضي الله عنه المقام المحمود هو الشفاعة في أمته يوم القيمة
ومثله عن أبي هريرة رضي الله عنه وقال قتادة رضي الله عنه كان أهل العلم يرون المقام
المحمود شفاعته يوم القيامة وعلى أن المقام المحمود هو مقامه صلى الله عليه وسلم للشفاعة

مذاهب السلف من الصحابة والتابعين وعامة أئمة المسلمين رحمهم الله والأحاديث مجمعة في صحيح
الأخبار عنه صلى الله عليه وسلم وجاءت مقالة في تفسيرها شاذة عن بعض السلف يجب ألا تثبت
إذ لا يعضدها صحيح أثر ولا أسند بنقل ولو صحت لكان لها تأويل غير مستنكر لا كما فسره
النبي صلى الله عليه وسلم في صحاح الآثار بروده فلا يجب أن يلتفت إليه مع أنه لم يأت في كتاب
ولا سنة ولا اتفقت على المقالة به أمة وفي الأقاويل ما هو منكر من القول وشنعة وفي رواية أنس
وأبي هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال عليه السلام يجمع الله الأولين
والآخرين يوم القيمة فيهتمون أو قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا ومن طريق
عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن أبي هريرة وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون
ولا يحتملون فيقولون ألا تنظرون من يشفع لكم فيأتون آدم فيقولون زاد بعضهم فيقول
أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته
وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا ألا ترى ما نحن فيه فيقول
إن ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب مثله قبله ولا يغضب مثله بعده ونهاني عن الشجرة فعصيت
نفسي نفسي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون أنت أول الرسل إلى أهل الأرض
وسماك الله عبدا شكورا ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما بلغنا ألا تشفع لنا إلى ربك فيقول إن
ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب مثله بعده نفسي نفسي قال في رواية
أنس ويذكر خطيئته التي أصاب سؤاله ربه بغير علم وفي رواية أبي هريرة وقد كانت لي دعوة
دعوتها على قومي اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى إبراهيم فإنه خليل الله فيأتون إبراهيم فيقولون
أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربي قد غضب
اليوم غضبا وذكر مثله ويذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسي نفسي فيقول لست لها ولكن عليكم
بموسى فإنه كليم الله وفي رواية فإنه عبد آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون
موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي أصاب وقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى

فانه روح الله وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم عبد
غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فأقول انا لها فانطلق فاستأذن على ربي فيؤذن لي فاذا
رايته وقعت ساجدا وفي رواية فآتي تحت العرش فأخر ساجدا وفي رواية فاقوم بين يديه
فاحمده بمحامد لا اقدر عليها الآن يلهمنيه الله وفي رواية فيفتح الله علي من محامده وحسن الثناء
عليه شيئا لم يفتحه على احد قبلي قال في رواية ابي هريرة فيقال يا محمد ارفع راسك سل تعطه
واشفع تشفع فارفع راسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي فيقول الله تعالى يا محمد ادخل من امتك
من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب
ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل وقال مكانه ثم اخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع راسك وقل
يسمع لك واشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب امتي امتي فيقال يا محمد انطلق فمن كان في
قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع الى ربي فاحمده بتلك
المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه مثقال حبة من خردل فافعل ثم ارجع وذكر مثل ما تقدم
وقال فيه من كان في قلبه ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل وذكر في المرة الرابعة فيقال
لي ارفع راسك وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه فيقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله
قال ليس ذلك اليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لاخرجن من النار من قال لا اله — وجبريائي خ
الا الله ومن رواية قتادة عنه قال فلا ادري في الثالثة او الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار الا من
حبسه القرآن اي وجب عليه الخلود وعن ابي بكر وعقبة بن عامر وابي سعيد وحذيفة مثله قال
فيأتون محمدا فيؤذن له وتأتي الامانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط وذكر في رواية ابي مالك عن
حذيفة فيأتون محمدا صلى الله عليه وسلم فيستشفع فيشفع فيضرب الصراط فيمرون اولهم كالبرق
ثم كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم محمد صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم — واشد خ
حتى يجتاز الناس وذكر اخرهم جوازا الحديث وفي رواية ابي هريرة فاكون اول من يجيز يومئذ
وعن ابن عباس رضي الله عنهما عنه عليه السلام توضع للانبياء منابر من نور يجلسون عليها

ويبقى

ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى يا محمد ما تريد
ان اصنع بامتك فاقول يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته
ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي وما ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال قد امر بهم الى النار
حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت لغضب ربك في امتك من نقمة ومن طريق زياد النميري
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنشق الارض عن جمجمته ولا فخر وانا
سيد الناس يوم القيامة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيامة وانا اول من تفتح له الجنة ولا فخر
فآتي فآخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار تعالى فاخر له ساجدا
وذكر نحو ما تقدم ومن رواية انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن يوم
القيامة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الآثار ان
شفاعته عليه السلام ومقامه المحمود من اول الشفاعات الى اخرها من حين يجتمع الناس
للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب
فيشفع حينئذ لاراحة الناس من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء
في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة وهذا الحديث اتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب عليه من امته
الى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسبما
تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم
وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة
قال اهل العلم معناه دعوة اعلم انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبي
منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء
بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاءوا يدعون بها على يقين من الاجابة
وقد قال محمد بن زياد وابو صالح عن ابي هريرة في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في امته
فاستجيب له وانا اريد ان اوخر دعوتي شفاعة لامتي يوم القيامة وفي رواية ابي صالح لكل

نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية ابن زريع عن أبي هريرة وعن
أنس مثل رواية ابن زياد عن أبي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالأمة
مضمونة الإجابة وإلا فقد أخبر أنه صلى الله عليه وسلم سأل لأمته أشياء من أمور الدين والدنيا
أعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السؤال
والرغبة جزاه الله عنا أحسن ما جزى نبيا عن أمته وصلى عليه كثيرا وسلم تسليما فصل
في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة حدثنا القاضي
أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد بقراءتي عليهما قالا حدثنا
أبو علي الغساني ثنا النمري ثنا ابن عبد المؤمن ثنا أبو بكر التمار ثنا أبو داود ثنا محمد بن سلمة ثنا
ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة بن شريح وسعيد بن أبي أيوب عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن
جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم
المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله — مرة
تعالى لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو
فمن سأل الله تعالى لي الوسيلة حلت له الشفاعة وفي حديث آخر عن أبي هريرة الوسيلة أعلى — عليه
درجة في الجنة وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا أسير في الجنة إذ عرض
لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي أعطاكه الله قال ثم ضرب
بيده إلى طينته فاستخرج وعن عائشة وعبد الله بن عمرو مثله قال ومجراه على الدر والياقوت — مسكا
وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج وفي رواية عنه فإذا هو يجري ولم يشق شقا عليه حوض
ترد عليه أمتي وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس وعن ابن عباس أيضا قال الكوثر الخير الذي
أعطاه الله إياه وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي أعطاه الله
إياه وعن حذيفة فيما ذكر عليه السلام عن ربه وأعطاني الكوثر نهر من الجنة يسيل في حوضي
وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال ألف قصر من لؤلؤ أبيض

ترابه

السلام وفيه ما يصلحهم وفي رواية أخرى وفيها ما ينبغي له من الأزواج والخدم فصل فإن قلت
إذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الأثر وإجماع الأمة كونه أكرم البشر وأفضل الأنبياء
فما معنى الأحاديث الواردة بنهيه صلى الله عليه وسلم عن التفضيل كقوله فيما حدثناه الأسدي
قال ثنا السمرقندي ثنا الفارسي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا محمد بن مثنى ثنا محمد بن
جعفر ثنا شعبة عن قتادة سمعت أبا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم
يعني ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى
وفي غير هذا الطريق عن أبي هريرة قال يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد الحديث
وفي حديث أبي هريرة في اليهودي الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من
الأنصار وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الأنبياء وفي رواية لا تخيروني على موسى وذكر الحديث وفيه ولا
أقول إن أحدا أفضل من يونس بن متى وعن أبي هريرة من قال أنا خير من يونس بن متى فقد
كذب وعن ابن مسعود لا يقولن أحدكم أنا خير من يونس بن متى وفي حديثه الآخر فجاءه
رجل فقال له يا خير البرية فقال ذاك إبراهيم فاعلم أن للعلماء في هذه الأحاديث تأويلات
أحدها أن نهيه عن التفضيل كان قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل إذ يحتاج
إلى توقيف وأن من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا أقول إن أحدا أفضل منه لا يقتضي — بغير
تفضيله هو وإنما هو في الظاهر كف عن التفضيل الوجه الثاني أنه قاله صلى الله عليه وسلم
على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه الثالث
أن لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي إلى تنقص بعضهم أو الغض منه لا سيما في جهة يونس عليه
السلام إذ أخبر الله عنه بما أخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط
من رتبته الرفيعة إذ قال تعالى عنه إذ أبق إلى الفلك المشحون إذ ذهب مغاضبا فظن
أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات فربما يخيل لمن لا علم عنده حطيطته بذلك عليه السلام

الوجه الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فان الانبياء فيها على حد واحد اذ هي
شيء واحد لا تتفاضل وانما التفاضل في زيادة الاحوال والخصوص والكرامات والرتب والالطاف
واما النبوة في نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها ولذلك منهم رسل
ومنهم اولو عزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومن اوتي الحكم صبيا واوتي بعضهم
الزبور الزبر وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى ولقد فضلنا
بعض النبيين على بعض الاية وقال تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية قال بعض
اهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون اياته ومعجزاته
ابهر واشهر او تكون امته ازكى واكثر او يكون في ذاته افضل واظهر وفضله في ذاته راجع
الى ما خصه الله به من كرامته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية او ما شاء الله من الطافه
وتحف ولايته واختصاصه وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا وان يونس
ابن متى تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة من اوهام من يسبق
اليه بسببها جرح في نبوته او قدح في اصطفائه وحط من رتبته ووهن في عصمته شفقة منه
صلى الله عليه وسلم على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجع
الى القائل نفسه اي لا يظن احد وان بلغ من الزكاء والعصمة والطهارة ما بلغ انه خير من يونس
لاجل ما حكى الله عنه فان درجة النبوة افضل واعلى وان تلك الاقدار لم تحطه عنها حبة
خردلة ولا ادنى وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا ان شاء الله تبارك وتعالى فقد بان
لك الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض وبالله التوفيق وهو المستعان لا اله الا هو
فصل في اسمائه عليه السلام وما تضمنته من فضيلته حدثنا ابو عمران موسى بن ابي تليد الفقيه
قال ثنا ابو عمر الحافظ ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن اصبغ ثنا محمد بن وضاح ثنا يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب
عن ابيه عن محمد بن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا
الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وقد سماه الله

تعالى في كتابه محمدا واحمد فمن خصائصه تعالى له ان ضمن اسماءه ثناءه وطوى اثناء ذكره عظيم
شكره فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو
صلى الله عليه وسلم اجل من حمد وافضل من حمد واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين
ومعه لواء الحمد يوم القيامة ليتم له كمال الحمد ويشتهر في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه
ربه هناك مقاما محمودا كما وعده يحمده فيه الاولون بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من المحامد والاخرون
ما كما قال عليه السلام لم يعط غيره وسمى امته في كتب انبيائه بالحمادين فحقيق ان يسمى
محمدا واحمد ثم في هذين الاسمين من عجائب خصائصه وبدائع اياته فن اخر هو ان الله جل
اسمه حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد الذي اتى في الكتاب وبشرت به الانبياء عليهم السلام
فمنع الله بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على
ضعيف القلب او شك وكذلك محمد ايضا لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل وجوده
عليه السلام وميلاده ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك رجاء
ان يكون احدهم هو والله اعلم حيث يجعل رسالاته وهم محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسي
ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي
ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم ويقال اول من تسمى محمد محمد بن سفيان واليمن تقول بل محمد بن
اليحمد من الازد ثم حمى الله كل من تسمى به ان يدعي النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه
سبب يشكك احدا في امره حتى تحققت السمتان له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما واما
قوله وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث ويكون محو الكفر اما من مكة
وبلاد العرب وما زوي له من الارض ووعد انه يبلغه ملك امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور
والغلبة كما قال تعالى ليظهره على الدين كله وقد ورد تفسيره في الحديث انه الذي محيت به
سيئات من اتبعه وقوله وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وعلى عقبي اي على زماني وعهدي
اي ليس بعدي نبي كما قال تعالى وخاتم النبيين وسمي عاقبا لانه عقب غيره من الانبياء وفي

علي

الصحيح وانا العاقب الذي ليس بعده نبي وقيل معنى قدمي اي يحشر الناس بمشاهدتي كما
قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل على قدمي على
سابقتي قال الله تعالى ان لهم قدم صدق عند ربهم وقيل على قدمي اي قدامي وحولي اي يجتمعون الي
في القيامة وقيل قدمي على سنتي ومعنى قوله لي خمسة اسماء قيل انها موجودة في الكتب
المتقدمة وعند اولي العلم من الامم السالفة والله اعلم وقد روي عنه عليه السلام لي عشرة
اسماء وذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي
وفي يس انه يا سيد حكاه السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر غيره لي عشرة اسماء فذكر
الخمسة التي في الحديث الاول قال وانا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم وانا المقفي (خ المقفي)
قفيت النبيين وانا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته ولم اروه وارى ان صوابه قثم
بالثاء كما ذكرناه بعد عن الحربي وهو اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا في كتب الانبياء قال
داود عليه السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه.
وروى النقاش عنه عليه السلام لي في القرآن سبعة اسماء محمد واحمد ويس وطه والمزمل (في)
والمدثر وعبد الله وفي حديث عن جبير بن مطعم هي ست محمد واحمد وخاتم وحاشر وعاقب
وماح وفي حديث ابي موسى الاشعري انه كان عليه السلام يسمي لنا نفسه اسماء فيقول انا محمد
واحمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروى المرحمة والرحمة والراحة وكل
صحيح ان شاء الله ومعنى المقفي معنى العاقب وقيل المتبع للنبيين واما نبي الرحمة والتوبة
والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما وصفه الله بانه
يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤوف رحيم
وقد قال في صفة امته عليه السلام انها امة مرحومة وقال الله تعالى فيهم وتواصوا بالصبر
وتواصوا بالمرحمة اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه عليه السلام ربه رحمة لامته ورحمة للعالمين
ورحيما بهم ومترحما مستغفرا لهم وجعل امته امة مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها

عليه السلام بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله يحب من عباده الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن
يوم القيامة ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء واما رواية نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث
به من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة وروى حذيفة مثل حديث ابي موسى وفيه
ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه عليه السلام انه قال اتاني ملك فقال لي انت قثم
اي مجتمع قال والقثوم الجامع للخير وهذا اسم هو في اهل بيته عليه السلام معلوم وقد جاءت
من القابه عليه السلام وسماته عليه السلام في القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور
والسراج المنير والمنذر والنذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين
وخاتم النبيين والرؤوف الرحيم والامين وقدم الصدق ورحمة للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى
والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبي الامي وداعي الله في اوصاف كثيرة
وسمات جليلة وجرى منها في كتب الله المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث رسوله
واطلاق الامة جملة شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وابي القاسم والحبيب ورسول رب
العالمين والشفيع المشفع والمتقي والمصلح والطاهر والمهيمن والصادق والمصدوق
والهادي وسيد ولد آدم وسيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله
وخليل الرحمن وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة
والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج واللواء والقضيب وراكب البراق والناقة
والنجيب وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الهراوة والنعلين
ومن اسمائه عليه السلام في الكتب المنزلة المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس
وروح الحق وهو معنى البارقليط في الانجيل وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل
ومن في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب وحمطايا والخاتم والحاتم حكاه كعب (اسمائه) (ماذ ماذ)
الاحبار وقال ثعلب فالخاتم الذي ختم الله به الانبياء والحاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا ويسمى (خ وحمطايا)
بالسريانية مشفح والمنحمنا واسمه ايضا في التوراة احيد روي ذلك عن ابن سيرين ومعنى صاحب القضيب (خ ومشفح)

احيد

في الصحاح بضم الميم الاولى وتثليث الميم الثانية

اي السيف وقع ذلك مفسرا في الانجيل قال معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد
يحمل على انه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه عليه السلام وهو الان عند الخلفاء
واما الهراوة التي وصف بها فهي في اللغة العصا واراها والله اعلم العصا المذكورة في حديث
الحوض اذود الناس عنه بعصاي لاهل اليمن واما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ الا للعرب — اليمن خ
والعمائم تيجان العرب واوصافه والقابه وسماته في الكتب المتقدمة كثيرة جليلة وكانت — العرب خ
كنيته المشهورة ابا القاسم وروي عن انس رضي الله عنه انه لما ولد له ابراهيم جاءه جبريل فقال — قال القاضي رضي الله عنه واوصافه
السلام عليك يا ابا ابراهيم وفيما ذكرناه منها مقنع ان شاء الله تعالى فصل في تشريف الله تعالى — يا ابا ج
له بما سماه به من اسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى قال القاضي ابو الفضل وفقه الله
ما احرى هذا الفصل بفصول الباب الاول لانخراطه في سلك مضمونها وامتزاجه بعذب معينها — يحيى خ
لكن لم يشرح الله الصدر للهداية الى استنباطه ولا انار الفكر لاستخراج جوهره ونظمه
الا عند الخوض في الفصل الذي قبله فرأينا ان نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم ان الله تبارك
وتعالى خص كثيرا من انبيائه بكرامة خلعها عليهم من اسمائه كتسميته اسحاق واسماعيل بعليم
وحليم وابراهيم بحليم ونوحا بشكور وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم وقوي ويوسف بحفيظ
عليم وايوب بصابر واسماعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب العزيز في مواضع ذكرهم
صلى الله على جميعهم وفضل نبينا صلى الله عليه وسلم بان حلاه منها في كتابه العزيز وعلى السنة
انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر واحضار الذكر اذ لم نجد من جمع منها
فوق اسمين ولا من تفرغ فيها لتاليف فصلين وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله
تعالى كما الهم الى ما علم منها وحققه يتم النعمة بابانة ما لم يظهره لنا الان ويفتح غلقه فمن
اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه
ولاعمال الطاعات وسمي النبي صلى الله عليه وسلم محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في
زبر داود واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد واشار الى نحو هذا حسان بن ثابت رضي الله عنه — زبور

فشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد ومن اسمائه تعالى الرؤوف الرحيم
وهما بمعنى متقارب وسماه تعالى في كتابه بذلك فقال بالمؤمنين رءوف رحيم ومن اسمائه تعالى
الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق امره وكذلك المبين اي البين امره والاهيته بان وابان
بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده امر دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في
كتابه فقال حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال وقل اني انا النذير المبين وقال تعالى قد جاءكم
الحق من ربكم وقال تعالى فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل
والمتحقق صدقه وامره وهو بمعنى الاول والمبين البين امره ورسالته (او المبين) عن الله ما بعثه به كما
قال تعالى لتبين للناس ما نزل اليهم ومن اسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور اي خالقه او منور السموات
والارض بالانوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب
مبين قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل القرآن وقال تعالى فيه وسراجا منيرا سمي بذلك لوضوح امره
وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به عليه السلام ومن اسمائه تعالى
الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيامة وسماه شهيدا وشاهدا
فقال انا ارسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى الاول ومن اسمائه
تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي
في اسمائه تعالى الاكرم وسماه الله تعالى كريما بقوله تعالى انه لقول رسول كريم قيل محمد وقيل
صلى الله — جبريل وقال عليه السلام انا اكرم ولد ادم ومعاني الاسم صحيحة في حقه عليه السلام ومن اسمائه
تعالى العظيم ومعناه الجليل الشان الذي كل شيء دونه وقال في النبي صلى الله عليه وسلم وانك لعلى
خلق عظيم ووقع في اول سفر من التوراة عن اسماعيل وسيلد عظيما لامة عظيمة فهو عظيم
وعلى خلق عظيم ومن اسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشان
وقيل المتكبر وسمي النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب داود بجبار فقال تقلد ايها الجبار سيفك
فان ناموسك وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم وعظيم خطره

اما الاصلاح للامة بالهداية والتعليم او لغيره اعتداء او لقلوبهم لينه على البشر وعظيم خلقه ونفي
عنه تعالى في القرآن جميع التحكم التي اتليوبه فقال تعالى وما انت عليهم بجبار ومن اسمائه تعالى
الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال الله تعالى الرحمن
فاسأل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلاء المأمور بالسؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤول
الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبي والمسؤول الله فالنبي خبير بالوجهين
المذكورين قيل لانه عالم على غاية من العلم بما اعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته
مخبر لامته بما اذن له في اعلامهم به ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه الحاكم بين عباده او فاتح
ابواب الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم عليهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم بمعرفة الحق ويكون
ايضا بمعنى الناصر كقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اي ان تستنصروا فقد جاءكم النصر
وقيل معناه مبتدئ الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث
الاسراء الطويل من رواية الربيع بن انس عن ابي العالية وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه
وفيه من قول الله تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم في ثنائه على
ربه وتعديده مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم
او الفاتح لابواب الرحمة على امته والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله والناصر للحق
او المبتدئ بهداية الامة او المبدأ المقدم في الانبياء والخاتم لهم كما قال عليه السلام
كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث ومن اسمائه تعالى في الحديث الشكور ومعناه
المثيب على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك نبيه نوحا عليه السلام
فقال انه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم نفسه فقال افلا اكون عبدا
شكورا اي معترفا بنعم ربي عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك
لقوله لئن شكرتم لازيدنكم ومن اسمائه تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة
ووصف نبيه صلى الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان

فضل الله عليك عظيما وقال تعالى ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا
تعلمون ومن اسمائه تعالى الاول والآخر ومعناهما السابق للاشياء قبل وجودها
والباقي بعد فنائها وتحقيقه انه ليس له اول ولا آخر وقال عليه السلام كنت اول الانبياء
في الخلق وآخرهم في البعث وفسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنه
قوله نحن الآخرون السابقون وقوله انا اول من تنشق عنه الارض واول من يدخل الجنة واول
شافع واول مشفع وهو خاتم النبيين وآخر الرسل صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه تعالى القوي
وذو القوة المتين ومعناه القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك فقال ذي قوة عند ذي العرش مكين
قيل محمد وقيل جبريل ومن اسمائه تعالى الصادق في الحديث المأثور وقد ورد في الحديث ايضا اسمه
عليه السلام بالصادق المصدوق ومن اسمائه تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر وقد قال
الله تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال عليه السلام انا ولي كل مؤمن وقال الله تعالى النبي
اولى بالمؤمنين وقد قال النبي عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه ومن اسمائه تعالى
العفو ومعناه الصفوح وقد وصف الله تعالى بهذا نبيه صلى الله عليه وسلم في التوراة والقرآن وامره
بالعفو فقال خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح وقال له جبريل وقد سأله عن قوله خذ العفو
قال ان تعفو عمن ظلمك وقال في التوراة والانجيل في الحديث المشهور في صفته عليه السلام
ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله
لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء
الى صراط مستقيم واصل الجميع من الميل وقيل من التقديم وقيل في تفسير طه انه يا طاهر
يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى له وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال فيه
وداعيا الى الله باذنه فالله تعالى مختص بالمعنى الاول قال الله تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن
الله يهدي من يشاء وبمعنى الدلالة يطلق على غيره تعالى ومن اسمائه تعالى المؤمن المهيمن

وقيل هما بمعنى واحد ومعنى المومن في حقه تعالى المصدق وعده عباده، والمصدق قوله الحق
والمصدق لعباده المومنين ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المومن عباده في الدنيا من
ظلمه والمومنين في الآخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الأمين مصغر منه وقلبت الهمزة هاء
وقيل ان قولهم في الدعاء امين انه اسم من اسماء الله تعالى ومعناه معنى المومن وقيل المهيمن
بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومومن وقد سماه الله امينا فقال
تعالى مطاع ثم امين وكان عليه السلام يدعى بالامين وشهر به قبل النبوءة وبعدها وسماه العباس
رضي الله عنه في شعره مهيمنا في قوله: ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق
قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتيبي والامام ابو القاسم القشيري وقال تعالى يومن بالله
ويومن للمومنين اي يصدق وقال انا امانة لاصحابي فهذا بمعنى المومن ومن اسمائه تعالى القدوس
ومعناه المنزه عن النقائص والمطهر من سمات الحدث وسمي بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب
ومنه الوادي المقدس وروح القدس ووقع في كتب الانبياء في اسمائه عليه السلام المقدس اي (خ اي المطهر)
المطهر من الذنوب كما قال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر او الذي يتطهر به من الذنوب
ويتنزه باتباعه عنها كما قال ويزكيهم وقال ويخرجهم من الظلمات الى النور او يكون مقدسا
بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع
الغالب او الذي لا نظير له او المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمومنين اي الامتناع
وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه
ورضوان وقال ان الله يبشرك بيحيى وبكلمة منه وسماه الله تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا
اي مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض المفسرين طه
ويس وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم فصل قال القاضي
ابو الفضل وفقه الله وها انا اذكر نكتة اذيل بها هذا الفصل واختم بها هذا القسم وازيح
الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه

وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان يعتقد ان الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته
وحسنى اسمائه وعلى صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وانما جاء مما اطلقه
الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم بخلاف
صفات المخلوق فكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات المخلوقين
اذ صفاتهم لا تنفك عن الاغراض والاعراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه
وكفى في هذا قوله تعالى ليس كمثله شيء ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين
التوحيد اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي
رحمه الله بيانا وهو مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل
ولا كصفته صفة الا من جهة موافقة اللفظ اللفظ وجلت الذات القديمة ان تكون لها
صفة حديثة كما استحال ان تكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب
اهل الحق والسنة والجماعة وقد فسر الامام ابو القاسم القشيري رحمه الله قوله هذا
ليزيده بيانا وقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته
ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير
(ولا معالجة) جلب انس او دفع نقص حصل ولا بخواطر واغراض وجد ولا بمباشرة ظهر وفعل الخلق
لا يخرج عن هذه الوجوه وقال آخر من مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم او ادركتموه
بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال الامام ابو المعالي الجويني من اطمان الى موجود انتهى
اليه فكره فهو مشبه ومن اطمان الى النفي المحض فهو معطل وان قطع بموجود اعترف
بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما احسن قول ذي النون المصري حقيقة التوحيد
ان تعلم ان قدرة الله تعالى في الاشياء بلا علاج وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه (أنْ)
ولا علة لصنعه وما تصور في وهمك فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل
الاخير تفسير لقوله ليس كمثله شيء والثاني تفسير لقوله لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

والثالث تعجيز لقوله إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ثبتنا الله وإياك على التوحيد
والإثبات والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه ورحمته

الباب الرابع فيما أظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات

قال القاضي أبو الفضل رضي الله عنه حسب الناظر أن يحقق أن كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر
نبوة نبينا ولا لطاعن في معجزاته فنحتاج إلى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل
الطاعن إليها ونذكر شروط المعجز والتحدي وحده وفساد قول من أبطل نسخ الشرائع
ورده بل ألفناه لأهل ملته الملبين لدعوته المصدقين بنبوته ليكون تأكيدا في محبتهم
ومنماة لأعمالهم وليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ونيتنا أن نثبت في هذا الباب أمهات معجزاته
ومشاهير آياته لتدل على عظيم قدره عند ربه وأتينا منها بالمحقق والصحيح الإسناد وأكثره
مما بلغ القطع أو كاد وأضفنا إليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الأئمة. وإذا تأمل المتأمل
المنصف ما قدمناه من جميل أثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة
كماله وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته
وقد كفى هذا غير واحد في إسلامه والإيمان به فروينا عن الترمذي وابن قانع وغيرهما
بأسانيدهم أن عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لأنظر
إليه فلما استبنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب. حدثنا به القاضي الشهيد
أبو علي رحمه الله قال ثنا أبو الحسين الصيرفي وأبو الفضل بن خيرون قالا ثنا أبو يعلى البغدادي
عن أبي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي حدثنا محمد بن بشار ثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد قال
ابن جعفر وابن أبي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن أبي جميلة الأعرابي عن زرارة بن أوفى عن عبد الله
ابن سلام الحديث. وعن أبي رمثة التيمي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فأريته فلما رأيته
قلت هذا نبي الله. وروى مسلم وغيره أن ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم إن الحمد ضمادا
لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله

وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله قال له أعد علي كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس
البحر هات يدك أبايعك. وقال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فأخبر أنه رأى النبي
صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال بكم قلنا
بكذا وكذا وسقا من تمر فأخذ بخطامه وسار إلى المدينة فقلنا بعنا رجلا لا ندري من هو
ومعنا ظعينة فقالت أنا ضامنة لثمن البعير رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس
بكم فأصبحنا فجاء رجل بتمر فقال أنا رسول رسول الله إليكم يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر وتكتالوا رسول
حتى تستوفوا ففعلنا وفي خبر الجلندي ملك عمان لما بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعوه إلى الإسلام قال الجلندي والله لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول
آخذ به ولا ينهى عن شيء إلا كان أول تارك له وأنه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي
بالعهد وينجز الموعود وأشهد أنه نبي. وقال نفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسسه نار هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه عليه السلام يقول يكاد منظره يدل على نبوته
وإن لم يتل قرآنا كما قال ابن رواحة: لو لم تكن فيه آيات مبينة ... لكان منظره ينبيك بالخبر
وقد آن أن نأخذ في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزة القرآن وما فيه من براهين
ودلائل.

فصل اعلم أن الله جل اسمه قادر على خلق المعرفة في قلوب عباده والعلم
بذاته وأسمائه وصفاته وجميع تكليفاته ابتداء دون واسطة لو شاء كما حكي عن سنته
في بعض الأنبياء وذكره بعض أهل التفسير في قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا
وجائز أن يوصل إليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه وتكون تلك الواسطة إما من
غير البشر كالملائكة مع الأنبياء أو من جنسهم كالأنبياء مع الأمم ولا مانع لهذا من دليل
العقل وإذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم وجب تصديقهم
في جميع ما أتوا به لأن المعجزة مع التحدي من النبي قائم مقام قول الله صدق عبدي فأطيعوه
واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن أراد فيه

[illegible]

تتبعته وجدته مستوفًى في مصنفات ايمتنا رحمهم الله والنبوة في لغة من همز ماخوذة من
النبا وهو الخبر وقد لا يهمز على هذا التاويل تسهيلا والمعنى ان الله اطلعه على غيبه واعلمه
انه نبيه فيكون نبي منبا فعيل بمعنى مفعول ويكون مخبرا عما بعثه الله به ومنبئا بما اطلعه الله [هامش: واعلمه]
عليه فعيل بمعنى فاعل ويكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض ومعناه
ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه مؤتلفان واما
الرسول فهو المرسل ولم يات فعول بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ
الى من ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء الناس ارسالا اذا تبع بعضهم بعضا
فكانه الزم تكرير التبليغ والزمت الامة اتباعه واختلف العلماء هل النبي والرسول بمعنى
او بمعنيين فقيل هما سواء واصله من الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وما ارسلنا من
قبلك من رسول ولا نبي فقد اثبت لهما معا الارسال قال ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا
نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام
بخواص النبوة او الرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة للرسول وهو
الامر بالانذار والاعلام كما قلنا وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا شيا
واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من رسول الى امة او نبي ليس
بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدا ومن لم يات به نبي غير رسول
وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح والذي عليه الجم الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي
رسولا واول الرسل ادم عليه السلام واخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه عليه
السلام ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة [هامش: الرسل]
عشر اولهم ادم واخرهم محمد صلى الله عليه وسلم فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند
المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل عليه تعويلهم واما [هامش: ليس]
الوحي فاصله الاسراع فلما كان النبي يتلقى ما ياتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواع

الالهامات وحيا تشبيها بالوحي الى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه
ووحي الحاجب واللحظ لسرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا
اي اوما ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا اي السرعة وقيل اصل الوحي السر
والاخفاء ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قوله تعالى وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم اي
يوسوسون في صدورهم ومنه قوله تعالى واوحينا الى ام موسى اي القي في قلبها وقد قيل
ذلك في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في قلبه دون واسطة
فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان
بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل الله دل
على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القران على راي بعضهم ونحوه
وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى وقلب العصا حية
واخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من الاصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن ان
يفعله احد الا الله فيكون ذلك على يد النبي من فعل الله فكونه ذلك على يد النبي من فعل [هامش: [illegible]]
الله تعالى وتحديه من يكذبه ان ياتي بمثله تعجيز له واعلم ان المعجزات التي ظهرت على يد نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو اكثر الرسل معجزة
واظهرهم اية واظهرهم برهانا كما سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها [هامش: وابهرهم]
وهو القران لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى
بسورة منه فعجز عنها قال اهل العلم واقصر السور انا اعطيناك الكوثر فكل اية او ايات
منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى عليه
من المعجزات ثم معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل الينا متواترا
كالقران فلا مرية ولا خلاف لمجيء النبي صلى الله عليه وسلم به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته
وان انكر هذا معاند جاحد فهو كانكار وجود محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا وانما جاء اعتراض

الحاضرين في الجملة فهو في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة ووجه اعجازه معلوم
ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض ائمتنا ويقرر هذا النحو على الجملة انه قد جرى على يديه
عليه السلام ايات وخوارق عادات ان لم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية
في جريان معانيها على يديه ولا يختلف مومن ولا كافر انه جرت على يديه عجائب وانما خلاف أنه
المعاند في كونها من قبل الله تعالى وقد قدمنا كونها من قبل الله وان ذلك بمثابة قوله صدقت
فقد علم وقوع مثل هذا ايضا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ضرورة لاتفاق معانيها كما
يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة وحلم الاحنف لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد
منهم على كرم هذا وجود هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا
يقطع بصحته والقسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر
منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة ونقلة السير والاخبار كنبع
الماء من بين الاصابع وتكثير الطعام ونوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير
ولم يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الاتيان بالمعجز
كما قدمناه قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وانا اقول صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الايات
الماثورة عنه عليه السلام معلومة بالقطع اما انشقاق القمر فالقران نص بوقوعه واخبر عن
وجوده ولا يعدل عن ظاهر الا بدليل وجاء برفع احتماله صحيح الاخبار من طرق كثيرة فلا يوهن
عزمنا خلاف اخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت الى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء
المومنين بل نرغم بهذا انفه ونبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع الماء وتكثير الطعام وننبذ
رواها الثقات والعدد الكثير عن الجم الغفير عن العدد الكثير من الصحابة رضي الله عنهم
ما رواه الكافة عن الكافة متصلا عمن حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم ان ذلك كان
في مواطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة الحديبية وغزوة تبوك
وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر ولم يوثر عن احد من الصحابة مخالفة للراوي

فيما حكاه ولا انكار لما ذكر عنهم انهم راوه كما راه فسكوت الساكت منهم كنطق
الناطق اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس هناك رغبة
ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه كما انكر
بعضهم على بعض اشياء رواها من السنن والسير وحروف القران وخطا بعضهم بعضا
ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته لما بيناه وايضا
فان امثال الاخبار التي لا اصل لها وبنيت على باطل لا بد مع مرور الازمان وتداول الناس واهل
البحث من انكشاف ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة
والاراجيف الطارئة واعلام نبينا هذه الواردة من طريق الاحاد لا تزداد مع مرور الزمان
الا ظهورا ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها وتضعيف اصلها واجتهاد
الملحد على اطفاء نورها الا قوة وقبولا ولا للطاعن عليها الا حسرة وغليلا وكذلك اخباره عن
الغيوب وانباؤه بما يكون وكان معلوم من اياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه
وقد قال به من ائمتنا القاضي والاستاذ ابو بكر وغيرهما رحمهم الله وما اوجب عندي قول القائل
ان هذه القصص المشهورة من باب خبر الواحد الا قلة مطالعته للاخبار وروايتها وشغله
بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الحديث والسير لم يرتب في صحة هذه
القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل
عند اخر فان اكثر الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وانها مدينة عظيمة ودار
الامارة والخلافة واحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها وهكذا يعلم الفقهاء
من اصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القران في الصلاة
للمنفرد والامام واجزاء النية في اول ليلة من رمضان عما سواه وان الشافعي يرى تجديد
النية كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الراس وان مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد
وغيره وايجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وان ابا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل

وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا وافقهم لا يعلم مقاما من مقاماتهم فضلا عمن سواهم وعند ذكرنا
ءاحاد هذه المعجزات نبذ الكلام فيها إن شاء الله تعالى فصل في إعجاز القرءان اعلم
وفقنا الله وإياك أن كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة
ضبط أنواعها في أربعة وجوه أولها حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته ووجوه إيجازه
وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام قد خصوا
من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من الأمم وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يوت إنسان ومن فصل
الخطاب ما يقيد الألباب جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون — خ وفيهم غريزة وقوة
به إلى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب
ويمدحون ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر الحلال
ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآلي فيخدعون الألباب ويذللون الصعاب ويذهبون
الإحن ويهيجون الدمن ويجرئون الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص — الإحن: الحقد والعداوة
كاملا ويتركون النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام الفخم
والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة والألفاظ الناصعة والكلمات — خ الجوهري
الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا
البابين فلهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناهج لا يشكون — خ فلهم
أن الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا
من كل باب من أبوابها وعلوا صرحا لبلوغ أسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا في الغث والسمين
وتقاولوا في القل والكثر وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم إلا رسول كريم بكتاب عزيز لا
يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد أحكمت آياته وفصلت كلماته
وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول وتظافر إيجازه وإعجازه وتظاهرت حقيقته
ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه واعتدل مع

إيجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه وهم أفسح ما كانوا في هذا الباب مجالا
وأشهر في الخطابة رجالا وأكثر في السجع والشعر سجالا وأوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم
التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين
عاما على رؤوس الملإ أجمعين أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من
دون الله إن كنتم صادقين وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله إلى قوله
ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرءان الآية وقل فأتوا بعشر
سور مثله مفتريات وذلك أن المفتري أسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار أقرب واللفظ
إذا تبع المعنى الصحيح كان أصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما
يريد وللأول على الثاني فضل وبينهما شأو بعيد فلم يزل يقرعهم صلى الله عليه وسلم أشد التقريع
ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم
وآباءهم ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون
عن مماثلته يخادعون أنفسهم بالتشغيب بالتكذيب والإغراء بالافتراء وقولهم إن هذا
إلا سحر يؤثر وسحر مستمر وإفك افتراه وأساطير الأولين والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم
قلوبنا غلف وفي أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا
لهذا القرءان والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا
إلا أساطير الأولين وقد قال لهم الله ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من
سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم
وإلا فلم يخف على أهل الميز منهم أنه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه
مدبرين وأتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي
صلى الله عليه وسلم إن الله يأمر بالعدل والإحسان الآية قال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة
وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر وذكر أبو عبيد أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ

فاصبح بما توهم فيسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع اخر رجلا يقول فلما استياسوا منه خلصوا
نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كان يوما نائما في المسجد فاذا هو بقائم على راسه يتشهد بشهادة الحق فاستخبره فاعلمه
انه من بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع قوما من اسرى المسلمين يقرؤون
اية من كتابكم فتاملتها فاذا هو قد جمع فيها ما انزل على عيسى ابن مريم من احوال الدنيا
والاخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الاية وحكى الاصمعي
انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت او يعد هذا فصاحة بعد قول الله
تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الاية فجمع في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين
فهذا نوع من اعجازه منفرد بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين وكون القرآن
من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه عليه السلام متحديا به معلوم
ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا للعادة معلوم ضرورة
للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من
اهلها عن معارضته واعتراف المقرين باعجاز بلاغته وانت اذا تاملت قوله تعالى ولكم في القصاص
حياة وقوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب وقوله تعالى ادفع بالتي
هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وقوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي
ماءك ويا سماء اقلعي الاية وقوله فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الاية
واشباهها من الاي بل اكثر القرآن حققت ما بينته لك من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها
وديباجة عبارتها وحسن تاليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا
كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت
المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف
يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان اية لمتامله من ربط الكلام

بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجوهه كقصة يوسف عليه السلام على طولها
ثم اذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة منها
تنسي في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس من ترديدها
ولا معاداة لمعادها فصل الوجه الثاني من اعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب
الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع
اياته وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة
شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم
من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن مغيرة وقرا
عليه القرآن رق فجاءه ابو جهل منكرا عليه قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني
والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا وفي خبره الاخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم
وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رايا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال
والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه قالوا نقول مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه
ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه
ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده
قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر
فانه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء واخيه والمرء وزوجته والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا
على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا الايات وقال
عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم اني لم اترك شيئا الا وقد علمته وقراته
وقلته والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة
وقال النضر بن الحارث نحوه وفي حديث اسلام ابي ذر رضي الله عنه ووصف اخاه انيسا فقال والله
ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة

وجاء الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر كاهن ساحر
لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم ولا يلتئم على
لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز
بكل واحد من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها او الاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع
اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما اذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين منها
لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب غير واحد من الائمة المحققين وذهب بعض المقتدى بهم
الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب واتى على ذلك بقول تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب
والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تقدم في علوم البلاغة وارهف
خاطره ولسانه ادب الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف ائمة اهل السنة
في وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه ما جمع في قوة جزالته ونصاعة الفاظه وحسن
نظمه وايجازه وبديع تاليفه واسلوبه لا يصح ان يكون في مقدور البشر وانه من باب
الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح الحصى وذهب
الشيخ ابو الحسن الاشعري الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم الله
عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه وقال به جماعة من
اصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدور
البشر وتحديهم بان ياتوا بمثله قاطع وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء
بشر مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر اية واقمع دلالة وعلى كل حال فما اتوا
في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من
شموخ الانف واباءة الضيم بحيث لا يوثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضة
لو كانت من قدرهم والشغل بها اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر وافحام الخصم لديهم
وهم ممن لهم قدرة على الكلام وقدوة في المعرفة به لجميع الانام وما منهم الا من جهد جهده

واستفرغ ما عنده في اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم
ولا اتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد
بل ابلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان نوعان من اعجازه فصل الوجه الثالث
من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى
الوجه الذي اخبر كقوله تعلى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وقوله تعلى وهم من
بعد غلبهم سيغلبون وقوله تعلى ليظهره على الدين كله وقوله تعلى وعد الله الذين امنوا منكم
وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض وقوله تعلى اذا جاء نصر الله والفتح الى اخرها
فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل الناس في الاسلام
افواجا فما مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف
المومنين في الارض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق الى اقصى المغارب كما
قال عليه السلام زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي
لي منها وقوله تعلى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى
في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم
وقوتهم اليوم نيفا على خمسمائة عام فما قدروا على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من
كلامه ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله تعلى سيهزم الجمع
ويولون الدبر وقوله تعلى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الاية وقوله تعلى هو الذي ارسل رسوله
الاية وقوله تعلى لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم الاية فكان كل ذلك وما فيه
من كشف اسرار المنافقين واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله
تعلى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله تعلى يخفون في انفسهم ما لا يبدون
لك الاية وقوله تعلى ومن الذين هادوا سماعون للكذب الاية وقوله تعلى من الذين هادوا
يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله تعلى في الدين وقد قال مبديا ما قدره الله واعتقده المومنون

يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون
لكم ومنه قوله تعالى انا كفيناك المستهزءين ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
اصحابه بان الله كفاه اياهم وكان المستهزءون نفرا بمكة ينفرون الناس عنه ويوذونه
فهلكوا وقوله تعالى والله يعصمك من الناس فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد
قتله والاخبار بذلك معروفة صحيحة **فصل الوجه الرابع** ما انباه من اخبار القرون السالفة
والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل
الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه وياتي به على
نصه فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه صلى الله
عليه وسلم امي لا يقرا ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم يغب عنهم ولا جهل حاله
احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسالونه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه
من القران ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف
واخوته واصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانباء وبدء الخلق وما
في التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على
تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك فمن موفق امن بما سبق له من خير ومن شقي معاند
حاسد ومع هذا لم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم
على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم
وكثرة سؤالهم له عليه السلام وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم ومستودعات
سيرهم واعلامه لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين
واصحاب الكهف وعيسى وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام
ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله تعالى مثلهم في التورية ومثلهم
في الانجيل وغير ذلك من امورهم التي نزل فيها القران فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك

انه

انه انكر ذلك او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف بعناده وحسده
اياه كاهل نجران وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن باهت في ذلك بعض المباهتة
وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة دعي الى اقامة حجته وكشف دعوته
فقيل له قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا
الى احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته من كتابه
يده ولم يوثر ان واحدا منهم اظهر خلاف قوله من كتبه ولا ابدى صحيحا ولا سقيما من
صحفه قال تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب
ويعفو عن كثير الايتين **فصل هذه الوجوه الاربعة** من اعجازه بينة لا نزاع فيها
ولا مرية ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه اي وردت بتعجيز قوم في
قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود قل ان كانت
لكم الدار الاخرة عند الله خالصة الاية قال ابو اسحق الزجاج في هذه الاية اعظم حجة
واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم
يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص
بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله وصحة ما
اوحي اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن الله يفعل ما
يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال القاضي ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم انه
لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله بذلك نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا
موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك اية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد
عليه اساقفة نجران وابوا الاسلام فانزل الله تعالى اية المباهلة بقوله تعالى فمن حاجك فيه
الاية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه نبي وانه
ما لاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا

على عجزنا الى قوله ولن تفعلوا فاخبر انهم لا يفعلون كما كان وبعد هذه الآية ادخل في
باب الاخبار عن الغيب ولاكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها. فصل ومنها الروعة
التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته
لقوة حاله وانافة خطره وهي على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه
ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويودون انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال عليه السلام
ان القرآن صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم واما المومن فلا تزال روعته به وهيبته
اياه مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به قال تعالى
تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال تعالى لو انزلنا
هذا القرآن على جبل الآية ويدل على ان هذا شيء خص به انه يعتري من لا يفهم معانيه ولا
يعلم تفاسيره كما روي عن نصراني انه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجى
والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لها لاول وهلة
وآمن به ومنهم من كفر فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ام خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى قوله
المسيطرون كاد قلبي ان يطير وفي رواية وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي وعن عتبة بن ربيعة
انه كلم النبي صلى الله عليه وسلم في ما جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم حم فصلت الى قوله
تعالى صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة بيده على في النبي صلى الله عليه وسلم
وناشده الرحم ان يكف وفي رواية فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه
خلف ظهره معتمد عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم وقام عتبة
لا يدري بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر لهم وقال والله لقد
كلمني بكلام والله ما سمعت اذناي بمثله قط فما دريت ما اقول له وقد حكي عن غير واحد
ممن رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك

ورام

ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ وقيل يا ارض ابلعي ماءك فرجع ومحا ما عمل وقال اشهد
ان هذا لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من افصح اهل وقته وكان يحيى بن حكم
الغزال بليغ الاندلس في زمانه فحكي انه رام شيئا من هذا فنظر في سورة الاخلاص
ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال فاعترتني خشية ورقة حملتني على التوبة
والانابة. فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا
مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون وقال تعالى لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وسائر معجزات الانبياء عليهم السلام انقضت
بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرآن العزيز الباهرة آياته الظاهرة معجزاته
على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين سنة لاول نزوله الى وقتنا هذا
حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم
اللسان وائمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادي
للشرع عتيد فما منهم من اتى بشيء يوثر في معارضته ولا الف كلمتين في مناقضته ولا
قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه في ذلك الا بزند شحيح بل المأثور
عن كل من رام ذلك القاؤه في العجز بيديه والنكوص على عقبيه. فصل وقد عد جماعة
من الائمة ومقلدي الامة في اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله وسامعه
لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا
وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد ويعادى اذا اعيد
وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويونس بتلاوته في الازمات وسواه من الكتب لا يوجد
فيها ذلك حتى احدث لها اصحابها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على قراءتها
ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بانه لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره ولا تفنى
عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة

من الذي لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به
ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تجمعها العرب عامة ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوءته
خاصة مع فصاحتها ولا القيام بها ولا يحيط بها احد من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتب
من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرائع والتنبيه على طرق الحجج العقليات والرد
على فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة سهلة الالفاظ موجزة المقاصد
رام المتحذلقون بعد ان ينصبوا ادلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله تعالى اوليس
الذي خلق السماوات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقل يحييها الذي انشاها اول
مرة ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا الى ما حواه من علوم الغيب وانباء الامم والمواعظ
والحكم واخبار الدار الآخرة ومحاسن الآداب والشيم قال الله عز وجل ما فرطنا في
الكتاب من شيء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن
من كل مثل وقال عليه السلام ان الله انزل هذا القرآن آمرا وزاجرا وسنة خالية
ومثلا مضروبا فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلقه
طول الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن
خاصم به فلج ومن قسم به اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم
ومن طلب الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور
المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة
لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة
الرد ونحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان فيه نبأ الاولين
والآخرين وفي الحديث قال الله تعالى لمحمد عليه السلام اني منزل عليك توراة حديثة تفتح
بها اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة وربيع القلوب
وعن كعب عليكم بالقرآن فانه فهم العقل ونور الحكمة وقال تعالى ان هذا القرآن يقص

على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى الآية
فجمع فيه مع وجازة الالفاظ وجوامع كلمه اضعاف ما في الكتب قبله التي الفاظها
على الضعف منه مرات ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج بنظم القرآن
وحسن وصفه وايجازه وبلاغته واثناء هذه البلاغة امره ونهيه ووعده ووعيده
فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة ومنها
ان جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور لان المنظوم اسهل على النفوس
واوعى للقلوب واسمح في الآذان واحلى على الافهام فالناس اليه اميل والاهواء اليه اسرع
ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه قال تعالى ولقد يسرنا القرآن
للذكر وسائر الامم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف الجم على مرور السنين عليهم
والقرآن ميسر حفظه للغلمان في اقرب مدة ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا
وحسن ائتلاف انواعها والتئام اقسامها وحسن التخلص من قصة الى اخرى والخروج
من باب الى غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة الى امر ونهي وخبر
واستخبار ووعد ووعيد واثبات نبوة وتوحيد وتفريد وترغيب وترهيب الى
غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله والكلام الفصيح اذا اعتوره مثل
هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه وتقلقلت الفاظه فتامل اول ص
وما جمع فيها من اخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما
ذكر من تكذيبهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما اتى به والخبر عن اجتماع ملائهم
على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم بخزي الدنيا
والآخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيد هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبي
صلى الله عليه وسلم على اذاهم وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصص
الانبياء عليهم السلام كل هذا باوجز كلام واحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة التي

انطوت عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز القرءان
وجوه كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها اذ اكثرها داخل في باب بلاغته فلا يجب ان يعد فنا منفردا
في اعجازه الا في باب تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه
وفضائله لا اعجازه وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما بعدها
من خواص القرءان وعجائبه التي لا تنقضي والله ولي التوفيق وهو المستعان فصل في انشقاق القمر
وحبس الشمس قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا
سحر مستمر اخبر تعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة عن اياته واجمع
المفسرون واهل السنة على وقوعه اخبرنا الحسين بن محمد الحافظ من كتابه حدثنا القاضي
سراج بن عبد الله ثنا الاصيلي ثنا المروزي ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا مسدد ثنا يحيى عن
شعبة وسفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن ابي معمر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال انشق
القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق الاعمش
بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود وقال حتى رايت الجبل بين فرقتي القمر ورواه عنه مسروق
انه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا
ان كان سحر القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فسلوا من ياتيكم من بلد اخر
هل راوا هذا فاتوا فسالوا فاخبروهم انهم راوا مثل ذلك وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه
وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا الى اهل الافاق حتى تنظروا اراوا ذلك ام لا فاخبر اهل الافاق
انهم راوه منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود علقمة
فهؤلاء اربعة عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه ابن مسعود منهم انس وابن عباس
وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير بن مطعم رضي الله عنهم فقال علي من رواية ابي حذيفة الارحبي
انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم

ان يريهم آية فاراهم انشقاق القمر فرقتين حتى راوا حراء بينهما رواه عن انس قتادة
وفي رواية معمر وغيره عن قتادة عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة
وانشق القمر ورواه عن جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس
عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة ابو عبد الرحمن السلمي
ومسلم بن ابي عمران الازدي واكثر طرق هذه صحيحة والاية مصرحة ولا يلتفت
الى اعتراض مخذول بانه لو كان هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل
لنا عن اهل الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم
لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في حد واحد لجميع اهل الارض فقد
يطلع على قوم قبل ان يطلع على اخرين وقد يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم من اقطار
الارض او يحول بين قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض
وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز
العليم واية القمر كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدوء والسكون وايجاف الابواب
وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك ما
يكون الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث
الثقات بعجائب يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع عظام تظهر في الاحيان بالليل في السماء
ولا علم عند احد منها وخرج الطحاوي في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه وراسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي قال لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم
انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء فرايتها
غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهباء في خيبر
قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي ان احمد بن صالح كان يقول

لا ينبغي لمن يكون سبيله العلم التخلف عن حفظه حديث أسماء لأنه من علامات النبوة
وروى يونس بن بكير في زيادة المغازي روايته عن ابن إسحق لما أسري برسول الله صلى الله
عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء فقال يوم الأربعاء
فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس. فصل
في نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم أما الأحاديث في هذا
فكثيرة جدا روى حديث نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة
من الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود رضي الله عنهم حدثنا أبو إسحق إبراهيم
ابن جعفر الفقيه بقراءتي عليه ثنا القاضي عيسى بن سهل ثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ثنا
أبو عمر بن الفخار ثنا أبو عيسى ثنا يحيى ثنا مالك عن إسحق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس
ابن مالك رضي الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلاة العصر فالتمس
الناس الوضوء فلم يجدوه فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ذلك الإناء يده وأمر الناس أن يتوضؤوا منه قال فرأيت الماء ينبع
من بين أصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم ورواه أيضا عن أنس
قتادة وقال بإناء فيه ماء يغمر أصابعه أو لا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلاث
مائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه أيضا حميد وثابت والحسن عن
أنس وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه وعنه أيضا وهم
نحو من سبعين رجلا وأما ابن مسعود ففي الصحيح عنه من رواية علقمة بينما نحن
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اطلبوا من معه فضل ماء فأتي بماء فصبه في إناء ثم وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع
من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن أبي الجعد

عن جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة
فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء إلا ما في ركوتك فوضع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون وفيه
فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروي مثله عن أنس
عن جابر وفيه أنه كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث
مسلم الطويل في ذكر غزوة بواط قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد
الوضوء وذكر الحديث بطوله وأنه لم يجد إلا قطرة في عزلاء شجب فأتي به النبي صلى الله عليه وسلم
فغمزه وتكلم بشيء لا أدري ما هو وقال ناد بجفنة الركب فأتيت بها فوضعتها
بين يديه وذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق أصابعه وصب
جابر عليه وقال بسم الله كما أمر قال فرأيت الماء يفور من بين أصابعه ثم فارت الجفنة
واستدارت حتى امتلأت وأمر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي أحد
له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى وعن الشعبي
أن النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره أتي بإداوة ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء
غيرها فسكبها في ركوة ووضع أصبعه وسطها وغمسها في الماء وجعل الناس يجيئون
ويتوضؤون ثم يقومون قال الترمذي رحمه الله وفي الباب عن عمران بن حصين ومثل
هذا في هذه المواطن الحفيلة والجموع الكثيرة لا تتطرق التهمة إلى المحدث به
لأنهم كانوا أسرع شيء إلى تكذيبه لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولأنهم كانوا ممن
لا يسكت على باطل فهؤلاء قد رووا هذا وأشاعوه ونسبوا حضور الجم الغفير له ولم
ينكر أحد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق
جميعهم له. فصل ومما يشبه هذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم تفجير الماء ببركته
وانبعاثه بمسه ودعوته فيما روى مالك رحمه الله في الموطأ عن معاذ بن جبل رضي الله عنه

في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من
العين بايديهم حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه
واعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن اسحاق فانخرق من الماء
ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما هاهنا قد
ملئ جنانا وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع وحديثه اتم في قصة الحديبية وهم اربع عشرة
مائة وبيرها لا تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء واتي بدلو منها فبصق فدعا وقال سلمة فاما
دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم وركابهم وفي غير هاتين الروايتين في هذه
القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية فاخرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب
ليس فيه ماء فروي الناس حتى ضربوا بعطن وعن ابي قتادة وذكر ان الناس شكوا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره فدعا بالميضاة فجعلها في ضبنه
ثم التقم فمها فالله اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس حتى رووا وملئوا كل اناء معهم
فخيل الي انها كما اخذها مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروي مثله عمران بن حصين
وذكر الطبري حديث ابي قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله عليه وسلم
خرج بهم ممدا لاهل مؤتة عندما بلغه قتل الامراء وذكر حديثا طويلا فيه معجزات
وايات للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم يفقدون الماء في غد وذكر حديث
الميضاة قال والقوم زهاء ثلاث مائة وفي كتاب مسلم انه قال لابي قتادة احفظ
علي ميضاتك فانه سيكون لها نبأ وذكر نحوه ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين
اصاب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه العطش في بعض اسفارهم فوجه رجلين من
اصحابه واعلمهما انهما يجدان امراة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان الحديث
فوجداها واتيا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل في اناء من مزادتيها وقال فيه ما

شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء في المزادتين ثم فتحت عزاليهما وامر الناس فملئوا اسقيتهم
حتى لم يدعوا شيئا الا ملئوه قال عمران رضي الله عنه ويخيل الي انهما لم تزدادا الا امتلاء
ثم امر فجمع للمراة من الازواد حتى ملا ثوبها وقال اذهبي فانا لم ناخذ من مائك شيئا
ولكن الله سقانا الحديث بطوله وعن سلمة بن الاكوع رضي الله عنه قال نبي الله صلى الله
عليه وسلم هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة فافرغها في قدح فتوضانا كلنا ندغفقه
دغفقة اربع عشرة مائة وفي حديث عمر رضي الله عنه في جيش العسرة وذكر ما اصابهم
من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب ابو بكر الى النبي
صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى قالت السماء فانسكبت
فملئوا ما معهم من انية ولم تجاوز العسكر وعن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال للنبي صلى الله
عليه وسلم وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم
وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال اشرب والحديث في هذا الباب كثير ومنه الاجابة
بدعاء الاستسقاء وما جانسه فصل ومن معجزاته عليه السلام تكثير الطعام ببركته
ودعائه صلى الله عليه وسلم حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا العذري ثنا الرازي ثنا
الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا سلمة بن شبيب ثنا الحسن بن اعين ثنا معقل
عن ابي الزبير عن جابر رضي الله عنه ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه
شطر وسق شعير فما زال الرجل ياكل منه وامراته وضيفهما حتى كاله فاتى النبي صلى الله
عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث ابي طلحة المشهور
واطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا من اقراص من شعير جاء به انس
تحت يده اي ابطه فامر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله ان يقول وحديث جابر في
اطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر فاقسم
بالله لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز وكان

رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك رواه عن جابر سعيد بن ميناء
وأيمن وعن ثابت مثله عن رجل من الأنصار وامرأته ولم يسمّهما قال وجيء بمثل الكف
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسطها في الإناء ويقول ما شاء الله فأكل من في البيت
والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلأ ممن قدم معه صلى الله عليه وسلم وبقي بعد ما شبعوا
مثل ما كان في الإناء وحديث أبي أيوب أنه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبي بكر من
الطعام زهاء ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من أشراف الأنصار
فدعاهم فأكلوا حتى تركوه ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين فأكلوا حتى
تركوا وما خرج منهم أحد حتى أسلم وبايع قال أبو أيوب فأكل من طعامي مائة وثمانون
رجلا وعن سمرة بن جندب أتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها
من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد آخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي بكر
كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر في الحديث أنه عجن صاع من طعام وصنعت
شاة فشوي سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلاثين ومائة إلا وقد حزّ له حزّة
من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فأكلنا أجمعون وفضل في القصعتين فحملته
على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن أبي عمرة الأنصاري عن أبيه ومثله لسلمة
ابن الأكوع وأبي هريرة وعمر بن الخطاب فذكروا مخمصة أصابت الناس مع النبي صلى الله
عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الأزواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام وفوق ذلك
وأعلاهم الذي أتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا
الناس بأوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء إلا ملؤوه وبقي منه وعن أبي هريرة رضي الله عنه
قال أمرني النبي صلى الله عليه وسلم أن أدعو أهل الصفة فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت
بين أيدينا صحفة فأكلنا ما شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع
وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا

ال

أربعين منهم من يأكل الجذعة ويشرب الفرق فصنع لهم مدا من طعام فأكلوا حتى
شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كأنه لم يشرب وقال
أنس إن النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب أمرني أن أدعو له قوما سماهم وكل من
لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة وقدم إليهم تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا
فوضعه قدامه وغمس ثلاث أصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور نحوا
مما كان وكان القوم أحدا وسبعين أو اثنين وسبعين وفي رواية أخرى في هذه القصة أو مثلها أن
القوم كانوا زهاء ثلاثمائة وأنهم أكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا أدري حين
وضعت كانت أكثر أو حين رفعت وفي حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن علي أن
فاطمة طبخت قدرا لغدائهما ووجهت عليا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى
معهما فأمرها فغرفت منها لجميع نسائه صحفة صحفة ثم له عليه السلام ولعلي ثم لها
ثم رفعت القدر وإنها لتفيض قالت فأكلنا منها ما شاء الله وأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه
أن يزود أربعمائة راكب من أحمس فقال يا رسول الله ما هي إلا أصوع قال اذهب
فزودهم منها وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من رواية دكين الأحمسي
ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان بن مقرن الخبر بعينه إلا أنه قال أربعمائة راكب
من مزينة ومن ذلك حديث جابر في دين أبيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء أبيه أصل ماله
فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنين كفاف دينهم فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أمر
بجدها وجعلها بيادر في أصولها فمشى فيها ودعا فأوفى منه جابر غرماء أبيه وفضل
مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما أعطاهم قال وكان الغرماء يهودا فعجبوا
من ذلك وقال أبو هريرة رضي الله عنه أصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم هل من شيء فقلت نعم شيء من التمر في المزود قال فأتني به فأدخل يده فأخرج
قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة فأكلوا حتى شبعوا ثم عشرة

عن ذلك حتى اكل الجيش كلهم وشبعوا وقال خذ ما جئت به وادخل يدك واقبض منه ولا
تكبه فقبضت على اكثر مما جئت به فاكلت منه واطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان فانتهب مني فذهب وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر
كذا وكذا من وسق في سبيل الله وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وان التمر كان
بضع عشرة تمرة ومنه ايضا حديث ابي هريرة رضي الله عنه حين اصابه الجوع فاستتبعه
النبي صلى الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد اهدي اليه وامره ان يدعو اهل الصفة قال
فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة اتقوى بها فدعوتهم وذكر امر
النبي صلى الله عليه وسلم له ان يسقيهم فجعلت اعطي الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذه
الاخر حتى روي جميعهم قال فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت
اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب فشربت وما زال يقولها واشرب حتى قلت
لا والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكا فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة
ومن حديث خالد بن عبد العزى انه اجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خالد
كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عياله عظما عظما وان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه
الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا وافضلوا
ذكره الدولابي ومن حديث الاجلح في انكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي وفاطمة
ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة ويذبح جزورا
لوليمتها قال فاتيته بذلك فطعن في راسها ثم ادخل الناس رفقة رفقة ياكلون
منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك فيها وامر بحملها الى ازواجه وقال كلن
واطعمن من غشيكن وفي حديث انس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصنعت
امي ام سليم حيسا فجعلته في تور فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه
وادع لي فلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته الا دعوته وذكر انهم كانوا زهاء

ثلاثمائة حتى ملأوا الصفة والحجرة فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة عشرة
ووضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا
حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما ادري احين وضعت كانت اكثر او حين رفعت واكثر
احاديث هذه الفصول الثلاثة في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل بضعة
عشر من الصحابة رواه عنهم اضعافهم من التابعين ثم من لا ينعد بعدهم واكثرها في
قصص مشهورة ومجامع مشهودة لا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر
لها على ما انكر

فصل في كلام الشجر وشهادتها بالنبوة واجابتها دعوته صلى الله عليه وسلم تسليما

الآية الحادية عشرة [illegible]

حدثنا احمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما اجازنيه عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر
ابن المهندس عن ابي القاسم البغوي ثنا احمد بن عمران الاخنسي ثنا ابو حيان التيمي وكان
صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه
اعرابي فقال يا اعرابي اين تريد قال الى اهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه
الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي قال النبي فادعها فانها تجيبك قال فدعوتها فاقبلت
تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى
مكانها وعن بريدة سأل اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله
يدعوك قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها
ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت السلام عليك يا رسول الله قال الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت
فدلت عروقها في ذلك الموضع فاستوت فقال الاعرابي ائذن لي اسجد لك قال لو امرت احدا
ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها قال فأذن لي ان اقبل يديك ورجليك
فأذن له وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقضي حاجته فلم ير شيئاً يستتر به فإذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال انقادي علي بإذن الله فانقادت
معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر أنه فعل بالأخرى مثل ذلك حتى إذا كان
بالمنصف بينهما قال التئما علي بإذن الله فالتأمتا. وفي رواية أخرى فقال يا جابر
قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقي بصاحبتك حتى أجلس
خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت أحضر وجلست
أحدث نفسي فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا
فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه
هكذا يمينا وشمالا. وروى أسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بعض مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إن الوادي
ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل أو حجارة قلت أرى نخلات متقاربات قال انطلق
وقل لهن إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركن أن تأتين لمخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد رأيت النخلات
يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي
قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى عدن إلى مواضعهن
وقال يعلى بن سيابة رضي الله عنه كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا
من هذين الحديثين وذكر فأمر وديتين فانضمتا وفي رواية أشاءتين وعن غيلان بن
سلمة الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في
غزوة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة أيضا وذكر أشياء رآها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكر أن طلحة أو سمرة جاءت فأطافت به ثم رجعت إلى منبتها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها استأذنت أن تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود

رضي الله عنه آذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن مجاهد
عن ابن مسعود في هذا الحديث أن الجن قالوا من يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة
فجاءت تجر عروقها لها قعاقع وذكر مثل هذا الحديث أو نحوه قال القاضي أبو الفضل
رحمه الله فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة وأسامة بن زيد
وأنس بن مالك وعلي بن أبي طالب وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم قد اتفقوا على
هذه القصة نفسها أو معناها ورواها عنهم من التابعين أضعافهم فصارت
في انتشارها من القوة حيث هي وذكر ابن فورك أنه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة
الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما
وبقيت على ساقين إلى وقتنا وهي هناك معروفة معظمة ومن ذلك حديث أنس
أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ورآه حزينا أتحب أن أريك آية
قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة
فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع فعادت إلى مكانها وعن علي رضي الله عنه
نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل قال اللهم أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها فدعا
شجرة وذكر مثله وحزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له
وذكر ابن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم أرى ركانة مثل هذه الآية في شجرة دعاها
فأتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن أنه عليه السلام شكا
إلى ربه من قومه وأنهم يخوفونه وسأله آية يعلم بها أن لا مخافة عليه فأوحى الله إليه
أن ائت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك ففعل فجاء يخط الأرض خطا
حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال
يا رب علمت أن لا مخافة علي ونحو منه عن عمر وقال فيه أرني آية لا أبالي من كذبني بعدها
وذكر نحوه وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال لأعرابي أرأيت إن دعوت

بعذق من عذق النخلة أتشهد أني رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فدعاه
فجعل ينقز حتى أتاه فقال ارجع فعاد إلى مكانه وخرجه الترمذي وقال هذا حديث
صحيح. فصل في قصة حنين الجذع ويعضد هذه الأخبار حديث أنين الجذع
وهو في نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر خرجه أهل الصحيح ورواه من الصحابة
رضوان الله عليهم بضعة عشر منهم أبي بن كعب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك
وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد وأبو سعيد الخدري وبريدة وأبي
وأم سلمة والمطلب بن أبي وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي
وحديث أنس صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل فكان
النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا
لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية أنس حتى ارتج المسجد بخواره وفي
رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا به وفي رواية المطلب وأبي حتى تصدع
وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال
النبي صلى الله عليه وسلم إن هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم
ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به
نبي الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب وسهل بن سعد وإسحاق
عن أنس وفي بعض الروايات عن سهل فدفن تحت منبره أو جعل في السقف وفي حديث
أبي فكان إذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى إليه فلما هدم المسجد أخذه أبي فكان عنده
إلى أن أكلته الأرض وعاد رفاتا وذكر الإسفرايني أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه إلى
نفسه فجاءه يخرق الأرض فالتزمه ثم أمره فعاد إلى مكانه وفي حديث بريدة فقال يعني
النبي صلى الله عليه وسلم إن شئت أردك إلى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل
خلقك ويجدد لك خوص وثمرة وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك

ثم

ثم أصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسني في الجنة فيأكل
مني أولياء الله وأكون في مكان لا أبلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن إذا حدث بهذا بكى وقال
يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا إليه لمكانه فأنتم أحق
أن تشتاقوا إلى لقائه رواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص وأيمن
وأبو نضرة وابن المسيب وسعيد بن أبي كرب وكريب وأبو صالح ورواه عن أنس بن مالك
الحسن وثابت وإسحاق بن أبي طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وأبو حية ورواه أبو نضرة
وأبو الوداك عن أبي سعيد وعمار بن أبي عمار عن ابن عباس وأبو حازم وعباس بن سهل
ابن سعد عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن بريدة عن أبيه والطفيل
ابن أبي عن أبيه قال القاضي أبو الفضل رحمه الله فهذا حديث كما تراه خرجه أهل الصحة
ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم إلى من لم نذكره ومن دون هذه
العدة يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب. فصل ومثل هذا
في سائر الجمادات حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى التميمي ثنا القاضي أبو عبد الله
محمد بن المرابط ثنا المهلب أبو القاسم ثنا أبو الحسن القابسي ثنا المروزي ثنا الفربري ثنا
البخاري ثنا محمد بن المثنى ثنا أبو أحمد الزبيري ثنا إسرائيل عن منصور عن إبراهيم عن علقمة
عن عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي غير هذه الرواية
عن ابن مسعود كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه
وقال أنس أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن ثم في أيدينا فما سبحن
وروى مثله أبو ذر رضي الله عنه وذكر أنهن سبحن في كف عمر وعثمان وقال علي كنا بمكة
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إلى بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل إلا قال له

السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه عليه السلام اني لأعرف حجرا بمكة كان
يسلم علي قيل انه الحجر الاسود وعن عائشة رضي الله عنها قال لما استقبلني جبريل عليه السلام
بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله
لم يكن صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي حديث العباس رضي الله عنه
اذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار
كستري اياهم بملاءتي هذه فأمنت اسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين وعن جعفر
ابن محمد عن ابيه عليهما السلام مرض النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه جبريل بطبق فيه رمان
وعنب فأكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح وعن انس صعد النبي صلى الله عليه وسلم
وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف بهم فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان
ومثله عن ابي هريرة في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير وقال فانما عليك نبي او صديق
او شهيد والخبر في حراء ايضا عن عثمان قال ومعه عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد عبد الرحمن
وسعدا قال ونسيت الاثنين وفي حديث سعيد بن زيد ايضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه
وقد روي انه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فاني اخاف ان يقتلوك
على ظهري فيعذبني الله فقال حراء الي يا رسول الله وروى ابن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الجبار
انا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس كان حول البيت
ستون وثلاث مائة صنم مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول جاء الحق
وزهق الباطل الاية فما اشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا لقفاه الا وقع لوجهه
حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن مسعود وقال فجعل يطعنها ويقول جاء الحق
وما يبدئ الباطل وما يعيد ومن ذلك حديثه مع الراهب في ابتداء امره اذ خرج تاجرا مع عمه

وكان

وكان الراهب لا يخرج الى احد فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ من قريش وما
علمك فقال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا ولا تسجد الا لنبي وذكر القصة ثم قال
واقبل النبي صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه
الى فيء الشجرة فلما جلس مال الفيء اليه صلى الله عليه وسلم فصل في الآيات في ضروب الحيوانات
حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ ثنا ابي ثنا القاضي يونس ثنا ابو الفضل
الصقلي ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا ثنا ابو العلاء احمد بن عمران قال
حدثنا محمد بن فضيل ثنا يونس بن عمرو ثنا مجاهد عن عائشة رضي الله عنها قالت كان
عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ
ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب وروي عن عمر رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد ضبا فقال
من هذا قالوا نبي الله فقال واللات والعزى ما آمنت بك او يؤمن بك هذا الضب وطرحه
بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فأجابه بلسان مبين يسمعه
القوم جميعا لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه
وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن انا قال
رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك فأسلم الاعرابي
ومن قصة كلام الذئب المشهورة عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه بينا راع يرعى
غنما له عرض الذئب لشاة منها فأخذها الراعي منه فأقعى الذئب وقال للراعي الا
تتقي الله حلت بيني وبين رزقي قال الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس
فقال الذئب الا اخبرك بأعجب من ذلك رسول الله بين الحرتين يحدث الناس بأنباء ما
قد سبق فأتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم

في مجيئهم ثم قال أصدق والحديث فيه قصة وفي بعضه طول وروى حديث الذئب عن
أبي هريرة رضي الله عنه وفي بعض الطرق عن أهبان فقال الذئب أنت أعجب واقفا
على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط أعظم منه عنده قدرا قد فتحت
له أبواب الجنة وأشرف أهلها على أصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه إلا هذا الشعب
فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب أنا أرعاها حتى ترجع فأسلم
الرجل إليه غنمه ومضى وذكر قصته وإسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم
يقاتل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم عد إلى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح
للذئب شاة منها وعن أهبان بن أوس وأنه كان صاحب القصة والمحدث بها ومكلم الذئب
وعن سلمة ابن عمرو بن الأكوع وأنه كان صاحب القصة أيضا وسبب إسلامه بمثل
حديث أبي سعيد وقد روى ابن وهب مثل هذا أنه جرى لأبي سفيان بن حرب وصفوان بن أمية
مع ذئب وجداه أخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب فعجبا من ذلك فقال
الذئب أعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم إلى الجنة وتدعونه إلى النار
فقال أبو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روي مثل
هذا الخبر وأنه جرى لأبي جهل وأصحابه وعن عباس بن مرداس رضي الله عنه لما تعجب
من كلام ضمار صنمه وإنشاده الشعر الذي ذكر به النبي صلى الله عليه وسلم فإذا طائر
سقط فقال يا عباس أتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم يدعو إلى الإسلام وأنت جالس فكان سبب إسلامه وعن جابر بن عبد الله
أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وهو على بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها
لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم قال احصب وجوهها فإن الله سيؤدي عنك أمانتك
ويردها إلى أهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت إلى أهلها وعن أنس دخل النبي
صلى الله عليه وسلم حائطا للأنصار وأبو بكر وعمر ورجل من الأنصار وفي الحائط غنم فسجدت له

فقال

فقال أبو بكر رضي الله عنه نحن أحق بالسجود لك منها الحديث وعن أبي هريرة رضي الله عنه
دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا فجاء بعير فسجد له وذكر مثله ومثله في الجمل عن
ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل أحد
الحائط إلا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره
في الأرض وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين السماء والأرض شيء إلا يعلم أني رسول الله
إلا عاصي الجن والإنس ومثله عن عبد الله بن أبي أوفى وفي خبر آخر في حديث الجمل أن النبي
صلى الله عليه وسلم سألهم عن شأنه فأخبروه أنهم أرادوا ذبحه وفي رواية أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لهم إنه شكا كثرة العمل وقلة العلف وفي رواية إنه شكا إلي أنكم
أردتم ذبحه بعد أن استعملتموه في شاق العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي في
قصة العضباء وكلامها للنبي صلى الله عليه وسلم وتعرفها له بنفسها ومبادرة العشب
إليها في الرعي وتجنب الوحوش عنها ونداءهم لها إنك لمحمد وإنها لم تأكل ولم تشرب
بعد موته عليه السلام حتى ماتت ذكره الإسفرايني وروى ابن وهب أن حمام مكة
أظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا لها بالبركة وروي عن أنس وزيد بن أرقم
والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الغار أمر الله شجرة
فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم فسترته وأمر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفي
حديث آخر وأن العنكبوت نسجت على بابه فلما أتى الطالبون له ورأوا ذلك قالوا
لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي عليه السلام يسمع كلامهم فانصرفوا
وعن عبد الله بن قرط قرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات خمس أو ست أو سبع
لينحرها يوم عيد فازدلفن إليه بأيتهن يبدأ وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت كان النبي
صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صادني هذا الأعرابي ولي
خشفان في ذلك الجبل فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع قال وتفعلين قالت نعم

فأطلقها فذهبت ورجعت فأوثقها فأسلم الأعرابي وقال يا رسول الله لاحاجة فقال
تقتلون هذه الظبية فأطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول أشهد أن لا إله إلا
الله وأنك رسول الله ومن هذا الباب ما روي من تسخير الأسد لسفينة مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم إذ وجهه إلى معاذ باليمن فلقي الأسد فعرفه أنه مولى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك
وفي رواية أخرى عنه أن سفينة تكسرت به فخرج إلى جزيرة فإذا الأسد فقلت أنا مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق وأخذ عليه
السلام بأذن شاة لقوم من عبد القيس بين إصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي ذلك
الأثر فيها وفي نسلها بعد وما روي عن إبراهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار الذي أصابه
بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وأنه كان يوجهه
إلى دور أصحابه فيضرب عليهم الباب برأسه ويستدعيهم وأن النبي صلى الله عليه وسلم
لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة التي شهدت عند النبي صلى الله عليه وسلم
لصاحبها أنه ما سرقها وأنها ملكه وفي العنز التي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره
وقد أصابهم عطش ونزلوا على غير ماء وهم زهاء ثلاثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأروى الجند ثم قال لرافع املكها وما أراك تملكها فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع
وغيره وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الذي جاء بها هو الذي ذهب بها وقال
لفرسه عليه السلام وقد قام إلى الصلاة في بعض أسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى نفرغ
من صلاتنا وجعلها قبلته فما حرك عضوا حتى صلى صلوات الله عليه ويلتحق بهذا
ما رواه الواقدي أن النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله إلى الملوك فخرج ستة نفر منهم
في يوم واحد فأصبح كل واحد منهم يتكلم بلسان القوم الذين بعثه إليهم والحديث في هذا
الباب كثير وقد جئنا منه بالمشهور منه وما وقع في كتب الأئمة فصل

في إحياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة حدثنا أبو الوليد
هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي أبو الوليد محمد بن رشد والقاضي أبو عبد الله
محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا وإذنا قالوا ثنا أبو علي الحافظ قال ثنا أبو عمر
الحافظ ثنا أبو زيد عبد الرحمن بن يحيى ثنا أحمد بن سعيد ثنا ابن الأعرابي ثنا أبو داود ثنا
وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه
أن يهودية أهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها فأكل رسول الله
صلى الله عليه وسلم منها وأكل القوم وقال ارفعوا أيديكم فإنها أخبرتني أنها مسمومة
فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت إن كنت نبيا لم يضرك الذي
صنعت وإن كنت ملكا أرحت الناس منك قال فأمر بها فقتلت وقد روي هذا الحديث
أنس وفيه قالت أردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا نقتلها قال لا
وكذلك روي عن أبي هريرة رضي الله عنه من رواية غير وهب قال فما عرض لها ورواه أيضا
جابر بن عبد الله وفيه أخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها وفي رواية الحسن أن فخذها
تكلمني أنها مسمومة وفي رواية أبي سلمة بن عبد الرحمن فقالت إني مسمومة وكذلك
ذكر الخبر ابن إسحاق وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث الآخر عن أنس أنه قال رضي الله عنه
فما زلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي مات منه ما زالت أكلة خيبر تعادني فهذا أوان
قطعت أبهري وحكى ابن إسحاق إن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مات شهيدا مع ما أكرمه الله تعالى به من النبوة وقال ابن سحنون أجمع أهل الحديث
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات في
ذلك عن أبي هريرة رضي الله عنه وأنس وجابر رحمهما الله وفي رواية ابن عباس أنه دفعها إلى أولياء
بشر بن البراء فقتلوها وكذلك قد اختلف في قتله للذي سحره قال الواقدي وعفوه عنه

اثبت عندنا وروي عنه انه قال هذا وروى الحديث البزار عن ابي سعيد فذكر مثله الا انه
قال في آخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله فأكلنا وذكرنا اسم الله فلم تضر احدا منا.
قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح وخرجه
الأيمة وهو حديث مشهور واختلف أيمة اهل النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو
كلام يخلقه الله تعالى في الشاة الميتة او الحجر او الشجر وحروف واصوات يحدثها
الله ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ ابي
الحسن والقاضي ابي بكر رحمهما الله وآخرون ذهبوا الى ايجاد الحياة بها اولا ثم الكلام
بعده، وحكي هذا ايضا عن شيخنا ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم اذ لم نجعل الحياة شرطا
لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها فاما
اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلابد من شرط الحياة لها اذ لا يوجد كلام النفس
الا من حي خلافا للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق في احالته وجود الكلام اللفظي
والحروف والاصوات الا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف
والاصوات والتزم ذلك في الحصا والذراع والجذع وقال ان الله خلق فيها حياة وخرق
لها فما ولسانا وآلة امكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به
آكد من التهمم بنقل تسبيحه او حنينه ولم ينقل احد من اهل السير والرواية شيئا
من ذلك فدل على سقوط دعواه مع انه لا ضرورة اليه في النظر والله الموفق وروى وكيع
رفعه عن فهد بن عطية ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال
من انا فقال رسول الله وروي عن معرض بن معيقيب رضي الله عنه رأيت من النبي صلى الله
عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث
شاصونة اسم راويه وفيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك
ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة

بمكة في حجة الوداع وعن الحسن ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له انه طرح بنية له
في وادي كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة اجيبي باذن الله فخرجت
وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما
قالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما وعن انس رضي الله عنه ان شابا من الانصار
توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم ان كنت
تعلم اني هاجرت اليك والى نبيك محمد صلى الله عليه وسلم رجاء ان تعينني على كل شدة فلا
تحمل علي هذه المصيبة فما برحنا ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا وروي عن
عبد الله بن عبيد الله الانصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل
باليمامة فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الشهيد
عثمان البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن النعمان بن بشير رضي الله عنه ان زيد بن
خارجة خر ميتا في بعض ازقة المدينة فرفع وسجي اذ سمعوه بين العشاءين والنساء
يصرخن حوله يقول انصتوا انصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي وخاتم
النبيين كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان ثم قال
السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان فصل في ابراء المرضى
وذوي العاهات اخبرنا ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه وقراته على غيره قال ثنا ابو اسحق
الحبال قال ثنا ابو محمد بن النحاس ثنا ابن الورد عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد
بن اسحق ثنا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقضية احد بطولها
قال وقالوا قال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني
السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ عن قوسه حتى اندقت
واصيبت يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكانت احسن عينيه وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن عياض

ابن عمر بن قتادة، ورواها أبو سعيد الخدري عن قتادة. وبصق على أثر سهم في وجه أبي
قتادة في يوم ذي قرد، قال: فما ضرب علي ولا قاح. وروى النسائي عن عثمان بن حنيف أن أعمى
قال: يا رسول الله ادع الله أن يكشف لي عن بصري، قال: فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم
قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيي محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي أن يكشف
عن بصري، اللهم شفعه في. قال: فرجع وقد كشف الله عن بصره. وروي أن ابن ملاعب
الأسنة أصابه استسقاء فبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخذ بيده حثوة
من الأرض فتفل عليها ثم أعطاها رسوله فأخذها متعجبا يرى أن قد هزئ به فأتاه بها
وهو على شفا فشربها فشفاه الله. وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك ويقال فريك
أن أباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عينيه فأبصر، فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين. ورمي كلثوم بن الحصين
ابن الحصين يوم أحد في نحره فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرأ. وتفل على شجة
عبد الله بن أنيس فلم تمد. وتفل في عيني علي يوم خيبر وكان رمدا فأصبح بارئا. ونفث على
ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبرئت. وفي رجل زيد بن معاذ حين أصابها السيف
إلى الكعب حين قتل ابن الأشرف فبرئت. وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق إذ انكسرت
فبرئ من مكانه وما نزل عن فرسه. واشتكى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فجعل يدعو فقال
النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم اشفه أو عافه، ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع
بعد. وقطع أبو جهل يوم بدر يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وألصقها فلصقت، رواه ابن وهب. ومن روايته أيضا أن خبيب بن
يساف أصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه حتى مال شقه
فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى صح. وأتته امرأة من خثعم معها صبي
به بلاء لا يتكلم فأتي بماء فمضمض فاه وغسل يديه ثم أعطاها إياه وأمرها بسقيه

ومسيه

ومسيه به فبرئ الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس. وعن ابن عباس جاءت امرأة بابن لها
به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود فسعى. وانكفأت
القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرئ لحينه.
وكانت في كف شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها
للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها أثر. وسألته جارية
طعاما وهو يأكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت إنما أريد من الذي
في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسأل شيئا فيمنعه فلما استقر في جوفها ألقي عليها
من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة أشد حياء منها عليه أفضل السلام

فصل

في إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم. وهذا الباب واسع جدا، وإجابة دعوة النبي صلى الله
عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة. وقد جاء في حديث
حذيفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولده وولد ولده.
حدثنا أبو محمد العتابي بقراءتي عليه ثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ثنا أبو الحسن القابسي ثنا
أبو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبد الله بن أبي الأسود ثنا حرمي
ثنا شعبة عن قتادة عن أنس قال: قالت أمي: يا رسول الله خادمك أنس ادع الله له. قال: اللهم
أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيته. ومن رواية عكرمة قال أنس: فوالله إن مالي لكثير
وإن ولدي وولد ولدي ليتعادون اليوم على نحو المائة. وفي رواية: وما أعلم أحدا أصاب من
رخاء العيش ما أصبت، ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي لا أقول سقطا ولا ولد
ولد. ومنه دعاؤه صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف بالبركة. قال عبد الرحمن رضي الله عنه:
فلو رفعت حجرا لرجوت أن أصيب تحته ذهبا. وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته
بالفؤوس حتى مجلت فيه الأيدي، وأخذت كل زوجة ثمانين ألفا وكن أربعا، وقيل مائة
ألف، وقيل بل صولحت إحداهن لأنه طلقها في مرضه على نيف وثمانين ألفا. وأوصى

بخمسين ألفاً بعد صدقاته الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة أعتق يوماً ثلاثين عبداً وتصدق يوماً بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها وأحلاسها ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة ولسعد بن أبي وقاص أن يجيب الله دعوته فما دعا على أحد إلا استجيب له ودعا بعز الإسلام بعمر أو بأبي جهل فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود رضي الله عنه ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر رضي الله عنه وأصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم أقلعت ودعا في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا إليه المطر فدعا فصحوا وقال لأبي قتادة أفلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة وقال للنابغة لا يفضض الله فاك فما سقطت له سن وفي رواية فكان أحسن الناس ثغراً إذا سقطت له سن نبتت له أخرى وعاش عشرين ومائة سنة وقيل أكثر من هذا ودعا لابن عباس رضي الله عنه اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فسمي بعد الحبر وترجمان القرآن ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة يمينه فما اشترى شيئاً إلا ربح فيه ودعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر من المال ودعا بمثله لعروة بن أبي الجعد فقال فلقد كنت أقوم بالكناسة فما أرجع حتى أربح أربعين ألفاً وروي مثل هذا لغرقدة أيضاً وندت له صلى الله عليه وسلم ناقة فدعا فجاءه بها إعصار ريح حتى ردها عليه ودعا لأم أبي هريرة فأسلمت ودعا لعلي رضي الله عنه أن يكفى الحر والقر فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد ودعا لفاطمة ابنته رضي الله عنها أن لا يجيعها الله قالت فما جعت بعد وسأله الطفيل بن عمرو آية لقومه فقال اللهم نور له فسطع نور بين عينيه فقال يا رب أخاف أن يقولوا مثلة فتحول إلى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا على مضر فأقحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على

وقال البخاري في حديثه وكان لو اشترى التراب لربح فيه

كسرى

كسرى حين مزق كتابه أن يمزق ملكه فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في أقطار الدنيا ودعا على صبي قطع عليه الصلاة أن يقطع الله أثره فأقعد وقال لرجل رآه يأكل بشماله كل بيمينك فقال لا أستطيع فقال لا استطعت فلم يرفعها إلى فيه وقال لعتبة بن أبي لهب اللهم سلط عليه كلباً من كلابك فأكله الأسد وقال لامرأة أكلك الأسد فأكلها وحديثه المشهور من رواية عبد الله بن مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم قال فلقد رأيتهم قتلوا يوم بدر ودعا على الحكم بن أبي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم فرآه فقال كذلك فكن فلم يزل يختلج إلى أن مات ودعا على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الأرض ثم ووري فلفظته مرات فألقوه بين الصدين ورضموا عليه بالحجارة إلى جانب الوادي وجحد رجل بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم فرد النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم إن كان كاذباً فلا تبارك له فيها فأصبحت شاصية برجلها ومن هذا الباب أكثر من أن يحاط به

فصل

في كراماته وبركاته وانقلاب الأعيان له فيما لمسه أو باشره أخبرنا أحمد بن محمد ثنا أبو ذر الهروي إجازة وحدثنا القاضي أبو علي سماعاً والقاضي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا ثنا أبو الوليد القاضي ثنا أبو ذر ثنا أبو محمد وأبو إسحاق وأبو الهيثم ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا ابن يزيد بن زريع ثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن أهل المدينة فزعوا مرة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرساً لأبي طلحة كان يقطف أو به قطاف وقال غيره بطيئاً فلما رجع قال وجدنا فرسكم بحراً فكان بعد لا يجارى ونخس جمل جابر وكان قد أعيا فنشط حتى كان ما يملك زمامه وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الأشجعي خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك رأسها نشاطاً وباع من بطنها باثني عشر ألفاً وركب حماراً قطوفاً لسعد بن عبادة فرده هملاجاً لا يساير وكانت

شعرات من شعره صلى الله عليه وسلم في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا الا
رزق النصر وفي الصحيح ان اسما بنت ابي بكر رضي الله عنهما اخرجت جبة طيالسة
وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفون بها
وحدثنا القاضي ابو علي عن شيخه ابي القاسم بن المامون قال كانت عندنا قصعة من
قصاع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها الماء للمرضى فيستشفون بها واخذ جهجاه
الغفاري القضيب من يد عثمان ليكسره على ركبته فصاح الناس به فاخذته
الاكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول وسكب رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضل وضوءه
في بير قباء فما نزفت بعد وبزق في بير كانت في دار انس فلم يكن في المدينة اعذب منها
ومر على ماء فسال عنه فقيل اسمه بيسان وماؤه ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب
فطاب واتى عليه السلام بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار اطيب من المسك واعطى الحسن
والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان لام مالك عكة تهدي
فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فامرها النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تعصرها ثم دفعها
اليها فاذا هي مملوة سمنا فياتيها بنوها يسالونها الادم وليس عندهم شي فتعمد
اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها وكان يتفل في افواه الصبيان
المراضع فيجزيهم ريقه الى الليل ومن ذلك بركة يده عليه السلام فيما لمسه وغرسه
لسلمان حين كاتب مواليه على ثلاث مائة ودية يغرسها لهم كلها تعلق وتطعم وعلى
اربعين اوقية من ذهب فقام عليه السلام وغرسها بيده له الا واحدة غرسها غيره
فاخذت كلها الا تلك الواحدة فقلعها النبي صلى الله عليه وسلم وردها فاخذت وفي
كتاب البزار فاطعم النخل من عامه الا الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد ان ادارها على لسانه
فوزن منها لمواليه اربعين اوقية وبقي عنده مثل ما اعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل

دي

ووقف لله تعالى

رضي الله عنه سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من سويق فشربت اولها وشربت
اخرها فما برحت اجد شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت وبردها اذا ظمئت واعطى
قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق
به فانه سيضي لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى
سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل بيته
ووجد السواد فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل حطب وقال اضرب به حين
انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة ابيض شديد المتن
فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى ان استشهد في قتال اهل الردة وكان
هذا السيف يسمى العون ودفع عليه السلام لعبد الله بن جحش يوم احد وقد ذهب
سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا ومنه بركته عليه السلام في درور الشياه
الحوائل باللبن الكثير كقصة شاة ام معبد واعنز معاوية بن ثور وشاة انس
وغنم حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود وكانت لم ينز عليها فحل
وشاة المقداد ومن ذلك تزويده اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه فلما حضرتهم
الصلاة نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب وزبدة في فمه من رواية حماد بن سلمة ومسح على
راس عمير بن سعد وبرك فمات وهو ابن ثمانين سنة فما شاب وروي مثل هذه القصة عن غير
واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه عائذ بن
عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس ومسح على راس قيس
ابن زيد الجذامي ودعا له فهلك ابن مائة سنة وراسه ابيض وموضع كف رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما مرت يده عليه من شعره اسود فكان يدعى الاغر وروي مثل
هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني ومسح وجه اخر فما زال على وجهه نور ومسح

وجه اخي عمار الا على وجهه نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق حتى كان
ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ووضع يده عليه السلام على راس حنظلة بن حذيم
وبرك عليه فكان حنظلة يوتى بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع
على موضع كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ونضح في وجه زينب بنت ام سلمة نضحة
من ماء فما يعرف كان في وجه امراة من الجمال ما بها ومسح صلى الله عليه وسلم على راس صبي
به عاهة فبرا واستوى شعره وورد مثله في خبر الهلب بن قنافة وعلى غير واحد من الصبيان
المرضى والمجانين فبرؤوا واتاه رجل به ادرة فامره ان ينضحها بماء من عين مج فيها
ففعل فبرا وعن طاوس لم يوت النبي صلى الله عليه وسلم باحد به مس فصك في صدره الا ذهب
المس والجنون ومج عليه السلام في دلو من بير ثم صب فيها ففاح منها ريح المسك
واخذ قبضة من تراب يوم بدر ورمى بها في وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا
يمسحون القذى عن اعينهم وشكا اليه ابو هريرة النسيان فامره ببسط ثوبه وغرف
بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد وما يروى عنه في هذا الباب كثير
وضرب صدر جرير بن عبد الله ودعا له وكان ذكر له انه لا يثبت على الخيل فصار من افرس
العرب واثبتهم ومسح راس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير وكان دميما ودعا له
بالبركة ففرع الرجال طولا وتماما فصل ومن ذلك الحديث ما اطلع عليه من الغيوب
وما يكون والاحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من
جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة رواتها
واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا الامام ابو بكر محمد بن الوليد الفهري
اجازة وقراته على غيره قال ابو بكر ثنا ابو علي التستري ثنا ابو عمر الهاشمي ثنا اللولوي
ثنا ابو داود ثنا عثمان بن ابي شيبة ثنا جرير عن الاعمش عن ابي وائل عن حذيفة رضي الله
عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك

الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي
هولاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه
ثم اذا راه عرفه ثم قال حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه والله ما ترك رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاث مائة فصاعدا
الا قد سماه لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر رضي الله عنه لقد تركنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علما وقد
خرج اهل الصحيح والايمة ما اعلم به اصحابه صلى الله عليه وسلم مما وعدهم به من الظهور
على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن
المراة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله وان المدينة ستغزى ويفتح خيبر على يدي علي
في غد يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا ويوتون من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى
وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن والاختلاف والاهواء وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم
على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة وانها ستكون لهم انماط ويغدو
احدهم في حلة ويروح في اخرى وتوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى ويسترون بيوتهم
كما تستر الكعبة ثم قال اخر الحديث وانتم اليوم خير منكم يومئذ وانهم اذا مشوا
المطيطاء وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله باسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم
وقتالهم الترك والخزر والروم وذهاب كسرى وفارس حتى لا كسرى ولا فارس بعده وقيصر
حتى لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات قرون الى اخر الدهر وبذهاب الامثل فالامثل
من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال عليه السلام ويل
للعرب من شر قد اقترب وانه زويت له الارض فاري مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك
امته ما زوي له منها ولذلك كان امتدت في المشارق والمغارب ما بين ارض الهند اقصى
المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم تملكه امة من الامم ولم تمتد

في الجنوب ولا في الشمال مثلها لا وقوله عليه السلام لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق
حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني إلى أنهم العرب لأنهم المختصون بالسقي بالغرب
وهي الدلو وغيره يذهب إلى أنهم أهل المغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي
حديث آخر من رواية أبي أمامة لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق قاهرين لعدوهم
حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله وأين هم قال ببيت المقدس وأخبر
بملك بني أمية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ بني أمية مال الله دولا وخروج ولد
العباس بالرايات السود وملكهم أضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال أهل بيته
وتقتيلهم وتشريدهم وقتل علي وأن أشقاها الذي يخضب هذه من هذه أي لحيته
من رأسه وأنه قسيم النار يدخل أولياؤه الجنة وأعداؤه النار فكان فيمن عاداه
الخوارج والناصبة وطائفة ممن ينسب إليه من الروافض كفروه وقال يقتل عثمان
وهو يقرأ في المصحف وأن الله عسى أن يلبسه قميصا وأنهم يريدون خلعه وأنه سيقطر
دمه على قوله تعالى فسيكفيكهم الله وأن الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة
الزبير لعلي رضي الله عنهما وبنباح كلاب الحوأب على بعض أزواجه وأنه يقتل حولها قتلى
كثير وتنجو بعد ما كادت فنبحت على عائشة عند خروجها إلى البصرة وأن عمارا
تقتله الفئة الباغية فقتله أصحاب معاوية وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك
وويل لك من الناس وقال في قزمان وقد أبلى مع المسلمين إنه من أهل النار فقتل نفسه
وقال في جماعة فيهم أبو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة آخركم موتا في النار
فكان بعضهم يسأل عن بعض فكان سمرة رضي الله عنه آخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى
بالنار فاحترق فيها وقال في حنظلة الغسيل سلوا زوجته عنه فإني رأيت الملائكة
تغسله فسألوها فقالت إنه خرج جنبا وأعجله الحال عن الغسل قال أبو سعيد ووجدنا
رأسه يقطر ماء وقال الخلافة في قريش ولن يزال هذا الأمر في قريش ما أقاموا الدين وقال عليه السلام

يكون

يكون في ثقيف كذاب ومبير فرأوهما الحجاج والمختار وبأن مسيلمة يعقره الله
وأن فاطمة رضي الله عنها أول أهله لحوقا به وأنذر بالردة وبأن الخلافة بعده ثلاثون سنة ثم
تكون ملكا فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي رضي الله عنهما وقال عليه السلام إن هذا
الأمر بدأ نبوة ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا
وجبروتا وفسادا في الأمة وأخبر بشأن أويس القرني وبأمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها
وسيكون في أمته ثلاثون كذابا فيهم أربع نسوة وفي حديث آخر ثلاثون دجالا كذابا
آخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب على الله ورسوله وقال عليه السلام يوشك أن يكثر
فيكم العجم يأكلون فيئكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه
رجل من قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم يشهدون
ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون وقال لا يأتي زمان إلا والذي
بعده شر منه وقال هلاك أمتي على يدي أغيلمة من قريش قال أبو هريرة راويه لو شئت
سميتهم لكم بنو فلان وبنو فلان وأخبر بظهور القدرية والرافضة وسب آخر هذه
الأمة أولها وقلة الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم يزل أمرهم يتبدد حتى
لم يبق لهم جماعة وأنهم سيلقون بعده أثرة وأخبر صلوات الله عليه بشأن الخوارج وصفتهم
والمخدج الذي فيهم وأن سيماهم التحليق ويرى رعاء الغنم رؤوس الناس والعراة الحفاة
يتبارون في البنيان وأن تلد الأمة ربتها وأن قريشا والأحزاب لا يغزونه أبدا وأنه هو
الذي يغزوهم وأخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد من سكنى
البصرة وأنهم يغزون في البحر كالملوك على الأسرة وأن الدين لو كان منوطا بالثريا
لناله رجال من أبناء فارس وهاجت ريح في غزاته فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا
إلى المدينة وجدوا ذلك وقال لقوم من جلسائه ضرس أحدكم في النار أعظم من أحد
قال أبو هريرة رضي الله عنه فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت أنا ورجل فقتل مرتدا

يوم اليمامة، واعلم بالذي غلّ خرزًا من خرز يهود فوجدت في رحله، والذي غلّ الشملة
وحيث هي ناقته عليه السلام حين ضلّت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها
وبشأن كتاب حاطب الى اهل مكة، وبقضية عمير مع صفوان حين سارّه وقارضه
على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء عمير الى النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله
واطلعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على الامر والسر اسلم، واخبر عليه السلام بالمال
الذي تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم
واعلم بانه سيقتل ابي بن خلف وفي عتبة بن ابي لهب انه ياكله كلب الله، وعن مصارع
اهل بدر فكان كما قال، وقال في الحسن ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين
ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك آخرون، واخبر عليه السلام
بقتل اهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة شهر او ازيد، وبموت النجاشي يوم مات
وهو بارضه، واخبر فيروز اذ ورد عليه رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم
فلما حقق فيروز القضية اسلم، واخبر اباذر بتطريده كما كان ووجده في المسجد
نائما فقال له كيف بك اذا اخرجت منه قال اسكن المسجد الحرام قال فاذا اخرجت منه
الحديث وبعيشه وحده وموته وحده، واخبر ان اسرع ازواجه به لحوقا اطولهن
يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة، واخبر بقتل الحسين بالطف واخرج بيده
تربة وقال فيها مضجعه، وقال في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه الى الجنة فقطعت
يده في الجهاد، وقال في الذين كانوا معه على حراء اثبت فانما عليك نبي وصديق و
شهيد فقتل علي وعمر وعثمان وطلحة والزبير وطعنوا، وقال لسراقة كيف
بك اذا لبست سواري كسرى فلما اتي بهما عمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذي
سلبهما كسرى والبسهما سراقة، وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة
تجبى اليها خزائن الارض يخسف بها يعني بغداد، وقال سيكون في هذه الامة رجل يقال له

الوليد

الوليد هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه، وقال لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان
دعواهما واحدة، وقال عليه السلام لعمر في سهيل بن عمرو عسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر
فكان كذلك قام بمكة مقام ابي بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله عليه وسلم وخطب بنحو
خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم، وقال لخالد حين وجهه لاكيدر انك تجده يصيد البقر
فوجدت هذه الامور كلها في حياته وبعد موته كما قال عليه السلام، الى ما اخبر به
جلساءه من اسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم
فيه وفي المومنين حتى ان كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده
من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء، واعلامه صلى الله عليه وسلم بصفة السحر الذي سحره
لبيد بن الاعصم وكونه في مشط ومشاقة في جف طلع نخلة ذكر وانه القي في بئر ذروان
فكان كما قال ووجد على تلك الصفة، واعلامه قريشا باكل الارضة ما في صحيفتهم
التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها ابقت فيها كل اسم لله فوجدوها
كما قال، ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الاسراء ونعته اياه
نعت من عرفه واعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه وانذارهم بوقت وصولها
فكان ذلك كما قال صلوات الله عليه وسلامه، الى ما اخبر به من الحوادث التي تكون
ولم تات بعد ومنها ما ظهرت مقدماتها كقوله عليه السلام عمران بيت المقدس خراب
يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح قسطنطينية ومن اشراط
الساعة وآيات حلولها وذكر النشر والحشر واخبار الابرار والفجار والجنة والنار
وعرصات القيامة، وبحسب هذا الفصل ان يكون ديوانا مفردا يشتمل على اجزاء
وحده وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التي ذكرناها كفاية واكثرها في الصحيح
وعند الايمة والله المستعان. فصل في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته من آذاه
قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال تعالى

الفصل الثالث عشر من الباب الرابع

أليس الله بكافٍ عبده، قيل بكافٍ محمداً أعداءه المشركين، وقيل غير هذا، وقال تعالى
إنا كفيناك المستهزئين، وقال تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية، أخبرنا القاضي
الشهيد أبو علي الصدفي قراءة عليه، والفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري
قالا ثنا أبو الحسين الصيرفي قال ثنا أبو يعلى البغدادي ثنا أبو علي السنجي ثنا أبو العباس
المروزي ثنا أبو عيسى الحافظ ثنا عبد بن حميد ثنا مسلم بن إبراهيم ثنا الحارث بن عبيد
عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي
صلى الله عليه وسلم يُحرس حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس فأخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل
وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل منزلاً اختار له أصحابه شجرة يقيل تحتها
فأتاه أعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله، فرعدت يد الأعرابي وسقط
سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الآية، وقد رويت هذه القصة
في الصحيح وأن غورث بن الحارث صاحب هذه القصة وأن النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه
فرجع إلى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس، وقد حكيت مثل هذه الحكاية أنها جرت
له يوم بدر وقد انفرد عليه السلام من أصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين
وذكر مثله، وقد روي أنه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذي أمر مع رجل اسمه دعثور
ابن الحارث وأن الرجل أسلم فلما رجع إلى قومه الذين أغروه وكان سيدهم وأشجعهم
قالوا له أين ما كنت تقول وقد أمكنك فقال إني نظرت إلى رجل أبيض طويل دفع في
صدري فوقعت لظهري وسقط السيف من يدي فعرفت أنه ملك وأسلمت، قيل
وفيه نزلت يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم
أيديهم الآية، وفي رواية الخطابي أن غورث بن الحارث المحاربي أراد أن يفتك بالنبي صلى الله
عليه وسلم فلم يشعر به إلا وهو قائم على رأسه منتضياً سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت

بما شئت فانكب لوجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده، الزلخة
وجع الظهر، وقيل في قصته غير هذا، وذكر أن فيه نزلت يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله
عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم الآية، وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف
قريشاً فلما نزلت هذه الآية استلقى ثم قال من شاء فليخذلني، وذكر عبد بن حميد قال
كانت حمالة الحطب تضع العضاه وهي جمر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنما
يطؤها كثيباً أهيل، وذكر ابن إسحاق عنها أنها لما بلغها نزول تبت يدا أبي لهب
وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم أتت النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس
في المسجد ومعه أبو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر إلا أبا بكر
وأخذ الله ببصرها عن نبيه عليه السلام فقالت يا أبا بكر أين صاحبك فقد بلغني
أنه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، وعن الحكم بن أبي العاص تواعدنا
على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا رأيناه سمعنا صوتاً خلفنا ما ظننا أنه بقي بتهامة
أحد فوقعنا مغشياً علينا فما أفقنا حتى قضى صلاته ورجع إلى أهله، ثم تواعدنا ليلة
أخرى فجئنا حتى إذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه، وعن عمر رضي الله عنه
قال تواعدت أنا وأبو جهم بن حذيفة ليلة على قتل النبي صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله
فتسمعنا له فافتتح وقرأ الحاقة إلى فهل ترى لهم من باقية فضرب أبو جهم على عضد عمر
وقال انج وفرا هاربين فكانت من مقدمات إسلام عمر، ومنه العبرة المشهورة والكفاية
التامة عندما أخافته قريش واجتمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته
فقام على رؤوسهم وقد ضرب الله على أبصارهم وذر التراب على رؤوسهم وخلص منهم
وحمايته عن رؤيتهم في الغار بما هيأ الله له من الآيات ومن العنكبوت الذي
نسج عليه حتى قال أمية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما أربكم فيه وعليه من نسج
العنكبوت ما أرى أنه من قبل أن يولد محمد عليه السلام، ووقفت حمامتان على فم الغار

فقالت في بيتي لو كان فيه احد لما كانت ها هنا الحمائم وقصته مع سراقة
ابن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت في بيتي فيه وفي ابي بكر الجعائل فانذر به وركب
فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه
فخر عنها واستقسم بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبي
صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه وسلم أُتينا فقال
لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانية الى ركبتيها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها
مثل الدخان فناداهم بالامان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم امانا كتبه ابن فهيرة
وقيل ابو بكر واخبرهم بالاخبار واراد النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يترك احدا يلحق
بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما ها هنا وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما
علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر اخر ان راعيا
عرف خبرهما فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري ما
يصنع وانسي ما خرج له حتى رجع الى موضعه وجاءه فيما ذكر ابن اسحاق وغيره
ابو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست
يداه الى عنقه واقبل يرجع القهقرى الى خلفه ثم سأله ان يدعو له ففعل فانطلقت
يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شأنه
فذكر انه عرض لي دونه فحل ما رأيت مثله قط هم بي ان ياكلني فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ذاك جبريل عليه السلام لو دنا لاخذه وذكر السمرقندي ان رجلا من بني
المغيرة اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله
عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه وذكر ان في هاتين القضيتين
نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الايتين ومن ذلك ما ذكره ابن اسحاق وغيره في قصته
اذ خرج الى بني قريظة في اصحابه فجلس الى جدار بعض آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش

احدهم ليطرح عليه رحى فقام النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف الى المدينة واعلمهم
بقضيتهم وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم
في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي انه خرج الى بني النضير يستعين في عقل الكلابيين
اللذين قتلهما عمرو بن امية فقال له حيي بن اخطب اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك
ما سألتنا فجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر رضي الله عنهما وتوامر حيي معهم
على قتله فاعلم جبريل النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كانه يريد حاجته حتى دخل
المدينة وذكر اهل التفسير ومعنى الحديث عن ابي هريرة رضي الله عنه ان ابا جهل
وعد قريشا لئن رآه يصلي ليطأن رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم اعلموه
فاقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما
دنوت منه اشرفت على خندق مملوء نارا كدت اهوي فيه وابصرت هولا عظيما
وخفق اجنحة قد ملأت الارض فقال النبي صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة لو دنا
لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل على النبي صلى الله عليه وسلم كلا ان الانسان ليطغى
ان رآه استغنى الى آخر السورة ويروى ان رجلا يعرف بشيبة بن عثمان الحجبي ادركه
يوم حنين وكان حمزة رضي الله عنه قد قتل اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثاري
من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما دنوت
منه ارتفع الي شواظ من نار اسرع من البرق فوليت هاربا واحس بي النبي صلى الله
عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري وهو ابغض الخلق الي فما رفعها الا وهو احب
الخلق الي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت امامه اضرب بسيفي واقيه بنفسي ولو لقيت
ابي تلك الساعة لاوقعت به دونه وعن فضالة بن عمير قال اردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم
عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال افضالة قلت نعم قال ما كنت
تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن

قلبي فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا احب الي منه ومن مشهوره في الخبر ان عامر
ابن الطفيل واربد بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له انا
اشغل عنك وجهه فاضربه انت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال والله
ما هممت ان اضربه الا وجدتك بيني وبينه افاضربك ومن عصمته له تعالى ان كثيرا
من اليهود والكهنة انذروا به وعينوه لقريش واخبروهم بسطوته بهم وحضوهم
على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه امره ومن ذلك نصره بالرعب امامه
مسيرة شهر كما قال صلى الله عليه وسلم فصل ومن معجزاته الباهرة
ما جمعه الله له من المعارف والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين
ومعرفته بامور شرائعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح امته وما كان
في الامم قبله وقصص الانبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن آدم
عليه السلام الى زمانه وحفظ شرائعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد انبائهم وايام الله
فيهم وصفات اعيانهم واختلاف ارائهم والمعرفة بمددهم واعمارهم وحكم
حكمائهم ومحاجة كل امة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما في
كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبآت علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه
الى الاحتواء على لغات العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها
والحفظ لايامها وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص بجوامع كلمها
الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب التفهيم للغامض
والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل مع
اشتمال شريعته عليه السلام على محاسن الاخلاق ومحامد الآداب وكل شيء مستحسن
مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له
وكافر به من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو اليه صوبه واستحسنه دون طلب اقامة

برهان عليه ثم ما احله لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به انفسهم واعراضهم
واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا والتخويف بالنار آجلا الى الاحتواء على ضروب
العلوم وفنون المعارف كالطب والعبارة والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك
من العلم مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه عليه السلام فيها قدوة واصولا في
علمهم كقوله عليه السلام الرؤيا لاول عابر وهي على رجل طائر وقوله صلى الله عليه وسلم
الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان
وقوله اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب وقوله اصل كل داء البردة
وما روي عنه في حديث ابي هريرة من قوله المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة
وان كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطني
وقوله عليه السلام خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي وخير
الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين وفي العود الهندي سبعة
اشفية وقوله عليه السلام ما ملا ابن آدم وعاء شرا من بطن الى قوله عليه السلام
فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله وقد سئل عن سبا
ارجل هو ام امراة ام ارض فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم ستة وتشاءم منهم اربعة
الحديث بطوله وكذلك جوابه في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على
شغلها بالنسب الى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله عليه السلام حمير راس
العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها
وذروتها وقوله ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض
وقوله في الحوض زواياه سواء وقوله في حديث الذكر وان الحسنة بعشر امثالها فتلك
مائة وخمسون على اللسان والف وخمسمائة في الميزان وقوله ومرة بموضع نعم موضع الحمام
هذا وقوله عليه السلام ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله لعيينة او الاقرع انا اعلم

بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم على اذنك فانه اذكر للمملي هذا مع انه صلى الله
عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه اوتي علم كل شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته
حروف الخط وحسن تصويرها كقوله عليه السلام لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم
رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس رحمه الله وقوله في الحديث الآخر الذي يروى عن
معاوية انه كان يكتب بين يديه عليه السلام فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم
الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا
وان لم تصح الرواية انه عليه السلام كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة
والقراءة واما علمه عليه السلام بلغات العرب وحفظه معاني اشعارها فامر
مشهور قد نبهنا على بعضه اول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الامم
كقوله في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية وكقوله ويكثر الهرج
وهو القتل بها وقوله في حديث ابي هريرة اشكنب درد اي وجع البطن بالفارسية
الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس الدرس والعكوف
على الكتب ومثافنة اهلها عمره وهو رجل كما قال تعالى امي لم يقرأ ولم يكتب ولا
عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشأ بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الامور
ولا عرف هو قبل بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه
بيمينك الاية وانما كانت غاية معارف العرب النسب واخبار اوائلها والشعر والبيان
وانما حصل لهم ذلك بعد التفرغ لعلم ذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله وهذا
الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه
ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما قصصناه الا قولهم اساطير الاولين وانما
يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله تعالى لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان
عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان فان الذي نسبوا تعليمه اليه انما هو

سلمان او العبد الرومي وسلمان رضي الله عنه انما عرفه بعد الهجرة ونزول الكثير من
القرآن وظهور ما لا ينعد من الآيات واما الرومي فكان اسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله
عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند
المروة وكلاهما اعجمي اللسان وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة
ما اتى به والاتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تاليفه ونظمه فكيف باعجمي الكن
نعم وقد كان سلمان او بلعام الرومي او يعيش او جبر او يسار على اختلافهم
في اسمه بين اظهرهم يكلمونه مدى اعمارهم فهل حكي عن واحد منهم شيء من مثل
ما كان يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك و
ما منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده ان يجلس الى
هذا فياخذ عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته كفعل النضر
ابن الحارث بما كان يمخرق به من اخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن
قومه ولا كثرت اختلافاته الى بلاد اهل الكتاب فيقال انه استمد منهم بل لم يزل
بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة ابنائهم ثم لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة
او سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان
في سفره في صحبة قومه ورفاقة عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه
بمكة من تعليم او اختلاف الى حبر او قس او منجم او كاهن بل لو كان هذا بعد كله
لكان مجيء ما اتى به في معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل شبهة ومجليا
لكل امر فصل ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم وكراماته وباهر اياته انباؤه مع
الملائكة والجن وامداد الله له بالملائكة وطاعة الجن له ورؤية كثير من اصحابه
لهم قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه الاية وقال تعالى اذ يوحي ربك الى
الملائكة اني معكم فثبتوا الذين امنوا وقال تعالى اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم

اني ممدكم مردفين وقال تعالى وإذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرءان الآية حدثنا
سفيان بن العاصي الفقيه سماعا عليه نا أبو الليث السمرقندي قال ثنا عبد الغافر الفارسي
ثنا أبو احمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا عبيد الله بن معاذ ثنا أبي ثنا شعبة عن سليمان
الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل
عليه السلام في صورته له ستمائة جناح والخبر في محادثته مع جبريل واسرافيل وغيرهم
من الملائكة وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الاسراء مشهور وقد
رآهم بحضرته جماعة من اصحابه في مواطن مختلفة فرأى ابن عباس واسامة وغيرهما
عنده جبريل عليه السلام في صورة دحية ورأى اصحابه جبريل عليه السلام في زي رجل
يسأله عن الاسلام والايمان ورأى سعد عن يمينه ويساره جبريل وميكائيل في صورة
رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها
يوم بدر وبعضهم رأى تطاير الرؤوس من الكفار ولا يرون الضارب ورأى ابو سفيان بن
الحارث يومئذ رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء والارض ما يقوم لها شيء وقد
كانت الملائكة تصافح عمران بن الحصين وأرى النبي صلى الله عليه وسلم حمزة جبريل في
الكعبة فخر مغشيا عليه ورأى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع كلامهم
وشبههم برجال الزط نوع من السودان وذكر ابن سعد ان مصعب بن عمير لما قتل يوم
احد اخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب
فقال له الملك لست بمصعب فعلم انه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال بينا نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقبل
شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وقال نغمة الجن من انت قال انا هامة
ابن الهيم بن لاقيس بن ابليس فذكر انه لقي نوحا ومن بعده في حديث طويل وان النبي
صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن وذكر الواقدي قتل خالد عند هدمه العزى

للسوداء

للسوداء التي خرجت له ناشرة شعرها عريانة فجزلها بسيفه واعلم النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له تلك العزى وقال عليه السلام ان شيطانا تفلت البارحة ليقطع علي صلاتي فامكنني الله
منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت
دعوة اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي الآية فرده الله خاسئا
وهذا باب واسع فصل ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم وعلامات رسالته ما ترادفت
به الاخبار عن الرهبان والاحبار وعلماء اهل الكتاب من صفته وصفة امته واسمه
وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد من ذلك في اشعار الموحدين المتقدمين
من شعر تبع والاوس بن حارثة وشعره وسفيان بن مجاشع وقس بن ساعدة وكعب
ابن لؤي وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم وما عرف به من امره عليه السلام زيد بن
عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء يهود وشامول عالمهم صاحب
تبع من صفته وخبره وما الفي من ذلك في التوراة والانجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه
ونقله عنهما ثقات من اسلم منهم مثل ابن سلام وابني سعية وابن يامين ومخيريق
وكعب واشباههم ممن اسلم من علماء اليهود وبحيراء ونسطور وضغاطر واسقف
الشام والجارود وسلمان والنجاشي وصاحب بصرى ونصارى الحبشة واساقف نجران
وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصرانية
ورئيساها ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن اخطب واخوه
وكعب بن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحسد والنفاسة
على البقاء على الشقاء والاخبار في هذا كثيرة لا تنحصر وقد قرع اسماع يهود والنصارى
بما ذكر انه في كتبهم من صفته وصفة اصحابه رضوان الله عليهم واحتج عليهم
بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم السنتهم ببيان
امره ودعوتهم الى المباهلة على الكاذب فما منهم الا من نفر عن معارضته وابداء ما الزمهم

من كتبهم الاخبار، ولو وجدوا اختلافا. قوله لكان اظهار امور عليهم من نزع التقميص
والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال وقد قال لهم قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم
صادقين الى ما انذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخناف
وافعى نجران وجذل بن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بن بنت كريز وفاطمة
ابنة النعمان ومن لا يعد كثرة الى ما ظهر على السنة الاصنام من نبوته وحلول وقت
رسالته وسمع من هواتف الجان ومن ذبائح النصب واجواف الصور وما وجد من اسم النبي
صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة والقبور بالخط القديم ما
اكثره مشهور واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم مذكور فصل ومن ذلك ما ظهر من الايات
عند مولده وما حكته امه ومن حضره من العجائب وكونه عليه السلام رافعا راسه
عندما وضعته شاخصا ببصره الى السماء وما راته من النور الذي خرج معه عند ولادته
وما راته اذ ذاك ام عثمان بن ابي العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند ولادته حتى
ما تنظر الا النور وقول الشفاء ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه السلام على يدي واستهل
سمعت قائلا يقول رحمك الله واضاء لي ما بين المشرق والمغرب نورا حتى نظرت الى قصور
الروم وما تعرفه حليمة وزوجها ظئراه من بركته ودرور لبنها له ولبن شارفها وخصب
غنمها وسرعة شبابه وحسن نشاته وما جرى من العجائب ليلة مولده من ارتجاج
ايوان كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف
عام لم تخمد وانه كان عليه السلام اذا اكل مع عمه ابي طالب واله وهو صغير شبعوا
ورووا فاذا غاب فاكلوا في غيبته لم يشبعوا ولم يرووا وكان سائر ولد ابي طالب
يصبحون شعثا ويصبح صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا. قالت ام ايمن حاضنته
ما رايته عليه السلام شكا جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك حراسة السماء
بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع وما نشا عليه صلى الله عليه وسلم

من بغض الاصنام والعفة عن امور الجاهلية وما خصه الله به من ذلك وحماه حتى في
ستره في الخبر المشهور عند بناء الكعبة اذ اخذ ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه
الحجارة وتعرى فسقط الى الارض حتى رد ازاره عليه فقال له عمه ما بالك فقال اني نهيت
عن التعري ومن ذلك اظلال الله له بالغمامة في سفره وفي رواية ان خديجة رحمها الله
ونساءها راينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة فاخبرها انه رءى ذلك
منذ خرج معه في سفره وقد روي ان حليمة رات غمامة تظله وهو عندها وروي ذلك
عن اخيه من الرضاعة ومن ذلك انه نزل عليه السلام في بعض اسفاره قبل مبعثه تحت
شجرة يابسة فاعشوشب ما حولها واينعت هي واشرقت وتدلت عليه اغصانها
بمحضر من رءاه وميل فيء الشجرة اليه في الخبر الاخر حتى اظلته وما ذكر من انه كان عليه
السلام لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان لا يقع على جسده
ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحي اليه ثم اعلامه بموته ودنو اجله
وان قبره في المدينة وفي بيته وان بين بيته ومنبره روضة من رياض الجنة وتخيير الله
له عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كرامته وتشريفه وصلاة الملائكة
على جسده على ما رويناه في بعضها واستئذان ملك الموت عليه ولم يستاذن على غيره
قبله ونداؤهم الذي سمعوه ان لا تنزعوا القميص عنه في غسله وما روي من تعزية
الخضر والملائكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر على الصحابة رضوان الله عليهم من كرامته
وبركته في حياته وموته كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته فصل
قال الفقيه القاضي ابو الفضل رحمه الله قد اتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة
وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية وتركنا الكثير
سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الاحاديث الطوال على عين الغرض وفص المقصود ومن كثير
الاحاديث وغريبها على ما صح واشتهر الا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الايمة

وحذفنا الاسناد في جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصي ان يكون ديوانا
جامعا يشتمل على مجلدات عدة ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر من سائر معجزات
الرسل بوجهين احدهما كثرتها وانه لم يؤت نبي معجزة الا وعند نبينا عليه السلام
مثلها او ما هو ابلغ منها وقد نبه الناس على ذلك فان اردته فتامل فصول هذا الباب
ومعجزات من تقدم من الانبياء تقف على ذلك ان شاء الله واما كونها كثيرة فهذا القرآن
وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند بعض ائمة المحققين بسورة انا اعطيناك الكوثر
او اية في قدرها وقد ذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت معجزة وزاد اخرون
ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت من كلمة او كلمتين والحق ما ذكرناه
اولا لقوله تعالى فاتوا بسورة مثله فهو اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من
نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا ففي القرآن من الكلمات نحو من سبعة
وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر
كلمات فتجزأ القرآن على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة الاف
جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته
وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه
ثم فيه وجوه اعجاز اخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة
من هذه التجزئة الخبر عن اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد
مرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القرآن
فلا يكاد ياخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم الاحاديث الواردة والاخبار
الصادرة عنه عليه السلام في هذه الابواب وعما دل على امره مما اشرنا الى جمله
يبلغ نحوا من هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم فان معجزات الرسل
كانت بقدر همم اهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى

عليه السلام غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم
عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وابطل سحرهم وكذلك زمن عيسى
عليه السلام اغنى ما كان الطب واوفر ما كان اهله فجاءهم امر لا يقدرون عليه واتاهم
ما لم يحتسبوا من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا
سائر معجزات الانبياء صلوات الله عليهم ثم ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم
وجملة معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فانزل الله
عليه القرآن الخارق لهذه الاربعة فصول من الفصاحة والايجاز والبلاغة الخارقة
عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه
ولا علموا في اساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث والاسرار
والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه
وان كان اعدى العدو فابطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من اصلها
برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون السالفة وانباء الانبياء والامم
البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها
وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الباقية الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول
الاخر التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة الى يوم القيامة بينة الحجة لكل امة تاتي
لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتامل وجوه اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على
هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد
الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس
اشد طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل عندها حقا وسائر معجزات
الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد
ولا تنقطع واياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار عليه السلام بقوله فيما حدثنا القاضي

الشيخ أبو علي ثنا القاضي أبو الوليد ثنا أبو ذر ثنا أبو محمد وأبو إسحاق وأبو الهيثم قالوا ثنا
الفربري ثنا البخاري ثنا عبد العزيز بن عبد الله ثنا الليث عن سعيد عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر
وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أني أكثرهم تابعا يوم القيامة هذا معنى
الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح إن شاء الله تعالى وذهب غير واحد من العلماء
في تأويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا عليه السلام إلى معنى آخر من ظهورها بكونها
وحيا وكلاما لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه والتشبيه فإن غيرها من معجزات
الرسل قد رام المعاندون لها بأشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كإلقاء السحرة
حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر أو يتحيل فيه والقرآن كلام ليس
للحيلة ولا السحر في التخييل فيه عمل فكان من هذا الوجه عندهم أظهر من غيره من المعجزات
كما لا يتم لشاعر ولا خطيب أن يكون شاعرا أو خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتأويل
الأول أخلص وأرضى وفي هذا التأويل الثاني ما يغمض الجفن عنه ويغضي ووجه رابع
على مذهب من قال بالصرفة وأن المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها أو على
أحد مذهبي أهل السنة من أن الإتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكنه لم يكن
ذلك قبل ولا يكون بعد لأن الله تعالى لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه وبين المذهبين
فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الإتيان بما في مقدورهم أو ما هو من جنس مقدورهم
ورضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والإذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والأموال
والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد أبين آية للعجز عن الإتيان بمثله
والنكول عن معارضته وأنهم منعوا عن جنس مقدورهم وإليه ذهب الإمام أبو المعالي
الجويني وغيره وقال هذا عندنا أبلغ في خرق العادة بالأفعال البديعة في أنفسها
كقلب العصا حية ونحوها فإنه قد يسبق إلى بال الناظر بدارا أن ذلك من اختصاص

صاحبه لمزية معرفة في ذلك الفن وفضل علم إلى أن يرد ذلك صحيح النظر وأما
التحدي للخلائق في سنين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا
فلم يبق بعد توفر الدواعي على المعارضة ثم عدمها إلا منع الله الخلق عنها بمثابة ما
لو قال نبي آيتي أن يمنع الله القيام عن الناس مع مقدرتهم عليه وارتفاع الزمانة
عنهم فكان ذلك وعجزهم الله عن القيام لكان ذلك من أبهر آية وأظهر دلالة وبالله
التوفيق وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور آياته على سائر آيات الأنبياء حتى احتاج
للعذر عن ذلك بدقة أفهام العرب وذكاء ألبابها ووفور عقولها وأنهم أدركوا المعجزة
فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب إدراكهم وغيرهم من القبط وبني إسرائيل وغيرهم
لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون
أنه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل بعد إيمانهم وعبدوا المسيح مع إجماعهم
على صلبه وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءتهم من الآيات الظاهرة البينة
للأبصار بقدر غلظ أفهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك حتى
نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير
والعرب على جاهليتها أكثرها يعترف بالصانع وإنما كانت تتقرب بالأصنام إلى الله زلفى
ومنهم من آمن بالله ووحده من قبل الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء لبه
ولما جاءهم الرسول بكتاب الله فهموا حكمته وتبينوا بفضل إدراكهم لأول وهلة
معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم إيمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا
ديارهم وأموالهم وقتلوا آباءهم وأبناءهم في نصرته وأتى في معنى هذا بما يلوح له
رونق ويعجب منه زبرج لو احتيج إليه وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزة نبينا
صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها إن شاء الله
تعالى وبالله التوفيق

القسم الثاني فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه السلام

هنا انتهى النصف الأول من كتاب الشفا

قال الفقيه القاضي أبو الفضل رحمه الله وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في أربعة أبواب
على ما ذكرناه في أول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه وطاعته ومحبته
ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه والتسليم وزيارة قبره صلى الله
عليه وسلم الباب الأول في فرض الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته إذا تقرر
ما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الإيمان به وتصديقه فيما أتى به قال
الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا وقال إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وقال فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الآية
فالإيمان بالنبي محمد عليه السلام واجب متعين لا يتم إيمان إلا به ولا إسلام إلا معه
قال الله تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا حدثنا أبو محمد
الخشني الفقيه بقراءتي عليه ثنا الإمام أبو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا أبو
عمرويه ثنا ابن سفيان ثنا أبو الحسين ثنا أمية بن بسطام ثنا يزيد بن زريع ثنا روح
عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا
فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله قال القاضي
أبو الفضل رحمه الله والإيمان به عليه السلام هو تصديق نبوته ورسالة الله له وتصديقه
في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بأنه رسول الله
فإذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الإيمان به
والتصديق له كما ورد في هذا الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر أمرت أن أقاتل
الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقد زاده وضوحا في حديث
جبريل عليه السلام إذ قال أخبرني عن الإسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم أن تشهد أن
لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وذكر أركان الإسلام ثم سأله عن الإيمان فقال أن تؤمن

بالله

بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر أن الإيمان به محتاج إلى العقد بالجنان
والإسلام به مضطر إلى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامة وأما الحالة المذمومة
فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى إذا جاءك المنافقون
قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون
أي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك
ضمائرهم لم ينفعهم أن يقولوا بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم الإيمان ولم
يكن لهم في الآخرة حكمه إذ لم يكن معهم إيمان ولحقوا بالكافرين في الدرك الأسفل من النار وبقي
عليهم حكم الإسلام بإظهار شهادة اللسان في أحكام الدنيا المتعلقة بالأئمة وحكام
المسلمين الذين أحكامهم على الظواهر بما أظهروه من علامة الإسلام إذ لم يجعل للبشر
سبيل إلى السرائر ولا أمروا بالبحث عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها
وذم ذلك وقال هلا شققت عن قلبه والفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل
الشهادة من الإسلام والتصديق من الإيمان وبقيت حالتان أخريان بين هذين
أحدهما أن يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه فاختلف
فيه فشرط بعضهم من تمام الإيمان القول والشهادة به ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا
للجنة لقوله عليه السلام يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فلم
يذكر سوى ما في القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو
الصحيح في هذا الوجه الثاني أن يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من
الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في عمره ولا مرة واحدة فهذا اختلف
فيه أيضا فقيل هو مؤمن لأنه مصدق والشهادة من جملة الأعمال فهو عاص بتركها
غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة إذ الشهادة إنشاء
عقد والتزام إيمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة إلا بها

ومنها هو الصحيح ومعناه نبوة تقتضي التوسع من الكلام في الاسلام والايمان وابوابهما
ومن الزيادة فيهما والنقصان وهل التجزي ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وانما
يرجع الى ما زاد عليه من عمل او قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته من قوة يقين
وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن
غرض التاليف وفيما ذكرنا غنية فيما قصدنا ان شاء الله تعالى فصل واما وجوب طاعته
فاذا وجب الايمان به وتصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى
يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله وقال قل اطيعوا الله والرسول وقال واطيعوا الله
والرسول لعلكم ترحمون وقال وان تطيعوه تهتدوا وقال من يطع الرسول فقد اطاع الله
وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال ومن يطع الله والرسول فاولئك
الاية وقال وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله فجعل تعالى طاعة رسوله طاعته وقرن
طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب واوجب
امتثال امره واجتناب نهيه قال المفسرون والائمة طاعة الرسول في التزام سنته
والتسليم لما جاء به وقالوا وما ارسل الله من رسول الا فرض طاعته على من ارسله اليه وقالوا
من يطع الرسول في سنته يطع الله في فرائضه وسئل سهل بن عبد الله عن شرائع الاسلام
فقال وما اتاكم الرسول فخذوه وقال السمرقندي يقال اطيعوا الله في فرائضه والرسول
في سنته وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله
بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي
عليه ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن علي بن محمد بن خلف ثنا محمد بن احمد ثنا محمد بن يوسف
ثنا البخاري ثنا عبدان اخبرنا عبد الله اخبرنا يونس عن الزهري اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن
انه سمع ابا هريرة يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن
عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى اميري فقد عصاني فطاعة

الرسول

الرسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله به وطاعة له
وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا
اطعنا الله واطعنا الرسولا فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال عليه السلام اذا
نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم وفي حديث ابي
هريرة عنه عليه السلام كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني
دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث الاخر الصحيح عنه عليه السلام مثلي ومثل ما
بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم اني رايت الجيش بعيني واني انا النذير العريان
فالنجاء فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة
منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعني
واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق وفي الحديث الاخر في مثله
كمثل من بنى دارا وجعل فيها مادبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل
من المادبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبة فالدار الجنة والداعي
محمد صلى الله عليه وسلم فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق
بين الناس فصل واما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء بهديه فقد قال تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال فامنوا بالله
ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال فلا وربك
لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الى قوله تسليما اي ينقادون لحكمك يقال
سلم واستسلم واسلم اذا انقاد وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن
كان يرجو الله واليوم الاخر الاية قال محمد بن علي الترمذي الاسوة في الرسول الاقتداء به
والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول او فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل
هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة

السنة جاء بهم الله تعالى بغايات ووعدهم الاهتداء باتباعه لان الله ارسله بالهدى ودين الحق
ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى
في الاية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه واثروه على اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة
ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه وروي عن الحسن ان قوما
قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الاية
وروي ان الاية نزلت في كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه ونحن
اشد حبا لله فانزل الله الاية وقال الزجاج معناه ان كنتم تحبون الله ان تقصدوا طاعته
فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما امر او محبة الله
لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد
طاعة كما قال القائل

تعصي الاله وانت تظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ... ان المحب لمن يحب مطيع

ويقال محبة العبد لله تعظيمه له وهيبته منه ومحبة الله له رحمته له وارادته الجميل
له وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه قال القشيري فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح
كان من صفات الذات وسياتي بعد في ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى حدثنا
ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه قال ثنا ابو الاصبغ عيسى بن سهل وحدثنا ابو الحسن
يونس بن مغيث الفقيه بقراءتي عليه قالا حدثنا حاتم بن محمد قال ثنا ابو حفص الجهني
ثنا ابو بكر الاجري ثنا ابراهيم بن موسى الجوزي ثنا داود بن رشيد ثنا الوليد بن مسلم
عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحجر الكلاعي عن العرباض
ابن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فعليكم بسنتي
وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور

فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وفي
حديث ابي رافع عنه عليه السلام لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من امري
مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي حديث
عائشة رضي الله عنها صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فترخص فيه فتنزه عنه قوم
فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشيء اصنعه
فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية وروي عنه عليه السلام انه قال القران
صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه
جاء مع القران ومن تهاون بالقران وحديثي خسر الدنيا والاخرة امرت امتي ان ياخذوا
بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقران قال الله تعالى وما
اتاكم الرسول فخذوه الاية وقال عليه السلام من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن سنتي
فليس مني وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله
وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال النبي صلى الله
عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قائمة او فريضة
عادلة وعن الحسن بن ابي الحسن قال عليه السلام عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة
وقال عليه السلام ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة يتمسك بها وعن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال المتمسك بسنتي عند فساد امتي له اجر مائة شهيد وقال
عليه السلام ان بني اسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وان امتي تفترق على ثلاث وسبعين كلها
في النار الا واحدة قالوا ومن هي يا رسول الله قال الذي انا عليه اليوم واصحابي وعن انس
قال عليه السلام من احيا سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي وعن عمرو بن عوف
المزني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحارث من احيا سنة من سنتي قد اميتت بعدي
فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة

لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزار الناس شيئا
فصل وأما ما ورد عن السلف والأئمة من اتباع سننهم والاقتداء بهديهم وسيرتهم حدثنا
الشيخ أبو عمران موسى بن عبد الرحمن بن أبي تليد الفقيه سماعا عليه قال ثنا أبو عمر الحافظ
قال ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة قالا حدثنا محمد بن وضاح ثنا
يحيى بن يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن أسيد أنه سأل عبد الله بن عمر فقال يا أبا
عبد الرحمن إنا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القرآن ولا نجد صلاة السفر فقال ابن عمر
يا ابن أخي إن الله بعث إلينا محمدا ولا نعلم شيئا فإنما نفعل كما رأيناه يفعل وقال عمر بن عبد
العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله
واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لأحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي
من خالفها من اقتدى بها فهو مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين
ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيرا وقال الحسن بن أبي الحسن عمل قليل في
سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من أهل العلم قالوا الاعتصام
بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتعليم السنة والفرائض واللحن
أي اللغة وقال إن ناسا يجادلونكم يعني بالقرآن فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن
أعلم بكتاب الله وفي خبر حين صلى بذي الحليفة ركعتين فقال أصنع كما رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يصنع وعن علي حين قرن فقال له عثمان تراني أنهى الناس عنه وتفعله قال
لم أكن لأدع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول أحد من الناس وعنه رضي الله عنه ألا إني
لست بنبي ولا يوحى إلي ولكني أعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما
استطعت وكان ابن مسعود يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد في بدعة وقال ابن
عمر صلاة السفر ركعتان من خالف السنة كفر وقال أبي بن كعب عليكم بالسبيل
والسنة فإنه ليس ما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه

من خشية ربه فيعذبه الله أبدا وما على الأرض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله
في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله إلا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها
فهي كذلك إذ أصابتها ريح شديدة فتحاتت عنها ورقها إلا حط الله عنه خطاياه كما
تحات عن الشجرة ورقها فإن اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة
وانظروا أن يكون عملكم إن كان اجتهادا أو اقتصادا أن يكون على منهاج الأنبياء وسنتهم
وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز رحمه الله إليه بحال بلده وكثرة لصوصه هل يأخذهم
بالظنة أو يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب إليه عمر خذهم بالبينة
وما جرت عليه السنة فإن لم يصلحهم الحق فلا أصلحهم الله وعن عطاء في قوله تعالى فإن
تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول أي إلى كتاب الله وسنة رسول الله وقال
الشافعي رحمه الله ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا اتباعها وقال عمر
رضي الله عنه ونظر إلى الحجر الأسود والله إنك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا أني رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله ورئي عبد الله بن عمر يدير ناقته في مكان
فسئل فقال لا أدري إلا أني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال
أبو عثمان الحيري من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على
نفسه نطق بالبدعة وقال سهل التستري أصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء بالنبي صلى الله ابن عبد الله
عليه وسلم في الأخلاق والأفعال والأكل من الحلال وإخلاص النية في جميع الأعمال وجاء
في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه أنه الاقتداء برسول الله وحكي أن أحمد بن
حنبل قال كنت يوما مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ولم أتجرد فرأيت تلك الليلة قائلا لي يا أحمد
أبشر فإن الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك إماما يقتدى بك قلت من أنت قال
جبريل فصل ومخالفة أمره وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب

قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم وقال تعالى
ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى الاية
حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي عليهما قالا ثنا ابو القاسم
حاتم بن محمد حدثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ حدثنا احمد بن ابي سليمن
ثنا سحنون بن سعيد ثنا ابن القاسم ثنا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر الحديث في صفة امته وفيه فليذادن رجال
عن حوضي كما يذاد البعير الضال فاناديهم الا هلم الا هلم الا هلم فيقال انهم قد بدلوا
بعدك فاقول فسحقا فسحقا فسحقا وروى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من
رغب عن سنتي فليس مني وقال من ادخل في امرنا ما ليس منه فهو رد وروى ابن ابي رافع عن ابيه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من امري
مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه زاد في حديث
المقدام الا ان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال عليه السلام وجيء
بكتاب في كتف فقال كفى بقوم حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى غير نبيهم
او كتاب غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الاية
وقال عليه السلام هلك المتنطعون وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لست تاركا
شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى ان تركت شيئا من
امره ان ازيغ

الباب الثاني في لزوم محبته صلى الله عليه وسلم قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله الاية وقال الله تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم
وعشيرتكم واموال اقترفتموها الاية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على
الزام محبته ووجوب فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها عليه السلام اذ قرع تعالى
من كان ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله واوعدهم تعالى بقوله تعالى فتربصوا

حتى ياتي الله بامره ثم فسقهم بتمام الاية واعلمهم انهم ممن ضل ولم يهده الله حدثنا ابو علي
الغساني الحافظ فيما اجازنيه وهو مما قراته على غير واحد قال ثنا سراج بن عبد الله القاضي
ثنا ابو محمد الاصيلي ثنا المروزي ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يعقوب
بن ابراهيم ثنا ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وعن ابي هريرة
نحوه وعن انس عنه عليه السلام ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله
ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر
كما يكره ان يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من
كل شيء الا نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن يومن احدكم حتى
اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب الي
من نفسي التي بين جنبي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الان يا عمر قال سهل من لم ير ولاية
الرسول صلى الله عليه وسلم عليه في جميع الاحوال ويرى نفسه في ملكه عليه السلام لا يذوق
حلاوة سنته لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يومن احدكم حتى اكون احب اليه من
نفسه الحديث

فصل في ثواب محبته صلى الله عليه وسلم حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي
عليه نا ابو القاسم حاتم بن محمد نا ابو الحسن علي بن خلف نا ابو زيد المروزي نا محمد بن يوسف نا
محمد بن اسمعيل نا عبدان نا ابي نا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن انس رضي الله عنه
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول الله قال ما اعددت لها قال ما اعددت
لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله قال انت مع من احببت
وعن صفوان بن قدامة رضي الله عنه هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله
ناولني يدك ابايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله اني احبك قال المرء مع من احب وروى
هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس رضي الله عنهم

وعن أبي ذر رحمه الله بمعناه وعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد الحسن
والحسين رضي الله عنهما فقال من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي
يوم القيامة وروي أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لأنت أحب إلي
من أهلي ومالي وإني لأذكرك فما أصبر حتى أجيء فأنظر إليك وإني ذكرت موتي وموتك
فعرفت أنك إذا دخلت رفعت مع النبيين وإن دخلتها لا أراك فأنزل الله تعالى ومن يطع الله
والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن أولئك رفيقا فدعا به فقرأها عليه وفي حديث آخر كان رجل عند النبي صلى الله
عليه وسلم ينظر إليه لا يطرف فقال ما بالك قال بأبي أنت وأمي أتمتع من النظر إليك فإذا كان
يوم القيامة رفعك الله بتفضيله فأنزل الله الآية وفي حديث أنس رضي الله عنه
من أحبني كان معي في الجنة فصل فيما روي عن السلف والأئمة من محبتهم للنبي
صلى الله عليه وسلم وشوقهم له حدثنا القاضي الشهيد نا العذري نا الرازي نا الجلودي نا ابن
سفيان نا مسلم نا قتيبة نا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أشد أمتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رآني
بأهله وماله ومثله عن أبي ذر رحمه الله وتقدم حديث عمر رضي الله عنه وقوله للنبي عليه
السلام لأنت أحب إلي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في مثله وعن عمرو بن العاص ما كان
أحد أحب إلي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان خالد
يأوي إلى فراش إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أصحابه من المهاجرين
والأنصار رضي الله عنهم يسميهم ويقول رضي الله عنه هم أصلي وفصلي وإليهم يحن قلبي طال
شوقي إليهم فعجل رب قبضي إليك حتى يغلبه النوم وروي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال للنبي
صلى الله عليه وسلم والذي بعثك بالحق لإسلام أبي طالب كان أقر لعيني من إسلامه يعني
أباه أبا قحافة وذلك أن إسلام أبي طالب كان أقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

قاله للعباس أن تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطاب لأن ذلك أحب إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن ابن اسحق أن امرأة من الأنصار قتل أبوها وأخوها وزوجها يوم أحد
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا
هو بحمد الله كما تحبين قالت أرونيه حتى أنظر إليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك
جلل وسئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على
الظمأ وعن زيد بن أسلم رحمه الله خرج عمر ليلة يحرس فرأى مصباحا في بيت وإذا عجوز
تنفش صوفا وتقول على محمد صلاة الأبرار صلى عليه الطيبون الأخيار
قد كنت قواما بكى بالأسحار يا ليت شعري والمنايا أطوار هل تجمعني وحبيبي الدار
تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر رضي الله عنه يبكي وفي الحكاية طول وروي أن
عبد الله بن عمر رضي الله عنه خدرت رجله فقيل له اذكر أحب الناس إليك يزل عنك فصاح
يا محمداه فانتشرت ولما احتضر بلال نادت امرأته واحزناه فقال واطرباه غدا ألقى الأحبة
محمدا وحزبه ويروى أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها اكشفي لي قبر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم
ليقتلوه قال له أبو سفيان بن حرب أنشدك بالله يا زيد أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك
نضرب عنقه وأنك في أهلك فقال زيد رضي الله عنه والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه
الذي هو فيه تصيبه شوكة وأني جالس في أهلي فقال أبو سفيان ما رأيت من الناس
أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمد محمدا صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنه
كانت المرأة إذا أتت النبي صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة
بأرض عن أرض وما خرجت إلا حبا لله ورسوله ووقف ابن عمر على ابن الزبير رحمهما الله بعد
قتله فاستغفر له وقال كنت والله ما علمت صواما قواما تحب الله ورسوله

فصل في علامة محبته عليه السلام اعلم ان من احب شيئا آثره وآثر موافقته والا لم
يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في حب النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات
ذلك عليه واولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره
واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا
قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وايثار ما شرعه وحض عليه على
هوى نفسه وموافقة شهوته قال الله تعالى والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون
من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم
خصاصة واسخاط العباد في رضى الله تعالى حدثنا القاضي ابو علي الحافظ نا ابو الحسين الصيرفي
وابو الفضل بن خيرون قالا نا ابو يعلى البغدادي نا ابو علي السنجي نا محمد بن احمد بن محبوب
نا ابو عيسى نا مسلم بن حاتم نا محمد بن عبد الله الانصاري عن ابيه عن علي بن زيد عن سعيد
ابن المسيب قال قال انس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني ان قدرت ان
تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن احيا
سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة
لله ورسوله ومن خالفها في بعض هذه الامور فهو ناقص المحبة ولا يخرج عن اسمها ودليله
قوله عليه السلام للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال
صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله ومن علامة محبة النبي صلى الله عليه وسلم
كثرة ذكره له فمن احب شيئا اكثر ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقائه فكل حبيب يحب
لقاء حبيبه وفي حديث الاشعريين عند قدومهم المدينة انهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الاحبة
محمدا وصحبه ونحوه قول بلال وقاله عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة خالد بن معدان ومن
علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره واظهار الخشوع والانكسار
مع سماع اسمه قال اسحاق التجيبي كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه

الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين رضي الله عنهم
منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا اليه ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها محبته
لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو بسببه من آل بيته وصحابته من الانصار والمهاجرين
رضي الله عنهم وعداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب من يحب
وقد قال عليه السلام في الحسن والحسين رضي الله عنهما اللهم اني احبهما فاحبهما وفي رواية
في الحسن فاحب من يحبه وقال من احبهما فقد احبني ومن احبني فقد احب الله ومن ابغضهما
فقد ابغضني ومن ابغضني فقد ابغض الله وقال عليه السلام الله الله في اصحابي لا تتخذوهم
غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن
آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك ان ياخذه وقال في فاطمة رضي الله عنها انها
بضعة مني يغضبني ما اغضبها وقال لعائشة في اسامة بن زيد احبيه فاني احبه وقال آية
الايمان حب الانصار وآية النفاق بغضهم وفي حديث ابن عمر من احب العرب فبحبي احبهم
ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم فبالحقيقة من احب شيئا احب كل شيء يحبه وهذه
سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال انس رضي الله عنه حين
رأى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة فما زلت احب الدباء من
يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله بن عباس وابن جعفر رضي الله عنهم اتوا سلمى
وسالوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر
يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة اذ رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك
ومنها بغض من ابغض الله ورسوله ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع
في دينه واستثقاله كل امر يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم
الاخر يوادون من حاد الله ورسوله وهؤلاء اصحابه عليه السلام قد قتلوا احباءهم وقاتلوا
آباءهم وابناءهم في مرضاته وقال عبد الله بن عبد الله بن ابي لو شئت لاتيتك برأسه يعني اباه

ومنها أن يحب القرآن الذي أتى به النبي عليه السلام وهدى به واهتدى وتخلق به حتى قالت عائشة
رضي الله عنها كان خلقه القرآن وحبه للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه ويحب سنته ويقف
عند حدودها قال سهل بن عبد الله علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب
القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة
حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يدخر
منها إلا زادا وبلغة إلى الآخرة وقال ابن مسعود رضي الله عنه لا يسأل أحد عن نفسه
إلا القرآن فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله ومن علامات حبه للنبي صلى الله
عليه وسلم شفقته على أمته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم ورفع المضار عنهم كما كان
صلى الله عليه وسلم بالمومنين رؤوفا رحيما ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا
وإيثاره الفقر واتصافه به وقد قال عليه السلام لأبي سعيد الخدري إن الفقر إلى من يحبني منكم
أسرع من السيل من أعلى الوادي أو الجبل إلى أسفله وفي حديث عبد الله بن مغفل قال رجل
للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله إني أحبك فقال انظر ما تقول قال والله إني أحبك ثلاث مرات
قال إن كنت تحبني فأعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث أبي سعيد بمعناه فصل
في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي
صلى الله عليه وسلم وكثرت عباراتهم في ذلك وليست ترجع في الحقيقة إلى اختلاف مقال
ولكنها اختلاف أحوال فقال سفيان المحبة اتباع الرسول عليه السلام كأنه التفت إلى
قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية وقال بعضهم محبة الرسول عليه السلام
اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته وقال بعضهم المحبة دوام
الذكر للمحبوب وقال آخر إيثار المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق إلى المحبوب وقال
بعضهم المحبة مواطأة القلب لمراد الرب يحب ما أحب ويكره ما كره وقال آخر المحبة ميل
القلب إلى موافق له وأكثر العبارات المتقدمة إشارة إلى ثمرات المحبة دون حقيقتها

وحقيقة المحبة الميل إلى ما يوافق الإنسان وتكون موافقته له إما لاستلذاذه بإدراكه
كحب الصور الجميلة والأصوات الحسنة والأطعمة والأشربة اللذيذة وأشباهها
مما كل طبع سليم مائل إليها لموافقتها له أو لاستلذاذه بإدراكه بحاسة عقله وقلبه
معاني باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء وأهل المعروف والمأثور عنهم السير
الجميلة والأفعال الحسنة فإن طبع الإنسان مائل إلى الشغف بأمثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب
بقوم لقوم والتشيع من أمة في آخرين ما يؤدي إلى الجلاء عن الأوطان وهتك الحرم واخترام
النفوس أو يكون حبه إياه لموافقته له من جهة إحسانه له وإنعامه عليه فقد جبلت
النفوس على حب من أحسن إليها فإذا تقرر لك هذا نظرت هذه الأسباب كلها في حقه عليه
السلام فعلمت أنه عليه السلام جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة للمحبة أما
جمال الصورة والظاهر وكمال الأخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب
ما لا يحتاج إلى زيادة وأما إحسانه وإنعامه على أمته فكذلك قد مر منه في أوصاف
الله تعالى له من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته إياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به
من النار وأنه بالمومنين رؤوف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه
وسراجا منيرا ويتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم إلى
صراط مستقيم فأي إحسان أجل قدرا وأعظم خطرا من إحسانه إلى جميع المومنين وأي
إفضال أعم منفعة وأكثر فائدة من إنعامه على كافة المسلمين إذ كان ذريعتهم إلى
الهداية ومنقذهم من العماية وداعيهم إلى الفلاح والكرامة ووسيلتهم إلى ربهم وشفيعهم
والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمد فقد استبان لك
أنه عليه السلام مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار وعادة
وجبلة بما ذكرناه آنفا لإفاضته الإحسان وعمومه الإجمال فإذا كان الإنسان يحب
من منحه في دنياه مرة أو مرتين معروفا أو استنقذه من هلكة أو مضرة مدة التأذي بها

فليس من يبلغ من منفعته ما لا يبلغه من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم أولى بالحب
وإذا كان يحب بالطبع ملك لحسن سيرته أو حاكم لما يؤثر من قوام طريقته أو قاص بعيد
الدار لما يشاد من علمه أو كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال
أحق بالحب وأولى بالميل وقد قال علي رضي الله عنه في صفته صلى الله عليه وسلم من رآه بديهة
هابه ومن خالطه معرفة أحبه وذكرنا عن بعض الصحابة أنه كان لا يصرف بصره عنه محبة
فيه صلى الله عليه وسلم فصل في وجوب مناصحته عليه السلام قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون
ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم
قال أهل التفسير إذا نصحوا لله ورسوله إذا كانوا مخلصين مسلمين في السر والعلانية
حدثنا الفقيه أبو الوليد بقراءتي عليه نا حسين بن محمد نا يوسف بن عبد الله نا ابن عبد المؤمن
نا أبو بكر التمار نا أبو داود نا أحمد بن يونس نا زهير نا سهيل بن أبي صالح عن عطاء بن يزيد
عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الدين النصيحة إن الدين النصيحة
إن الدين النصيحة قالوا لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله وأئمة المسلمين
وعامتهم قال أئمتنا رحمهم الله النصيحة لله ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم واجبة
قال الإمام أبو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة إرادة الخير
للمنصوح له وليس يمكن أن يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة الإخلاص
من قولهم نصحت العسل إذا خلصته من شمعه وقال أبو بكر بن أبي إسحاق الخفاف النصح فعل
الشيء الذي به الصلاح والملاءمة مأخوذ من النصاح وهو الخيط الذي يخاط به الثوب
وقال أبو إسحاق الزجاج نحوه فنصيحة الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه
بما هو أهله وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد من مساخطه والإخلاص
في عبادته والنصيحة لكتابه الإيمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته والتخشع عنده
والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من تأويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة

لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه قاله أبو سليمان وقال
أبو بكر ومؤازرته ونصرته وحمايته حيا وميتا وإحياء سنته بالطلب والذب عنها
ونشرها والتخلق بأخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة وقال أبو إبراهيم إسحاق التجيبي
نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها
والحض عليها والدعوة إلى الله وإلى كتابه وإلى رسوله وإليها وإلى العمل بها وقال أحمد
ابن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال
أبو بكر الآجري وغيره والنصح له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي
حياته نصح أصحابه له بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له
وبذل النفوس والأموال دونه كما قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية
وقال وينصرون الله ورسوله الآية وأما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير
والإجلال وشدة المحبة والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته ومحبة آل بيته
وأصحابه رضي الله عنهم ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبغضه والتحذير منه والشفقة
على أمته والبحث عن تعرف أخلاقه وسيره وآدابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكر تكون
النصيحة إحدى ثمرات المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكى الإمام أبو القاسم
القشيري أن عمرو بن الليث أحد ملوك خراسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار رئي
في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا فقال صعدت ذروة جبل يوما
فأشرفت على جنودي فأعجبني كثرتهم فتمنيت أني حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأعنته ونصرته فشكر الله لي ذلك وغفر لي وأما النصح لأئمة المسلمين فطاعتهم في الحق
ومعونتهم فيه وأمرهم به وتذكيرهم إياه على أحسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا
عنه وكتم عنهم من أمور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس وإفساد قلوبهم
عليهم والنصح لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم ومعونتهم في أمر دينهم ودنياهم بالقول والفعل

وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورد مخاصمهم وستر عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب
المنافع اليهم

الباب الثالث في تعظيم امره ووجوب توقيره وبره

قال الله تعالى يا ايها النبي
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه
وقال يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله وقال يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا
اصواتكم فوق صوت النبي الثلاث الايات وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
فاوجب تعالى تعزيره وتوقيره والزم اكرامه وتعظيمه وقال ابن عباس رضي الله عنه تعزروه
تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه وقال الطبري
تعينونه وقرئ تعززوه بزايين من العز ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب
بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب قال سهل بن عبد الله لا
تقولوا قبل ان يقول واذا قال فانصتوا له واستمعوا ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء
امر قبل قضائه فيه وان يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال او غيره من امر دينهم الا بامره ولا
يسبقوه به والى هذا يرجع قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدي والثوري ثم وعظهم
وحذرهم مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع عليم قال الماوردي اتقوه يعني في
التقدم وقال السلمي اتقوا الله في اهمال حقه وتضييع حرمته ان الله سميع لقولكم عليم
بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض
ويرفع صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال ابو محمد مكي اي لا تسابقوه بالكلام
وتغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه
باشرف ما يحب ان ينادى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا كقوله في الاية الاخرى لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على احد التاويلين قال غيره لا تخاطبوه
الا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل
نزلت الاية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد

اخرج

اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون وقيل نزلت الاية الاولى
في محاورة كانت بين ابي بكر وعمر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما
حتى ارتفعت اصواتهما وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم
في مفاخرة بني تميم وكان في اذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الاية اقام في منزله
وخشي ان يكون حبط عمله واتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت ان اكون
هلكت نهانا الله ان نجهر بالقول وانا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت
اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي ان ابا بكر لما
نزلت هذه الاية قال والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها الا كاخي السرار وان عمر كان اذا حدثه
حدثه كاخي السرار ما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية حتى يستفهمه
فانزل الله تعالى فيهم ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم وقيل نزلت ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون
في غير بني تميم نادوه باسمه وروى صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه
اعرابي بصوت له جهوري ايا محمد ايا محمد فقلنا له اغضض من صوتك فانك قد نهيت عن رفع
الصوت وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين هي لغة كانت
في الانصار نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لان معناها ارعنا نرعك
فنهوا عن قولها اذ مقتضاها كانهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى على كل حال وقيل
كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة فنهي المسلمون عن قولها قطعا
للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة اللفظة وقيل غير هذا

فصل في عادة الصحابة في تعظيمه عليه السلام وتوقيره واجلاله

حدثنا القاضي ابو علي الصدفي وابو بحر
الاسدي بسماعي عليهما في اخرين قالوا ثنا احمد بن عمر ثنا احمد بن الحسن ثنا محمد بن عيسى
ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم ثنا محمد بن مثنى وابو معن الرقاشي واسحق بن منصور ثنا الضحاك

ابن مخلد اخبرنا حيوة بن شريح حدثني يزيد بن ابي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا
عمرو بن العاص فذكر حديثا طويلا فيه عن عمرو وقال وما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق ان املا عيني منه اجلالا له ولو سئلت ان اصفه
ما اطقت لاني لم اكن املا عيني منه وروى الترمذي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج
على اصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم اليه
بصره الا ابو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويبتسمان اليه ويبتسم اليهما
وروى اسامة بن شريك اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله كانما على رؤوسهم الطير
وفي حديث صفته صلى الله عليه وسلم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤوسهم الطير وقال
عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم
اصحابه له ما رأى وانه لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق بصاقا
ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم واجسادهم ولا تسقط منه
شعرة الا ابتدروها واذا امرهم بامر ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما
يحدون اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال يا معشر قريش اني جئت كسرى في
ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد
في اصحابه وفي رواية ان رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم محمدا اصحابه وقد رأيت
قوما لا يسلمونه ابدا وعن انس لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه واطاف
به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل ومن هذا الباب لما اذنت قريش لعثمان
رضي الله عنه في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم اليهم في القضية
ابى وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث طلحة
ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه
ويوقرونه فسأله فاعرض عنه اذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن

فقضى

قضى نحبه وفي حديث قيلة فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء ارعدت
من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقرعون
بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب لقد كنت اريد ان اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
الامر فاؤخر سنين من هيبته فصل واعلم ان حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته
وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره عليه السلام وذكر حديثه
وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته رضي الله
عن جميعهم قال ابو ابراهيم اسحاق التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره او ذكر عنده ان
يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته واجلاله بما كان يأخذ به
نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما ادبنا الله به قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وهذه
كانت سيرة سلفنا الصالحين وائمتنا الماضين رضي الله عنهم حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد
ابن عبد الرحمن الاشعري وابو القاسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما اجازونيه قالوا اخبرنا
ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث قال نا ابو الحسن علي بن فهر نا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج نا ابو الحسن
عبد الله بن المنتاب نا يعقوب بن اسحاق بن ابي اسرائيل نا ابن حميد قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكا
رحمه الله في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك
في هذا المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية
ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الاية وذم قوما فقال ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات الاية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله
أستقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه
وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه السلام الى الله يوم القيامة بل استقبله
واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الاية وقال مالك
وقد سئل عن ايوب السختياني ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل منه قال وحج حجتين

فكنت ارمقه ولا اسمع منه غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى ارحمه فلما
رايت منه ما رايت واجلاله للنبي صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان
مالك اذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عنده يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه
فقيل له يوما في ذلك فقال لو رايتم ما رايت لما انكرتم علي ما ترون ولقد كنت ارى محمد بن المنكدر
وكان سيد القراء لا نكاد نساله عن حديث ابدا الا بكى حتى نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن
محمد وكان كثير الدعابة والتبسم اذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم اصفر وما رايته يحدث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على
ثلاث خصال اما مصليا واما صامتا واما يقرا القران ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من
العلماء والعباد الذين يخشون الله تعالى ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم
فينظر الى لونه كانه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ولقد كنت اتي عامر بن عبد الله بن الزبير فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى
لا يبقى في عينيه دموع ولقد رايت الزهري وكان من اهنا الناس واقربهم فاذا ذكر عنده النبي
صلى الله عليه وسلم فكانه ما عرفك ولا عرفته ولقد كنت اتي صفوان بن سليم وكان من
المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس
عنه ويتركوه وروي عن قتادة انه كان اذا سمع الحديث اخذه العويل والزويل ولما
كثر على مالك الناس قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال تعالى يا ايها الذين
امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سواء وكان ابن سيرين
ربما يضحك فاذا ذكر عنده النبي عليه السلام خشع وكان عبد الرحمن بن مهدي اذا قرا
حديث النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي
ويتاول انه يجب له من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله

[illegible] اليوم [illegible]

فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته

حدثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا ابو الفضل بن خيرون نا ابو بكر البرقاني وغيره نا ابو الحسن
الدارقطني نا علي بن مبشر نا احمد بن سنان القطان نا يزيد بن هارون نا المسعودي عن
مسلم البطين عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم علاه كرب حتى رايت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا ان شاء الله او فوق ذا او ما دون
ذا او ما هو قريب من ذا وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت
اوداجه وقال ابراهيم بن عبد الله بن قريم الانصاري قاضي المدينة مر مالك بن انس على
ابي حازم وهو يحدث فجازه وقال اني لم اجد موضعا اجلس فيه فكرهت ان اخذ حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانا قائم وقال مالك جاء رجل الى ابن المسيب فساله عن حديث وهو مضطجع
فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت انك لم تتعن فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وانا مضطجع وروي عن محمد بن سيرين انه قد يكون يضحك فاذا ذكر عنده حديث
النبي صلى الله عليه وسلم خشع وقال ابو مصعب كان مالك بن انس لا يحدث بحديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له وحكى مالك ذلك عن جعفر بن محمد وقال مصعب
ابن عبد الله كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا وتهيا ولبس
ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسئل عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال مطرف كان اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ
تريدون الحديث او المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله
واغتسل وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على راسه رداءه وتلقى
له منصة فيخرج ويجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن ابي اويس فقيل لمالك في ذلك فقال احب ان اعظم حديث

رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث به الا على طهارة متمكنا قال وكان يكره أن يحدث
في الطريق وهو قائم او مستعجل وقال احب ان أفهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ضرار بن مرة كانوا يكرهون ان يحدثوا على غير وضوء ونحوه عن قتادة وكان الاعمش
اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة ولا يقرأ
حديث النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء قال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك وهو
يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس قلت له يا ابا عبد الله لقد رأيت
منك اليوم عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن مهدي
مشيت يوما مع مالك الى العقيق فسألته عن حديث فانتهرني وقال لي كنت في عيني اجل
من ان تسأل عن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي وسأله جرير بن عبد الحميد
القاضي عن حديث وهو قائم فأمر بحبسه فقيل له انه قاض فقال القاضي احق من ادب وذكر ان هشام
ابن الغاز سأل مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم اشفق له فحدثه عشرين
حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا ويزيدني حديثا قال عبد الله بن صالح كان
مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران وكان قتادة يستحب ان لا تقرأ احاديث
النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث بها الا على طهارة فصل ومن توقيره
صلى الله عليه وسلم وبره بر آله وذريته وامهات المؤمنين ازواجه كما حض عليه السلام
وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم قال الله عز وجل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت الآية وقال تعالى وازواجه امهاتهم الآية اخبرنا الشيخ ابو محمد بن احمد العدل
من كتابه وكتبت من اصله نا ابو الحسن المقرئ الفرغاني ثنا ام القاسم بنت الشيخ ابي بكر
الخفاف قال ثنا حاتم هو ابن عقيل ثنا يحيى هو ابن اسمعيل ثنا يحيى الحماني ثنا وكيع
عن ابيه عن سعيد بن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

انشدكم الله في اهل بيتي ثلاثا قلنا لزيد من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل
العباس رضي الله عنهم وقال عليه السلام اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله
وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال عليه السلام معرفة آل محمد براءة من
النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد امان من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم
هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه
وعن عمر بن ابي سلمة لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية وذلك
في بيت ام سلمة دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء
وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وعن سعد
ابن ابي وقاص لما نزلت آية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة
وقال اللهم هؤلاء اهلي وقال النبي صلى الله عليه وسلم في علي من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال
من والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وقال للعباس والذي
نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله ومن آذى عمي فقد آذاني وانما
عم الرجل صنو ابيه وقال للعباس اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته وقال هذا — الصنو المثل
عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم فأمنت اسكفة الباب
وحوائط البيت آمين آمين وكان يأخذ بيد اسامة بن زيد والحسن ويقول اللهم اني احبهما فاحبهما
وقال ابو بكر ارقبوا محمدا في اهل بيته وقال ايضا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم
احب الي ان اصل من قرابتي وقال صلى الله عليه وسلم احب الله من احب حسنا وحسينا وقال من احبني
واحب هذين واشار الى حسن وحسين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة وقال
صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا اهانه الله وقال قدموا قريشا ولا تقدموها وقال عليه السلام
لام سلمة لا تؤذيني في عائشة وعن عقبة بن الحارث رأيت ابا بكر رضي الله عنه وجعل الحسن على
عنقه وهو يقول بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك وروي عن عبد الله بن حسن بن حسن

قال أتيت عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي إذا كانت لك حاجة فأرسل إلي أو اكتب
فإني أستحيي من الله أن يراك على بابي. وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة أمه ثم قربت
له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فأخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله فقال
هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا
ورأى ابن عمر محمد بن أسامة بن زيد فقال ليت هذا عبدي فقيل له هو محمد بن أسامة فطأطأ
رأسه ونقر بيده الأرض وقال لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبه وقال الأوزاعي دخلت
بنت أسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها
يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى إليها حتى جعل يديها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها
حتى أجلسها على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة إلا قضاها ولما فرض عمر بن
الخطاب رضي الله عنه لابنه عبد الله في ثلاثة آلاف ولأسامة بن زيد في ثلاثة آلاف
وخمسمائة قال عبد الله لأبيه لم فضلته فوالله ما سبقني إلى مشهد فقال له لأن زيدا
كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك وأسامة أحب إليه منك فآثرت حب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغ معاوية أن كابس بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه وأقطعه المرغاب
لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي أن مالكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمان
ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس فأفاق فقال أشهدكم أني جعلت ضاربي
في حل فسئل بعد ذلك فقال خفت أن أموت فألقى النبي صلى الله عليه وسلم فأستحيي منه أن يدخل
بعض آله النار بسببي وقيل إن المنصور أقاده من جعفر فقال له أعوذ بالله والله ما
ارتفع منها سوط عن جسمي إلا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال أبو بكر بن عياش لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولأن أخر من السماء إلى الأرض أحب إلي من أن أقدمه عليهما وقيل لابن عباس

ماتت

ماتت فلانة لبعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له أتسجد في هذه الساعة فقال
أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيتم آية فاسجدوا وأي آية أعظم من
ذهاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان أبو بكر وعمر يزوران أم أيمن مولاة النبي صلى الله
عليه وسلم ويقولان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة السعدية على
النبي صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي عليه السلام وفدت على
أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فصنعا بها مثل ذلك فصل ومن توقيره وبره عليه السلام توقير
أصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والإمساك
عما شجر بينهم ومعاداة من عاداهم والإضراب عن أخبار المؤرخين وجهلة الرواة وضلال
الشيعة والمبتدعين القادحة في أحد منهم وأن يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك فيما كان
بينهم من الفتن أحسن التأويلات ويخرج لهم أصوب المخارج إذ هم أهل ذلك ولا يذكر أحد
منهم بسوء ولا يغمص عليه أمر بل تذكر حسناتهم وفضائلهم وجميل سيرهم ويسكت
عما وراء ذلك كما قال عليه السلام إذا ذكر أصحابي فأمسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله
والذين معه أشداء على الكفار إلى آخر السورة وقال والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار
الآية وقال لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة وقال رجال صدقوا ما
عاهدوا الله عليه الآية حدثنا القاضي أبو علي ثنا أبو الحسين وأبو الفضل ثنا أبو يعلى
ثنا أبو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا الترمذي ثنا الحسن بن الصباح ثنا سفيان بن عيينة عن
زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا
باللذين من بعدي أبي بكر وعمر وقال أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم وعن أنس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام إلا به وقال
صلى الله عليه وسلم الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم
فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله يوشك أن يأخذه وقال

ومن آذى الله

لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه وقال من سب أصحابي
فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال إذا ذكر أصحابي
فأمسكوا وقال في حديث جابر إن الله اختار أصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين
واختار لي منهم أربعة أبا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير أصحابي وفي أصحابي كلهم خير وقال
صلى الله عليه وسلم من أحب عمر فقد أحبني ومن أبغض عمر فقد أبغضني وقال مالك بن أنس وغيره من
أبغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين حق ونزع بآية الحشر والذين جاءوا من بعدهم
الآية وقال من غاظه أصحاب محمد فهو كافر قال تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن
المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال أيوب
السختياني من أحب أبا بكر فقد أقام الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ومن أحب عثمان فقد
استضاء بنور الله ومن أحب عليا فقد أخذ بالعروة الوثقى ومن أحسن الثناء على أصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص أحدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف
الصالح وأخاف أن لا يصعد له عمل إلى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه سليما وفي
حديث خالد بن سعيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس إني راض عن أبي بكر فاعرفوا له ذلك أيها
الناس إني راض عن عمر وعن عثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف
وأبي عبيدة بن الجراح فاعرفوا لهم ذلك أيها الناس إن الله غفر لأهل بدر والحديبية أيها
الناس احفظوني في أصحابي وأصهاري وأختاني لا يطالبنكم أحد منهم بمظلمة فإنها مظلمة
لا توهب في القيامة أبدا وقال رجل للمعافى بن عمران أين عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب
وقال لا يقاس بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على
وحي الله وأتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان
فأبغضه الله وقال عليه السلام في الأنصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال احفظوني
في أصحابي وأصهاري فإنه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني

فيهم

فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك أن يأخذه وعنه عليه السلام من حفظني في أصحابي
كنت له حافظا يوم القيامة وقال من حفظني في أصحابي ورد علي الحوض ومن لم يحفظني في
أصحابي لم يرني على الحوض ولم يرني إلا من بعيد قال سهل رحمه الله هذا النبي صلى الله عليه وسلم
موضع الخلق والذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل إلى البقيع فيدعو
لهم ويستغفر كالمودع لهم وبذلك أمره الله وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بحبهم وموالاتهم
ومعاداة من عاداهم وروي عن كعب ليس أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إلا له شفاعة
يوم القيامة وطلب من المغيرة بن نوفل أن يشفع له يوم القيامة قال سهل بن عبد الله
التستري لم يؤمن بالرسول من لم يوقر أصحابه ولم يعز أوامره ومن إعظامه وإكباره
عليه السلام إعظام جميع أسبابه وإكرام مشاهده وأمكنته من مكة والمدينة ومعاهده
وما لمسه عليه السلام أو عرف به وروي عن صفية بنت نجدة قالت كان لأبي محذورة قصة
في مقدم رأسه إذا قعد وأرسلها أصابت الأرض فقيل له ألا تحلقها فقال لم أكن بالذي أحلقها
وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من
شعره عليه السلام فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة أنكر عليه أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم أفعلها بسبب القلنسوة بل لما تضمنته من
شعره عليه السلام لئلا أسلب بركتها وتقع في أيدي المشركين ورئي ابن عمر واضعا يده على
مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه ولهذا كان مالك لا يركب بالمدينة
دابة وكان يقول أستحيي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة
وروي أنه وهب للشافعي كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي أمسك منها دابة فأجابه
رحمه الله بمثل هذا الجواب وقد حكى أبو عبد الرحمن السلمي عن أحمد بن فضلويه الزاهد
وكان من الغزاة الرماة أنه قال ما مسست القوس بيدي إلا على طهارة منذ بلغني أن النبي
صلى الله عليه وسلم أخذ القوس بيده وقد أفتى مالك رحمه الله فيمن قال إن تربة المدينة ردية يضرب

ثلاثين درة وامر بحبسه وكان له قدر وقال ما احوجه الى ضرب عنقه تربة دفن فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة وفي الصحيح انه قال عليه السلام في المدينة
من احدث فيها حدثا او اوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه
صرف ولا عدل وحكي ان جهجاها الغفاري اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان
رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته الاكلة في ركبته
فقطعها ومات قبل الحول وقال عليه السلام من حلف على منبري كاذبا فليتبوا مقعده
من النار وحدث ان ابا الفضل الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى
باكيا منشدا

ولما راينا رسم من لم يدع لنا ... فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه ان نلم به ركبا

وحكي عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم انشا يقول
متمثلا

رفع الحجاب لنا فلاح لناظر ... قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا ... فظهورهن على الرحال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى ... فلها علينا حرمة وذمام

وحكي عن بعض المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الابق ياتي الى بيت مولاه
راكبا لو قدرت ان امشي على راسي ما مشيت على قدمي قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وجدير
لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها الملائكة والروح
وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر
عنها من دين الله وسنة رسوله ما انتشر مدارس ايات ومساجد وصلوات ومشاهد
الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف
سيد المرسلين ومتبوا خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها ومواطن
مهبط فيها الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى ترابها ان تعظم عرصاتها وتتنسم

نفحاتها وتقبل ربوعها وجدرانها

يا دار خير المرسلين ومن به ... هدي الانام وخص بالايات
عندي لاجلك لوعة وصبابة ... وتشوق متوقد الجمرات
وعلي عهد ان ملات محاجري ... من تلكم الجدرات والعرصات
لاعفرن مصون شيبي بينها ... من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والاعادي زرتها ... ابدا ولو سحبا على الوجنات
لكن ساهدي من حفيل تحيتي ... لقطين تلك الدار والحجرات
اذكى من المسك المفتق نفحة ... تغشاه بالاصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات ... ونوامي التسليم والبركات

الباب الرابع في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته

قال الله تبارك وتعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية قال ابن عباس معناه ان الله وملائكته
يباركون على النبي وقيل ان الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له قال المبرد واصل
الصلاة الترحم فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله وقد ورد
في الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة اللهم اغفر له اللهم ارحمه
فهذا دعاء وقال بكر القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي صلى الله عليه وسلم رحمة
وللنبي تشريف وزيادة تكرمة وقال ابو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة و
صلاة الملائكة الدعاء قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في
حديث تعليم الصلاة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل انهما بمعنيين واما التسليم
الذي امر الله تعالى به عباده قال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت هذه الاية على النبي صلى الله
عليه وسلم فامر الله سبحانه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا على
النبي صلى الله عليه وسلم عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى السلام عليه ثلاثة وجوه

احدها السلامة لك ومعك وتكون السلامة مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني ان السلام
على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله الثالث ان السلام
بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم
ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فصل اعلم ان الصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلاة عليه وحمل
الايمة والعلماء له على الوجوب واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر الطبري ان محمل الاية عنده
على الندب وادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج
ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن
الاسلام وشعار اهله قال القاضي ابو الحسن بن القصار المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب في
الجملة على الانسان وفرض عليه ان ياتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضي ابو بكر بن
بكير افترض الله على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم
فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضي ابو محمد بن نصر الصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم واجبة في الجملة قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه وغيرهم من
اهل العلم ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد الايمان لا يتعين في الصلاة
وان من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط الفرض عنه وقال اصحاب الشافعي الفرض منها
الذي امر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم هو في الصلاة قالوا واما في غيرها فلا خلاف انها
غير واجبة واما في الصلاة فحكى الامامان ابو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين
والمتاخرين من علماء الامة على ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة
وشذ الشافعي في ذلك فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم بعد التشهد الاخير وقبل السلام
فصلاته فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك لم تجزه ولا سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها وقد
بالغ في انكار هذه المسالة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف

فيها

فيها منهم الطبري والقشيري وغير واحد وقال ابو بكر بن المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلاة
الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ترك ذلك تارك فصلاته مجزية في مذهب مالك
واهل المدينة وسفيان الثوري واهل الكوفة من اصحاب الراي وغيرهم وهو قول جل اهل العلم
وحكي عن مالك وسفيان انها في التشهد الاخير مستحبة وان تاركها في التشهد مسيء وشذ
الشافعي فاوجب على تاركها في الصلاة الاعادة واوجب اسحاق الاعادة مع تعمد تركها
دون النسيان وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن محمد بن المواز ان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة
قال ابو محمد يريد ليست من فرائض الصلاة وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار و
عبد الوهاب ان محمد بن المواز يراها فريضة في الصلاة كقول الشافعي وحكى ابو يعلى العبدي المالكي
عن المذهب فيها ثلاثة اقوال في الصلاة الوجوب والسنة والندب وقد خالف الخطابي من اصحاب
الشافعي وغيره الشافعي في هذه المسالة قال الخطابي وليست بواجبة في الصلاة وهو
قول جماعة الفقهاء الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها ليست من فروض
الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه هذه
المسالة جدا وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه له النبي صلى الله
عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى الله
عليه وسلم كابي هريرة وابن عباس وجابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري وعبد الله
ابن الزبير رضي الله عنهم جميعهم لم يذكروا فيه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وجابر
كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن ابي سعيد
وقال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان في الكتاب وعلمه ايضا
على المنبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفي الحديث لا صلاة لمن لم يصل علي قال ابن القصار معناه كاملة
او لمن لم يصل علي مرة في عمره وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث وفي حديث ابي جعفر
ابن عن ابي مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي لم تقبل منه

قال المؤلف فظهر الصواب انه قول ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها
على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم ورواه عن ابي جعفر جابر الجعفي
وهو ضعيف فصل في المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم
ويرغب من ذلك في تشهد الصلاة كما قدمناه وذلك بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا القاضي
ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه قال ثنا الامام ابو القاسم البلخي ثنا الفارسي عن ابي القاسم الخزاعي
عن ابي سعيد الهيثم بن كليب عن ابي عيسى الحافظ ثنا محمد بن غيلان ثنا عبد الله بن يزيد المقرئ
ثنا حيوة بن شريح حدثني ابو هاني الخولاني ان عمرو بن مالك الجنبي اخبره انه سمع فضالة بن عبيد
رضي الله عنه يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله
عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره اذا صلى احدكم
فليبدا بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء ويروى من
غير هذا السند بتحميد الله وهو اصح وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الدعاء والصلاة معلق
بين السماء والارض ولا يصعد الى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود
رضي الله عنه اذا اراد احدكم ان يسال الله شيئا فليبدا بمدحه والثناء عليه بما هو اهله ثم
يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليسال فانه اجدر ان ينجح وعن جابر رضي الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملا قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان
احتاج الى شراب شربه او الوضوء توضا والا اهراقه ولكن اجعلوني في اول الدعاء واوسطه
واخره وقال ابن عطاء للدعاء اركان واجنحة واوقات واسباب فان وافق اركانه قوي وان
وافق اجنحته طار في السماء وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه نجح فاركانه حضور القلب
والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الاسباب واجنحته الصدق
ومواقيته الاسحار واسبابه الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلاتين
على لا يرد وفي حديث اخر كل دعاء محجوب دون السماء فاذا جاءت الصلاة على صعد الدعاء

وفي دعاء ابن عباس الذي رواه عنه حنش فقال في اخره واستجب دعائي ثم تبدا بالصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم ان تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك افضل ما صليت على احد
من خلقك اجمعين امين ومن مواطن الصلاة عليه عند ذكره او سماع اسمه او كتابه
او عند الاذان وقد قال عليه السلام رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وكره ابن حبيب
ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون الصلاة عليه عند التعجب وقال لا يصلى
عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب وقال اصبغ عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما
الا الله الذبيحة والعطاس ولا تقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو كان بعد ذكر الله
صلى الله على محمد لم تكن تسمية له مع الله وقاله اشهب قال ولا ينبغي ان تجعل الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم فيه استنانا وروى النسائي عن اوس بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار
من الصلاة عليه يوم الجمعة ومن مواطن الصلاة والسلام دخول المسجد قال ابو اسحق بن
شعبان وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اله ويترحم عليه
وعلى اله ويبارك عليه وعلى اله ويسلم تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب
رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله فاذا دخلتم
بيوتا فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن في البيت احد فقل السلام على النبي ورحمة الله
تعالى وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله
وبركاته قال ابن عباس المراد بالبيوت هنا المساجد وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد
فقل السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين وعن علقمة اذا دخلت المسجد اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته صلى الله وملائكته على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل واذا خرج ولم يذكر الصلاة واحتج
ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا

هذا الحديث في القسم والاختلاف في الفاتحة، ومن مواطن الصلاة عليه أيضا على الجنائز وقد ذكر عن أبي أمامة أنها من السنة، ومن مواطن الصلاة التي مضى عليها عمل الأمة ولم تنكرها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وآله في الرسائل وما يكتب بعد البسملة، ولم يكن هذا في الصدر الأول وأحدث عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في أقطار الأرض ومنهم من يختم به أيضا الكتاب، وقال عليه السلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب، ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد الصلاة حدثنا أبو القاسم خلف بن إبراهيم المقرئ الخطيب رحمه الله وغيره قالوا حدثتنا كريمة بنت محمد قالت ثنا أبو الهيثم ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو نعيم ثنا الأعمش عن شقيق ابن سلمة عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا صلى أحدكم فليقل التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإنكم إذا قلتموها أصابت كل عبد صالح في السماء والأرض هذا أحد مواطن التسليم عليه وسنته أول التشهد، وقد روى مالك عن ابن عمر أنه كان يقول إذا فرغ من تشهده وأراد أن يسلم، واستحب مالك في المبسوط أن يسلم بمثل ذلك قبل السلام، قال محمد ابن مسلمة أراد ما جاء عن عائشة وابن عمر أنهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام واستحب أهل العلم أن ينوي الإنسان حين سلامه كل عبد صالح في السماء والأرض من الملائكة وبني آدم والجن، قال مالك في المجموعة وأحب للمأموم إذا سلم إمامه أن يقول السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم

فصل في كيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتسليم

حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه ثنا القاضي أبو الأصبغ عيسى بن سهل ثنا أبو عبد الله بن عتاب ثنا أبو بكر بن واقد وغيره ثنا أبو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى ثنا

مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن حزم عن أبيه عن عمرو بن سليم الزرقي أنه قال أخبرني أبو حميد الساعدي أنهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وفي رواية مالك عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على آل إبراهيم وبارك على محمد كما باركت على آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم، وفي رواية كعب ابن عجرة رضي الله عنه اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد، وعن عقبة بن عمرو في حديثه رحمه الله اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد، وفي رواية أبي سعيد الخدري رضي الله عنه اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه، وحدثنا القاضي أبو عبد الله التميمي سماعا عليه وأبو علي الحسن بن طريف النحوي بقراءتي عليه قالا حدثنا أبو عبد الله محمد ابن عمروس الفقيه قال حدثنا أبو بكر المطوعي قال ثنا أبو عبد الله الحاكم عن أبي بكر بن أبي دارم الحافظ عن علي بن أحمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن زيد ابن علي بن الحسين عن أبيه علي عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبريل وقال هكذا أنزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره أن يكتال بالمكيال

الا وقرأه اصلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي الامي وازواجه امهات المومنين
وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري
قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي عليك فقال صلوا علي واجتهدوا في الدعاء
ثم قولوا اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وعن
سلامة الكندي كان علي يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم داحي
المدحوات وبارئ المسموكات اجعل شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورافة تحننك على
محمد عبدك ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ
لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا في مرضاتك واعيا لوحيك
حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك حتى اورى قبسا لقابس آلاء الله تصل باهله
اسبابه به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وابهج موضحات الاعلام ونائرات
الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك المامون وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم
الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه مضاعفات
الخير من فضلك مهنآت له غير مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم
اعل على بناء الناس بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه من ابتعاثك له مقبول
الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق عدل وخطة فصل وبرهان عظيم وعنه ايضا في
الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية لبيك اللهم
ربي وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيئين والصديقين والشهداء
والصالحين وما سبح لك من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيئين وسيد
المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي اليك باذنك السراج
المنير وعليه السلام وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه اللهم اجعل صلواتك
وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيئين محمد عبدك ورسولك

امام

امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد
كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصري يقول من اراد ان
يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى فليقل اللهم صل على محمد وعلى آله واصحابه وازواجه
واولاده وذريته واهل بيته واصهاره وانصاره واشياعه ومحبيه وامته وعلينا معهم
اجمعين يا ارحم الراحمين وعن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنه انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة
محمد الكبرى وارفع درجته العليا وآته سؤله في الاخرة والاولى كما آتيت ابراهيم وموسى
وعن وهيب بن الورد انه كان يقول في دعائه اللهم اعط محمدا افضل ما سالك لنفسه واعط
محمدا افضل ما سالك له احد من خلقك واعط محمدا افضل ما انت مسؤول له الى يوم القيامة
وعن ابن مسعود انه كان يقول اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة
عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك
على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيئين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد
الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل
على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل
محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وما يوجد في تطويل الصلاة وتكثير
الثناء على اهل البيت وغيرهم كثير وقوله عليه الصلاة والسلام كما قد علمتم هو
ما علمهم في التشهد من قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين وفي تشهد علي رضي الله عنه السلام على نبي الله السلام على انبياء
الله ورسله السلام على رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المومنين
والمومنات من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل بيته واغفر
لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبي و

ورحمة الله وبركاته فجاء بعد هذا الحديث عن علي رضي الله عنه الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم
بالمغفرة وفي حديث الصلاة عنه أيضا قبل الدعاء له بالرحمة ولم يأت في غيره من الأحاديث
المرفوعة المعروفة وقد ذهب أبو عمر بن عبد البر وغيره إلى أنه لا يدعى للنبي صلى الله عليه وسلم
بالرحمة وإنما يدعى له بالصلاة والبركة التي تختص به ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة وقد
ذكر أبو محمد بن أبي زيد في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم محمدا وآل محمد كما رحمت
على إبراهيم وآل إبراهيم ولم يأت هذا في حديث صحيح وحجته قوله في السلام السلام عليك
أيها النبي ورحمة الله وبركاته **فصل في فضيلة الصلاة على النبي والتسليم عليه والدعاء له**
حدثنا أحمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه حدثنا القاضي يونس بن مغيث نا أبو بكر بن معاوية
نا النسائي أخبرنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله عن حيوة بن شريح قال أخبرني كعب بن علقمة أنه سمع
عبد الرحمن بن جبير مولى نافع أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه السلام
يقول إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا علي فإنه من صلى علي مرة صلى الله عليه
عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو
أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وروى أنس بن مالك رحمه الله أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات
ورفع له عشر درجات وفي رواية وكتب له عشر حسنات وعن أنس عنه عليه السلام أن جبريل
عليه السلام ناداني فقال من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات
ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه عليه السلام لقيت جبريل عليه السلام فقال لي أبشرك أن الله
يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية أبي هريرة ومالك
ابن أوس بن الحدثان يقول من قال اللهم صل على محمد وأنزله المنزل المقرب عندك يوم القيامة
وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود رضي الله عنه أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة
وعن أبي هريرة عنه عليه السلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي اسمي

في ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلاة صلت عليه
الملائكة ما صلى علي فليقلل من ذلك عبد أو ليكثر وعن أبي بن كعب كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم إذا ذهب ربع الليل قام فقال يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها
الرادفة جاء الموت بما فيه فقال أبي بن كعب يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل
لك من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وإن زدت فهو خير قال الثلث قال ما شئت وإن
زدت فهو خير قال النصف قال ما شئت وإن زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وإن زدت
فهو خير قال يا رسول الله فأجعل صلاتي كلها لك قال إذا تكفى (همك) ويغفر ذنبك وعن أبي طلحة
رضي الله عنه دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت من بشره وطلاقته ما لم أره فـ
سألته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل آنفا فأتاني ببشارة من ربي إن الله تعالى بعثني إليك
أبشرك أنه ليس أحد من أمتك يصلي عليك إلا صلى الله عليه وملائكته بها عشرا وعن جابر
ابن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء اللهم
رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا
الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيامة وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من قال حين
يسمع المؤذن وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله رضيت بالله
ربا وبمحمد رسولا وبالإسلام دينا غفر له وروى ابن وهب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم
علي عشرا فكأنما أعتق رقبة وفي بعض الآثار ليردن علي أقوام ما أعرفهم إلا بكثرة صلاتهم
علي وفي آخر أن أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها أكثركم علي صلاة وعن أبي بكر
رضي الله عنه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أمحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام عليه
أفضل من عتق الرقاب **فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم وإثمه** حدثنا القاضي
الشهيد أبو علي رحمه الله ثنا أبو الفضل بن خيرون وأبو الحسين الصيرفي قالا ثنا أبو يعلى ثنا
السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا أبو عيسى ثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ثنا ربعي بن إبراهيم عن عبد الرحمن

ابن اسحاق عن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم
انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر له ورغم
انف رجل ادرك ابواه عنده الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن واظنه قال او احدهما وفي
حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال آمين ثم صعد فقال آمين
فسأله معاذ عن ذلك فقال ان جبريل صلى الله عليه وسلم اتاني فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم
يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين وقال في من ادرك رمضان فلم يقبل
منه فمات مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما فلم يبرهما فمات مثله وعن علي بن ابي طالب
عنه عليه السلام انه قال البخيل كل البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي وعن جعفر بن محمد
عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطئ به طريق الجنة
وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان البخيل كل البخيل من ذكرت
عنده فلم يصل علي وعن ابي هريرة قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم
تفرقوا قبل ان يذكروا الله ويصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة ان شاء عذبهم
وان شاء غفر لهم وعن ابي هريرة رضي الله عنه من نسي الصلاة علي نسي طريق الجنة وعن قتادة
عنه صلى الله عليه وسلم من الجفاء ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر عنه عليه السلام ما جلس
قوم مجلسا ثم تفرقوا عن غير صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن انتن من ريح
الجيفة وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله
عليه وسلم الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب حكى ابو عيسى الترمذي
عن بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزأ عنه ما كان
في ذلك المجلس فصل في تخصيصه عليه السلام بتبليغ صلاة من صلى عليه او سلم من الانام
حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي ثنا الحسين بن محمد نا ابو عمر الحافظ نا ابن عبد المؤمن نا ابن
داسة نا ابو داود نا ابن عوف نا المقرئ نا حيوة عن ابي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط

عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله
علي روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن ابن مسعود
ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام ونحوه عن ابي هريرة رضي الله عنه وعن
ابن عمر اكثروا من السلام على نبيكم كل جمعة فانه يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية فان
احدا لا يصلي علي الا عرضت صلاته علي حين يفرغ منها وعن الحسن عنه صلى الله عليه وسلم حيثما
كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس رضي الله عنهما ليس احد من امة محمد
صلى الله عليه وسلم يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله
عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن الحسن بن علي رضي الله عنه اذا دخلت المسجد فسلم على النبي
صلى الله عليه وسلم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا بيوتكم
قبورا وصلوا علي حيث كنتم فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم وفي حديث اوس اكثروا
علي من الصلاة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة علي وعن سليمان بن سحيم رأيت النبي
صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك اتفقه سلامهم
قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا من
الصلاة علي في الليلة الزهراء واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم وان الارض لا تأكل اجساد
الانبياء وما من مسلم يصلي علي الا حملها ملك حتى يؤديها الي ويسميه حتى انه ليقول
ان فلانا يقول كذا وكذا فصل في الاختلاف في الصلاة على غير النبي وسائر الانبياء
عليهم السلام قال الفقيه القاضي رحمه الله عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلاة على
غير النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لا تجوز الصلاة على غير النبي
صلى الله عليه وسلم وروي عنه لا تنبغي الصلاة على احد الا النبيين وقال سفيان يكره ان يصلى
الا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد من الانبياء

الصلاة

سوى محمد عليه السلام وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال مالك في المبسوطة ليحيى بن
إسحاق أكره الصلاة على غير الأنبياء وما ينبغي لنا أن نتعدى ما أمرنا به قال يحيى بن يحيى لست آخذ
بقوله ولا بأس بالصلاة على الأنبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء في حديث
تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه وفيه وعلى أزواجه وعلى آله وقد وجدت معلقا عن
أبي عمران الفاسي روي عن ابن عباس رضي الله عنهما كراهة الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم قال وبه
نقول ولم يكن يستعمل فيما مضى وقد روى عبد الرزاق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلوا على أنبياء الله ورسله فإن الله قد بعثهم كما بعثني قالوا والأسانيد عن
ابن عباس لينة والصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الإطلاق حتى يمنع منه
حديث صحيح أو إجماع وقد قال تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته الآية وقال أولئك عليهم
صلوات من ربهم ورحمة وقال خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم الآية
وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى وكان إذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على
آل فلان وفي حديث الصلاة اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته وفي آخر وعلى آل محمد قيل
أتباعه وقيل أمته وقيل آل بيته وقيل الأتباع والرهط والعشيرة وقيل آل الرجل ولده
وقيل قومه وقيل أهله الذين حرمت عليهم الصدقة وفي رواية أنس سئل النبي صلى الله
عليه وسلم من آل محمد قال كل تقي ويجيء على مذهب الحسن أن المراد بآل محمد محمد نفسه فإنه
كان يقول في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل أحمد
يريد نفسه لأنه كان لا يخل بالفرض ويأتي بالنفل لأن الفرض الذي أمر الله به هو الصلاة على محمد
نفسه وهذا مثل قوله عليه السلام لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد من مزامير
داود وفي حديث أبي حميد الساعدي في الصلاة اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته وفي
حديث ابن عمر أنه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أبي بكر وعمر ذكره مالك في الموطأ من رواية
يحيى الأندلسي والصحيح من رواية غيره ويدعو لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما وروى ابن وهب عن أنس

ابن

ابن مالك كنا ندعو لأصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم أبرار
الذين يقومون بالليل ويصومون بالنهار قال الفقيه القاضي رحمه الله والذي ذهب إليه المحققون
وأميل إليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله وروي عن ابن عباس واختاره غير واحد من الفقهاء
والمتكلمين أنه لا يصلى على غير الأنبياء عند ذكرهم بل هو شيء يختص به الأنبياء توقيرا لهم وتعزيزا
كما يختص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه فيه غيره كذلك
يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء بالصلاة والتسليم ولا يشارك فيه سواهم
فيما أمر الله به بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الأئمة وغيرهم بالغفران
والرضى كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان وقال والتابعين
لهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأيضا فهو أمر لم يكن معروفا في الصدر الأول كما قال
أبو عمران وإنما أحدثته الرافضة والمتشيعة في بعض الأئمة فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلاة
وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وأيضا فإن التشبه بأهل البدع منهي عنه فتجب
مخالفتهم فيما التزموه من ذلك وذكر الصلاة على الآل والأزواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم
التبع والإضافة إليه لا على التخصيص قالوا وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه مجراها
مجرى الدعاء والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم والتوقير قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء
الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك يجب أن يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس
بعضهم لبعض وهذا اختيار الإمام أبي المظفر الإسفرايني من شيوخنا وقال به أبو عمر بن عبد البر

فصل في حكم زيارة قبره عليه السلام وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعو

وزيارة قبره عليه السلام سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها وروي عن
ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي قال القاضي أبو علي حدثنا أبو
الفضل بن خيرون ثنا الحسين بن جعفر ثنا أبو الحسن علي بن الدارقطني ثنا القاضي المحاملي ثنا محمد بن عبد الرزاق
قال نا موسى بن هلال عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر وعن أنس بن مالك رضي الله عنه

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان معي في جواري وكنت له
شفيعا يوم القيامة وفي حديث اخر من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي وكره مالك رحمه الله
ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهية الاسم لما ورد من
قوله عليه السلام لعن الله زوارات القبور ويرده قوله نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
وقوله من زار قبري فقد اطلق اسم الزيارة وقيل لان ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور وهذا
ايضا ليس بشيء اذ ليس كل زائر بهذه الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم
لربهم ولم يمنع هذا اللفظ في حقه تعالى وقال ابو عمران انما كره مالك ان يقال طواف الزيارة
وزرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بعضهم لبعض وكره تسوية النبي صلى الله
عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ وان يخص بان يقال سلمنا على النبي صلى الله عليه وسلم وايضا فان الزيارة
مباح بين الناس وواجب شد الرحال الى قبره صلى الله عليه وسلم يريد بالوجوب هنا وجوب ندب
وترغيب وتأكيد لا وجوب فرض والاولى عندي ان منعه وكراهة مالك له لاضافته الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم
وانه لو قال زرنا النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه لقوله عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا
يعبد بعدي اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد فحمى اضافة هذا اللفظ
الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا للذريعة وحسما للباب والله اعلم قال اسحاق بن
ابراهيم الفقيه ومما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلاة في مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطئ
قدميه والعمود الذي كان يستند اليه وينزل جبريل بالوحي فيه عليه صلى الله عليه وسلم
وبمن عمره وقصده من الصحابة وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله
وقال ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فتلا هذه الآية ان الله وملائكته يصلون على النبي ثم قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين
مرة ناداه ملك صلى الله عليك يا فلان لم تسقط لك حاجة وعن يزيد بن ابي سعيد المهري قال قدمت

على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لي اليك حاجة اذا اتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله
عليه وسلم فاقرأه مني السلام قال غيره وكان يبرد اليه البريد من الشام قال بعضهم رأيت
انس بن مالك اتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلاة
فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف وقال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله
عليه وسلم ودعا يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده وقال في
المبسوط لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي قال ابن
ابي مليكة من احب ان يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في القبلة
عند القبر على رأسه وقال نافع كان ابن عمر يسلم على القبر رأيته مائة مرة او اكثر يجيء الى القبر
فيقول السلام على النبي السلام على ابي بكر السلام على ابي حفص ثم ينصرف ورئي واضعا
يده على مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه وعن ابن قسيط والقعنبي
كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا خلا المسجد جسوا برمانة المنبر التي تلي القبر بميا منهم
ثم استقبلوا القبلة يدعون وفي الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الليثي انه كان يقف على قبر
النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر وعند ابن القاسم والقعنبي
ويدعو لابي بكر وعمر قال مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته قال في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر قال القاضي ابو الوليد الباجي وعندي
انه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلاة ولابي بكر وعمر كما في حديث ابن عمر من
الخلاف وقال ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم باسم الله وسلام
على رسول الله عليه السلام السلام علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي
ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة
وهي ما بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيها وتسأله تمام
ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت ركعتاك في غير الروضة اجزأتاك وفي الروضة افضل

وقد قال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على ترعة من ترع الجنة
ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما
وتدعو لهما وأكثر من الصلاة قال مالك في كتاب محمد ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل
وخرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك قال مالك وإذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك
من خرج مسافرا وروى ابن وهب عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال إذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب
رحمتك وإذا خرجت فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك
وفي رواية أخرى فليسلم مكان فليصل فيه ويقول إذا خرج اللهم إني أسألك من فضلك وفي
أخرى اللهم احفظني من الشيطان وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون إذا دخلوا المسجد صلى الله
وملائكته على محمد السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله
خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون إذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة أيضا رضي الله عنها
كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال صلى الله عليه وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة قبل
هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلام
على رسول الله وعن غيره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد قال اللهم افتح لي
أبواب رحمتك ويسر لي أبواب رزقك وعن أبي هريرة رضي الله عنه إذا دخل أحدكم المسجد فليصل
على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك وقال مالك في المبسوط وليس يلزم
من دخل المسجد وخرج من المدينة الوقوف بالقبر وإنما ذلك للغرباء وقال فيه أيضا لا بأس لمن
قدم من سفر أو خرج إلى سفر أن يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو لأبي بكر وعمر
فقيل له فإن ناسا من أهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك في اليوم
مرة أو أكثر وربما وقفوا في الجمعة أو في الأيام المرة والمرتين أو أكثر عند القبر فيسلمون
ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن أحد من أهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح

أي هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ولم يبلغني عن أول هذه الأمة وصدرها أنهم كانوا يفعلون
ذلك ويكره إلا لمن جاء من سفر أو أراده قال ابن القاسم ورأيت أهل المدينة إذا خرجوا منها
أو دخلوها أتوا القبر فسلموا قال وذلك رأيي قال الباجي ففرق بين أهل المدينة والغرباء
لأن الغرباء قصدوا لذلك وأهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها من أجل القبر والتسليم وقال
عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد
وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب أحمد بن سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلتصق به ولا
يمسه ولا يقف عنده طويلا وفي العتبية يبدأ بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله
عليه وسلم وأحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق وأما في
الفريضة فالتقدم إلى الصفوف والتنفل فيه للغرباء أحب إلي من التنفل في البيوت ○
فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الآداب سوى ما قدمناه وفضله
وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة قال
الله تعالى لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم
سئل أي مسجد هو قال مسجدي هذا وهو قول ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن أنس
وغيرهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه مسجد قباء حدثنا هشام بن أحمد الفقيه بقراءتي
عليه قال حدثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا أبو عمر النمري ثنا أبو محمد بن عبد المؤمن ثنا أبو بكر بن داسة
ثنا أبو داود ثنا مسدد ثنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا
والمسجد الأقصى وقد تقدمت الآثار في الصلاة والتسليم على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول
المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دخل
المسجد قال أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال مالك
رحمه الله سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد فدعا بصاحبه فقال ممن أنت قال أنا رجل

لاما يشك

من ثقيف قال لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما إن مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي
لأحد أن يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء من الأذى وأن ينزه عما يكره قال الفقيه القاضي
أبو الفضل رحمه الله حكى ذلك كله القاضي إسماعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون أن حكم سائر المساجد هذا الحكم قال القاضي إسماعيل
وقال محمد بن مسلمة ويكره في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين فيما يخلط
عليهم صلاتهم وليس مما يخص به المساجد رفع الصوت فكره رفع الصوت بالتلبية في مساجد
الجماعات إلا المسجد الحرام ومسجدنا وقال أبو هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم صلاة
في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام قال الفقيه أبو الفضل رحمه الله
اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة والمدينة فذهب
مالك في رواية أشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة أصحابه إلى أن معنى الحديث أن الصلاة
في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلاة في سائر المساجد بألف صلاة إلا المسجد
الحرام فإن الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من الصلاة فيه بدون الألف واحتجوا
بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه صلاة في المسجد الحرام خير من مائة صلاة فيما سواه
فتأتي فضيلة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بتسعمائة وعلى غيره بألف وهذا مبني على تفضيل عليه
المدينة على مكة على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب ومالك وأكثر المدنيين رضي الله عنهم
وذهب أهل مكة والكوفة إلى تفضيل مكة وهو قول عطاء وابن وهب وابن حبيب من أصحاب
مالك وحكاه الساجي عن الشافعي وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره وأن الصلاة
في المسجد الحرام أفضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
بمثل حديث أبي هريرة وفيه وصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة
صلاة وروى قتادة مثله فيأتي فضل الصلاة في المسجد الحرام على هذا على الصلاة في سائر المساجد
بمائة ألف ولا خلاف أن موضع قبره أفضل بقاع الأرض قال القاضي أبو الوليد الباجي الذي يقتضيه

الحديث

الحديث مخالفة حكم مكة لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي
إلى أن هذا التفضيل إنما هو في صلاة الفرض وذهب مطرف من أصحابنا إلى أن ذلك في النافلة أيضا
قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة
وغيرها حديثا نحوه وقال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله عن أبي هريرة
وأبي سعيد رضي الله عنهما وزاد ومنبري على حوضي وفي حديث آخر منبري على ترعة من ترع
الجنة قال الطبري فيه معنيان أحدهما أن المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع أنه روي ما
يبينه بين حجرتي ومنبري والثاني أن البيت هنا القبر وهو قول زيد بن أسلم في هذا الحديث كما روي
بين قبري ومنبري قال الطبري رحمه الله وإذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها
خلاف لأن قبره في حجرته وهو بيته وقوله ومنبري على حوضي قيل يحتمل أنه منبره بعينه الذي كان
في الدنيا وهو أظهر والثاني أن يكون له هنالك منبر والثالث أن قصد منبره والحضور عنده لملازمة
الأعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله الباجي وقوله روضة من رياض الجنة
يحتمل معنيين أحدهما أنه موجب لذلك وأن الدعاء والصلاة فيه يستحق ذلك من الثواب كما
قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثاني أن تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها
قاله الداودي وروى ابن عمر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الداودي
المدينة لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شهيدا أو شفيعا يوم القيامة وقال عليه
السلام في من تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال إنما المدينة كالكير
تنفي خبثها وينصع طيبها وقال عليه السلام لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها إلا أبدلها
الله خيرا منه وروي عنه عليه السلام من مات في أحد الحرمين حاجا أو معتمرا بعثه الله يوم القيامة
لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق آخر بعث من الآمنين يوم القيامة وعن ابن عمر رضي الله عنه
عنه عليه السلام من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فإني أشفع لمن مات بها وقال تعالى إن أول
بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا الآية قال بعض المفسرين آمنا من النار وقيل

كان يأمن من القتل من أحدث حدثا ولجأ إليه في الجاهلية وهذا مثل قوله وإذ جعلنا البيت مثابة
للناس وأمنا على قول بعضهم وحكي أن قوما أتوا سعدون الخولاني بالمنستير فأعلموه أن
كتامة قتلوا رجلا وأضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي أبيض البدن فقال لعله
حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت أنه من حج حجة أدى فرضه ومن حج ثانية داين ربه ومن حج
ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة قال
مرحبا بك من بيت ما أعظمك وأعظم حرمتك وفي الحديث عنه عليه السلام ما من أحد يدعو الله
عند الركن الأسود إلا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب وعنه عليه السلام من صلى خلف
المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وحشر يوم القيامة مع الآمنين قال الفقيه
القاضي أبو الفضل رحمه الله قرأت على القاضي الحافظ أبي علي رحمه الله حدثنا أبو العباس العذري
قال نا أبو أسامة محمد بن أحمد بن محمد الهروي نا الحسن بن رشيق سمعت أبا الحسن محمد بن الحسن بن راشد
سمعت أبا بكر محمد بن إدريس سمعت الحميدي قال سمعت سفيان بن عيينة قال سمعت عمرو بن دينار
قال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا أحد
بشيء في هذا الملتزم إلا استجيب له قال ابن عباس وأنا ما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا استجيب لي وقال عمرو بن دينار وأنا ما دعوت الله
تعالى بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس إلا استجيب لي وقال سفيان وأنا ما
دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو إلا استجيب لي وقال الحميدي وأنا ما
دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان إلا استجيب لي وقال محمد بن إدريس
وأنا ما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي إلا استجيب وقال أبو الحسن
محمد بن الحسن وأنا ما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن إدريس إلا استجيب
لي قال أبو أسامة وما أذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وأنا ما دعوت الله بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من الحسن بن رشيق إلا استجيب لي من أمر الدنيا وأنا أرجو أن يستجاب

هذا لي من أمر الآخرة قال العذري وأنا ما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من أبي أسامة إلا
استجيب لي قال أبو علي وأنا فقد دعوت الله فيه بأشياء كثيرة استجيب لي بعضها وأرجو
من سعة فضله أن يستجيب بقيتها قال القاضي أبو الفضل رحمه الله ذكرنا نبذا من نكت
في هذا الفصل وإن لم تكن من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله الموفق
للصواب برحمته إنه أرحم الراحمين **القسم الثالث** فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل
أو يجوز عليه وما يمتنع أو يصح من الأحوال البشرية أن يضاف إليه قال الله تعالى وما محمد إلا
رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل الآية وقال ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت
من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام وقال وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم
ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وقال إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي الآية فمحمد صلى الله
عليه وسلم وسائر الأنبياء من البشر أرسلوا إلى البشر ولولا ذلك لما أطاق الناس مقاومتهم والقبول
عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا أي لما كان إلا في صورة البشر الذين
يمكنهم مخالطتهم إذ لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته على صورته وقال تعالى
قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا أي لا يمكن
في سنة الله إرسال الملك إلا لمن هو من جنسه أو من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه على
مقاومته كالأنبياء والرسل صلوات الله عليهم فالأنبياء والرسل وسائط بين الله وبين
خلقه يبلغونهم أوامره ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من أمره وخلقه وجلاله
وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم وأجسادهم وبنيتهم متصفة بأوصاف البشر طارئ
عليها ما يطرأ على البشر من الأعراض والأسقام والموت والفناء ونعوت الإنسانية وأرواحهم
وبواطنهم متصفة بأعلى من صفات البشر متعلقة بالملأ الأعلى متشبهة بصفات الملائكة
سليمة من التغير والآفات لا يلحقها غالبا عجز البشرية ولا ضعف الإنسانية إذ لو كانت
بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما أطاقوا الأخذ عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم

وفي الحكم كما لا يليق غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة
وبخلاف صفات البشر لما اطاق البشر ومن ارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى فجعلوا
من جهة الاجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الارواح والبواطن مع الملائكة كما قال
عليه السلام لو كنت متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم
خليل الرحمن وكما قال عليه السلام تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال عليه السلام اني لست كهيئتكم
اني اظل يطعمني ربي ويسقيني فبواطنهم منزهة عن الآفات مطهرة من النقائص والاعتلالات
وهذه جملة لن يكتفي بمضمونها كل ذي همة بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل على ما نأتي
بعد هذا في البابين بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل الباب الاول فيما يختص بالامور الدينية
والكلام في عصمة نبينا وسائر الانبياء صلوات الله عليهم قال القاضي ابو الفضل رحمه الله اعلم
ان الطوارئ من التغييرات والآفات على آحاد البشر لا يخلو ان تطرأ على جسمه او على حواسه
بغير قصد واختيار كالامراض والاسقام او تطرأ بقصد واختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل
ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله الى ثلاثة انواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع
البشر تطرأ عليهم الآفات والتغييرات بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي
صلى الله عليه وسلم وان كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين
القاطعة وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات التي تقع على الاختيار
وعلى غير الاختيار كما سنبينه ان شاء الله فيما نأتي به من التفاصيل ان شاء الله تعالى فصل
في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته اعلم منحنا الله واياك توفيقه ان ما تعلق
منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والايمان به وبما اوحي اليه فعلى غاية المعرفة ووضوح
العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك او الشك او الريب فيه والعصمة من كل ما
يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة
ان يكون في عقود الانبياء سواه ولا يعترض على هذا بقول ابراهيم عليه السلام قال بلى ولكن

ليطمئن قلبي انه لم يشك ابراهيم في اخبار الله تعالى له باحياء الموتى ولكن اراد طمأنينة القلب وترك
المنازعة لمشاهدة الاحياء فحصل له العلم الاول بوقوعه واراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته
الوجه الثاني ان ابراهيم عليه السلام انما اراد اختبار منزلته عند ربه وعلم اجابته دعوته
بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله تعالى اولم تؤمن اي الم تصدق بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك
الوجه الثالث انه سأل زيادة يقين وقوة طمأنينة وان لم يكن في الاول شك اذ العلوم الضرورية
والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات فاراد
الانتقال من النظر او الخبر الى المشاهدة والترقي من علم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا
قال سهل بن عبد الله سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا في حاله الوجه الرابع
انه لما احتج على المشركين بان ربه يحيي ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه
الخامس قول بعضهم هو سؤال على طريق الادب المراد اقدرني على احياء الموتى وقوله ليطمئن قلبي عن
هذه الامنية الوجه السادس انه ارى من نفسه الشك وما شك لكن ليجاب فيزداد قربة
وقول نبينا عليه السلام نحن احق بالشك من ابراهيم نفي لان يكون ابراهيم شك وابعاد للخواطر
الضعيفة ان تظن هذا بابراهيم اي نحن موقنون بالبعث واحياء الله الموتى فلو شك ابراهيم
لكنا اولى بالشك منه اما على طريق الادب او ان يريد امته الذين يجوز عليهم الشك او على طريق
التواضع والاشفاق ان حملت قصة ابراهيم عليه السلام على اختبار حاله او زيادة يقينه
فان قلت فما معنى قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من
قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون
من الخاسرين فاحذر ثبتك الله ان يخطر ببالك ما ذكر فيه بعض المفسرين عن ابن عباس رضي الله عنه
او غيره من اثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه
جملة بل قد قال ابن عباس رضي الله عنه لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن ابن جبير
والحسن وحكى قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسأل وعامة المفسرين على هذا

في معنى الآية فقيل المراد قل يا محمد للشاك إن كنت في شك مما يعني الآية قالوا وفي السورة نفسها
ما دل على هذا التأويل قوله تعالى قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني الآية وقيل
المراد بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك الآية
الخطاب له والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير قال بكر بن
العلاء ألا تراه يقول ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله وهو عليه السلام كان المكذَّب
فيما يدعو إليه فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل على أن المراد بالخطاب غيره ومثل هذه
الآية قوله الرحمن فاسأل به خبيرا المأمور هاهنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسأل النبي صلى الله
عليه وسلم والنبي عليه السلام هو الخبير المسؤول لا المستخبر السائل وقيل إن هذا الشك الذي أمر
غير النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الذين يقرءون الكتاب عنه إنما هو فيما قصه الله من أخبار الأمم
لا فيما دعا إليه من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا
الآية المراد به المشركون والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم قاله القتيبي وقيل معناه
سلنا عن من أرسلنا من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتدأ الكلام أجعلنا من دون الرحمن
الآية على طريق الإنكار أي ما جعلنا حكاه مكي وقيل أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن
يسأل الأنبياء عليهم السلام ليلة الإسراء عن ذلك فكان أشد يقينا من أن يحتاج إلى السؤال
فروي أنه قال لا أسأل قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل سل أمم من أرسلنا هل جاءوهم بغير
التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذي قبله إعلامه
بما بعثت به الرسل وأنه تعالى لم يأذن في عبادة غيره لأحد ردا على مشركي العرب وغيرهم
في قولهم إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى وكذلك قوله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون
أنه منزل من ربك بالحق الآية أي في علمهم بأنك رسول الله وإن لم يقروا بذلك وليس المراد به
شكه فيما ذكر في أول الآية وقد يكون أيضا على مثل ما تقدم أي قل يا محمد لمن امترى في ذلك فلا
تكونن من الممترين بدليل قوله أول الآية أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب

الآية

الآية وأن النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب به غيره وقيل هو تقرير كقوله أأنت قلت للناس اتخذوني
وأمي إلهين من دون الله وقد علم أنه لم يقل وقيل معناه ما كنت في شك فسل تزدد طمأنينة
وعلما إلى علمك ويقينك وقيل إن كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك
في الكتب ونشر فضائلك وحكي عن أبي عبيدة أن المراد إن كنت في شك من غيرك فيما أنزلنا
فإن قيل فما معنى قوله حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا على قراءة التخفيف
قلنا المعنى في ذلك ما قالته عائشة رضي الله عنها معاذ الله أن تظن ذلك الرسل بربها وإنما معنى
ذلك أن الرسل لما استيأسوا ظنوا أن من وعدهم النصر من أتباعهم كذبوهم وعلى هذا أكثر
المفسرين وقيل الضمير في ظنوا عائد على الأتباع والأمم لا على الأنبياء والرسل وهو قول ابن
عباس رضي الله عنه والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء رضي الله عنهم وبهذا المعنى قرأ
مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء
فكيف بالأنبياء عليهم السلام وكذلك ما ورد في حديث السيرة ومبتدأ الوحي من قوله لخديجة
لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما آتاه من الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي
أن لا تحتمل قوته مقاومة الملك وأعباء الوحي فينخلع قلبه أو تزهق نفسه هذا على ما ورد في
الصحيح أنه قاله بعد لقائه الملك أو يكون ذلك قبل لقائه وإعلام الله تعالى له بالنبوة
لأول ما عرضت عليه من العجائب وسلم الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير كما روي عليه
في بعض طرق هذا الحديث أن ذلك كان أولا في المنام ثم أري في اليقظة مثل ذلك تأنيسا له عليه
السلام لئلا يفجأه الأمر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لأول حالة بنية البشرية وفي الصحيح
عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة
قالت ثم حبب إليه الخلاء وقالت إلى أن جاءه الحق وهو في غار حراء الحديث وعن ابن عباس
رضي الله عنه مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت
ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان سنين يوحى إليه وقد روى ابن إسحاق عن بعضهم

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وذكر جواره بغار حراء قال فجاءني وانا نائم فقال اقرا فقلت ما اقرا
وذكر نحو حديث عائشة رضي الله عنها في غطه له واقرائه اقرا باسم ربك الخ السورة قال فانصرف
عني وهببت من نومي فكانما صورت في قلبي ولم يكن ابغض الي من شاعر او مجنون ثم قلت لا تحدث
عني قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق من الجبل فلاطرحن نفسي منه فلاقتلنها فبينا انا عامد لذلك
اذ سمعت مناديا ينادي من السماء يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فرفعت راسي فاذا جبريل في
صورة رجل وذكر الحديث فقد بين ان قوله لما قال وقصده ما قصد انما كان قبل لقاء جبريل
وقبل اعلام الله له بالنبوة واظهاره واصطفائه له بالرسالة ومثله حديث عمرو بن شرحبيل انه
عليه السلام قال لخديجة رضي الله عنها اذا خلوت وحدي سمعت نداء وقد خشيت والله ان يكون أني
هذا لامر ومن رواية حماد بن سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة رضي الله عنها اني لاسمع
صوتا وارى ضوءا اخشى ان يكون في جنون وعلى هذا يتاول لو صح قوله في بعض هذه الاحاديث
ان الابعد شاعر او مجنون والفاظا يفهم منها معاني الشك في تصحيح ما راه وانه كان كله في
ابتداء امره وقبل لقاء الملك له واعلام الله انه رسوله وكيف وبعض هذه الالفاظ لا تصح فيها
واما بعد اعلام الله تعالى له بالنبوة ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه الشك
فيما القي اليه وقد روى ابن اسحاق عن شيوخه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بمكة
من العين قبل ان ينزل عليه فلما نزل عليه القران اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة اوجه
اليك من يرقيك قال اما الان فلا وحديث خديجة رضي الله عنها واختبارها امر جبريل بكشف
راسها الحديث انما ذلك في حق خديجة لتتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذي
ياتيه ملك ويزول الشك عنها لا انها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وليختبر هو حاله بذلك
بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها
ان ورقة بن نوفل امر خديجة ان تختبر الامر بذلك وفي حديث اسمعيل بن ابي حكيم انها قالت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك قال نعم

فلما

فلما جاء جبريل عليه السلام اخبرها فقالت له اجلس الى شقي وذكر الحديث الى اخره وفيه فقالت
ما هذا بشيطان ان هذا لملك يا ابن عم فاثبت وابشر وامنت به صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها
بهذا على انها مستثبتة لما فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها لا النبي عليه السلام وقول
معمر في فترة الوحي فحزن النبي عليه السلام فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من شواهق
الجبال لا يقدح في هذا الاصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا من حدث به
ولا ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا الا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم مع انه قد يحمل
على انه كان اول الامر كما ذكرناه او انه فعل ذلك لما احرجه من تكذيب من بلغه كما قال تعالى
فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا ويصحح معنى هذا التاويل حديث
رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة
للتشاور في شان النبي صلى الله عليه وسلم واتفق رايهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه
وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فاتاه جبريل عليه السلام فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر او خاف
عليه السلام ان الفترة لامر او سبب منه فخشي ان تكون عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه
ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب
قومه له لما وعدهم به من العذاب وقول الله تعالى في يونس فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن
نضيق عليه قال مكي طمع في رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه في خروجه وقيل حسن
ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه العقوبة وقيل نقدر عليه ما اصابه وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد
وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه قال ابن زيد معناه افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق
ان يظن بنبي ان يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله تعالى اذ ذهب مغاضبا الصحيح مغاضبا
لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله
كفر ولا يليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء وقيل مستحييا من قومه ان يسموه بالكذب او يقتلوه
كما ورد في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به من التوجه الى ما امره الله به على

لشأن نبي آخر فقال له يونس غيره أقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا وقد روي
عن ابن عباس أن رسالة يونس عليه السلام ونبوته إنما كانت بعد أن نبذه الحوت واستدل
من الآية بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه إلى مائة ألف الآية
واستدل أيضا بقوله تعالى ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله
من الصالحين فتكون هذه القصة إذا قبل نبوته فإن قيل فما معنى قوله عليه السلام إنه
ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم مائة مرة وفي طريق في اليوم أكثر من سبعين مرة فاحذر في اخرى
أن يقع ببالك أن يكون هذا الغين وسوسة أو ريبا وقع في قلبه عليه السلام بل أصل الغين
في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه قاله أبو عبيد وأصله من غين السماء وهو إطباق الغيم
عليها وقال غيره الغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق الذي
يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث أنه يغان على قلبه مائة مرة
أو أكثر من سبعين في اليوم إذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه وهو أكثر الروايات وإنما
هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين إشارة إلى غفلات قلبه وفترات نفسه
وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دفع إليه من مقاساة
البشر وسياسة الأمة ومعاناة الأهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه
من أعباء أداء الرسالة وحمل الأمانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة خالقه ولكن
لما كان صلى الله عليه وسلم أرفع الخلق عند الله مكانة وأعلاهم درجة وأتمهم به معرفة
وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه وإقباله بكليته عليه ومقامه هنالك
أرفع حاليه رأى عليه السلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضا من علي حاله وخفضا
من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا أولى وجوه الحديث وأشهرها وإلى معنى ما أشرنا
إليه مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا غامض معناه وكشفنا للمستفيد
محياه وهو مبني على جواز الفترات والغفلات والسهو في غير طريق البلاغ على ما سيأتي وذهبت

طايفة من أرباب القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا
جملة وأجله عن أن يجوز عليه في حال سهو أو فترة إلى أن معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره
من أمور أمته عليه السلام لاهتمامه بهم وكثرة شفقته فيستغفر الله لهم قالوا وقد يكون
الغين هنا على قلبه السكينة التي تتغشاه لقوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه ويكون
استغفاره عليه السلام عندها إظهارا للعبودية والافتقار وقال ابن عطاء استغفاره
وفعله هذا تعريف للأمة يحملهم على الاستغفار قال غيره ويستشعر من الحذر ولا يركن إلى
الأمن وقد يحتمل أن تكون هذه الإغانة حالة خشية وإعظام تغشى قلبه فيستغفر حينئذ
شكرا لله وملازمة لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة أفلا أكون عبدا شكورا وعلى
هذه الوجوه الأخيرة يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث عنه عليه السلام إنه ليغان على
قلبي في اليوم أكثر من سبعين مرة فأستغفر الله فإن قلت فما معنى قوله تعالى لمحمد عليه السلام أكثر
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقوله لنوح عليه السلام فلا تسألن
ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين فاعلم أنه لا يلتفت في ذلك إلى قول من قال
في آية نبينا عليه السلام لا تكونن ممن يجهل أن لو شاء الله لجمعهم على الهدى وفي آية
نوح لا تكونن ممن يجهل أن وعد الله حق لقوله وإن وعدك الحق إذ فيه إثبات الجهل بصفة
من صفات الله تعالى وذلك لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام والمقصود وعظهم أن لا يتشبهوا
في أمورهم بسمات الجاهلين كما قال تعالى إني أعظك وليس في آية منهما دليل على كونهم
على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف وآية نوح قبلها فلا تسألن ما ليس
لك به علم إني أعظك فحمل ما بعدها على ما قبلها أولى لأن مثل هذا قد يحتاج إلى إذن وقد تجوز
إباحة السؤال فيه ابتداء فنهاه الله أن يسأله عما طوى عنه علمه وأكنه من غيبه من السبب
الموجب لهلاك ابنه ثم أكمل الله تعالى نعمته عليه بإعلامه ذلك بقوله تعالى إنه ليس من
أهلك إنه عمل غير صالح حكى معناه مكي وكذلك أمر نبينا صلى الله عليه وسلم في الآية الأخرى

بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه ابو بكر
ابن فورك رحمه الله وقيل معنى الخطاب لامة محمد عليه السلام اي فلا تكونوا من الجاهلين حكاه معناه
ابو محمد مكي رحمه الله وقال مثله في القرآن كثير فبهذا الفصل اوجب القول بعصمة الانبياء
منه بعد النبوة قطعا فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا وانه لا يجوز عليهم شيء من ذلك
فما معنى اذا وعيد الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم على ذلك ان فعله وتحذيره منه كقوله لئن
اشركت ليحبطن عملك الاية وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الاية
وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة الاية وقوله لاخذنا منه باليمين وقوله وان تطع اكثر
من في الارض يضلوك عن سبيل الله وقوله فان يشا الله يختم على قلبك وقوله فان لم تفعل فما
بلغت رسالاته وقوله يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله
واياك انه عليه السلام لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ ولا ان يخالف امر ربه ولا ان يشرك
ولا ان يتقول على الله ما لا يجب او يفتري عليه او يضل او يختم على قلبه او يطيع الكافرين
لكن الله يسر امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذه
السبيل فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله والله يعصمك من الناس كما
قال لموسى وهارون صلى الله عليه وسلم لا تخافا انني معكما لتشتد بصائرهم في الابلاغ واظهار
دين الله ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس واما قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل
الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت
ممن يفعله وهو صلى الله عليه وسلم لا يفعله وكذلك قوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك
فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا الاية وقوله فان يشا الله يختم على قلبك
ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد به غيره وان هذا حال من اشرك والنبي صلى الله
عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه انه اطاعهم والله
ينهاه عما يشاء ويامره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين يدعون ربهم الاية وما كان طردهم

عليه

عليه السلام ولا كان من الظالمين فصل واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه
خلاف والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته او التشكك في شيء من ذلك
وقد تعاضدت الاخبار والاثار عن الانبياء عليهم السلام بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ
ولدوا ونشاتهم على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة
كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار
ان احدا نبئ واصطفي ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد
استدل بعضهم بان القلوب تنفر ممن كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا قد رمت نبينا
صلى الله عليه وسلم بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها واختلقته مما
نص الله عليه او نقلته الينا الرواة ولم نجد في شيء من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه الهته
وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في
معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل افظع واقطع في الحجة من
توبيخه بنهيهم عن تركهم الهتهم وما كان يعبد اباؤهم من قبل ففي اطباقهم على الاعراض
عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عند
تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم وقد استدل
القاضي القشيري على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
الاية وبقوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله
في الميثاق وبعيد ان ياخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذ ميثاق النبيين بالايمان به ونصره
قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى
كلامه وكيف يكون ذلك وقد اتاه جبريل عليه السلام وشق قلبه صغيرا واستخرج منه
علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملاه حكمة وايمانا كما تظاهرت به اخبار
المبدا ولا يشتبه عليك بقول ابراهيم عليه السلام في الكوكب والقمر والشمس هذا ربي

بانه قد قيل وكان هذا في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال وقبل لزوم التكاليف وذهب
معظم الحذاق من العلماء والمفسرين الى انه انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل
معناه الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد افهذا ربي قال الزجاج وقوله هذا ربي اي
على قولكم كما قال اين شركاي اي عندكم ويدل على انه لم يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك قط
بالله طرفة عين قول الله تعالى عنه اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون ثم قال افرايتم ما كنتم
تعبدون انتم واباوكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب العالمين وقال اذ جاء ربه بقلب سليم
اي من الشرك وقوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فان قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني
ربي لاكونن من القوم الضالين قيل انه ان لم يؤيدني بمعونته اكن مثلكم في ضلالتكم
وعبادتكم على معنى الاشفاق والحذر والا فهو معصوم في الازل من الضلال فان قلت فما
معنى قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا ثم قال
بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فلا تشكل
عليك لفظة العود وانها تقتضي انهم انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تاتي هذه
اللفظة في كلام العرب لغير ما له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين
عادوا حمما ولم يكونوا قبل كذلك فان قلت فما معنى قوله ووجدك ضالا فهدى فليس هو
من الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها قاله الطبري وقيل وجدك
بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك للايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد
وقيل ضالا عن شريعتك اي لا تعرفها فهداك اليها والضلال هاهنا التحير ولهذا كان صلى الله
عليه وسلم يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه ويتشرع به حتى هداه الله الى الاسلام
قال معناه القشيري رحمه الله وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله وعلمك ما لم
تكن تعلم قاله علي بن عيسى قال ابن عباس رضي الله عنه لم تكن له ضلالة معصية وقيل هدى
اي بين امرك بالبراهين وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة وقيل

المعنى وجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن محبتي لك في الازل اي لا تعرفها
فمننت عليك بمعرفتي وقرى الحسن بن علي رضي الله عنه ووجدك ضال فهدى اي اهتدى بك
وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي والضال المحب كما قال انك لفي ضلالك القديم
اي محبتك القديمة ولم يريدوا هاهنا في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا ومثله عنده
هذا قوله انا لنراها في ضلال مبين اي محبة بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما انزل
اليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر لتبين الاية وقيل ووجدك لم يعرفك احد بالنبوة حتى
اظهرك فهدى بك السعداء ولا اعلم احدا من المفسرين قال فيها ضالا عن الايمان وكذلك
في قصة موسى عليه السلام قوله فعلتها اذا وانا من الضالين اي من المخطئين الفاعلين
شيئا بغير قصد قاله ابن عرفة وقال الازهري معناه من الناسين وقد قيل ذلك في قوله
تعالى ووجدك ضالا فهدى اي ناسيا كما قال تعالى ان تضل احداهما فان قلت فما معنى
قوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان فالجواب ان السمرقندي قال معناه ما
كنت تدري قبل الوحي ان تقرا القرآن ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقال بكر القاضي نحوه قال
ولا الايمان الذي هو الفرائض والاحكام وكان صلى الله عليه وسلم قبل مومنا بتوحيده الله
ثم نزلت الفرائض التي لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا وهو احسن وجوهه فان قلت
فما معنى قوله وان كنت من قبله لمن الغافلين فاعلم انه ليس بمعنى قوله والذين هم عن اياتنا
غافلون بل حكى ابو عبد الله الهروي ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف عليه السلام اذ لم
يعلمها الا بوحينا وكذلك الحديث الذي يرويه عثمان بن ابي شيبة بسنده عن جابر ان
النبي صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما
يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم خلفه فقال الاخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام
فلم يشهدهم بعد فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جدا وقال هو موضوع او شبيه بموضوع
وقال الدارقطني يقال ان عثمان وهم في اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق على اسناده

فلا يلتفت إليه والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافه عند أهل العلم من قوله عليه السلام
بغضت إلي الأصنام وقوله في الحديث الآخر الذي روته أم أيمن حين كلمه عمه وآله في حضور
بعض أعيادهم وعزموا عليه فيه بعد كراهيته لذلك فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت
منها من صنم تمثل لي شخص أبيض طويل يصيح بي وراءك لا تمسه فما شهد بعد لهم عيدا وقوله
في قصة بحيرا حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى إذ لقيه بالشام في سفرته
مع عمه أبي طالب وهو صبي ورأى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم لا تسألني بهما فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله إلا ما أخبرتني
عما أسألك عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف من سيرته عليه السلام وتوفيق الله له
أنه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم بمزدلفة في الحج فكان يقف هو بعرفة لأنه
كان موقف إبراهيم عليه السلام. فصل قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى قد بان بما
قدمناه عقود الأنبياء عليهم السلام في التوحيد والإيمان والوحي وعصمتهم في ذلك على ما
بيناه فأما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها أنها مملوءة علما ويقينا على الجملة
وأنها قد احتوت من المعرفة والعلم بأمور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه ومن طالع الأخبار واعتنى
بالحديث وتأمل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه في حق نبينا عليه السلام في الباب الرابع
أول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه إلا أن أحوالهم في هذه المعارف تختلف فأما
ما تعلق منها بأمر الدنيا فلا يشترط في حق الأنبياء عليهم السلام العصمة من عدم معرفة
الأنبياء ببعضها أو اعتقادها على خلاف ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه إذ هممهم متعلقة
بالآخرة وأنبائها وأمر الشريعة وقوانينها وأمور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من أهل الدنيا
الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون كما سنبين هذا في الباب
الثاني إن شاء الله ولكنه لا يقال إنهم لا يعلمون شيئا من أمر الدنيا فإن ذلك يؤدي إلى الغفلة
والبله وهم المنزهون عنه بل قد أرسلوا إلى أهل الدنيا وقلدوا سياستهم وهذا لا يكون مع

عدم العلم بأمور الدنيا بالكلية وأحوال الأنبياء وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم
بذلك كله مشهورة. وأما إن كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي صلى الله عليه وسلم
إلا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة لأنه لا يخلو أن يكون حصل عنده ذلك عن وحي من الله
فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين أو يكون
فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شيء على القول بتجويز وقوع الاجتهاد منه على قول
المحققين وعلى مقتضى حديث أم سلمة إني إنما أقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه خرجه
الثقات وكقصة أسرى بدر والإذن للمتخلفين على رأي بعضهم فلا يكون أيضا ما يعتقده مما
يثمره اجتهاده إلا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت إلى خلاف من خالف فيه ممن أجاز
عليهم الخطأ في الاجتهاد لا على القول بتصويب المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا
ولا على القول الآخر بأن الحق في طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطأ في الاجتهاد
في الشرعيات ولأن القول في تخطئة المجتهدين إنما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبي صلى الله
عليه وسلم واجتهاده إنما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه النبي
صلى الله عليه وسلم قلبه وأما ما لم يعقد عليه قلبه من أمر النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم
منها أولا إلا ما علمه الله سبحانه شيئا شيئا حتى استقر علم جميعها عنده إما بوحي من الله
سبحانه أو إذن أن يشرع في ذلك ويحكم بما أراه الله وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها
ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم جميعها عنده عليه السلام وتقررت معارفها لديه على
التحقيق ورفع الشك والريب وانتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل
الشرع الذي أمر بالدعوة إليه إذ لا تصح دعوته إلى ما لا يعلمه وأما ما تعلق بعقده من ملكوت
السموات والأرض وخلق الله وتعيين أسمائه الحسنى وآياته الكبرى وأمور الآخرة وأشراط
الساعة وأحوال السعداء والأشقياء وعلم ما كان وما يكون مما لم يعلمه إلا بوحي فعلى ما
تقدم من أنه معصوم فيه لا يأخذه فيما أعلم به منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية اليقين لكنه

لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده من علمه ما ليس عند جميع البشر لقوله اني
لا اعلم الا ما علمني ربي ولقوله ولا خطر على قلب بشر ولا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقول
موسى للخضر عليهما السلام هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم
باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله اسالك بكل اسم هو لك سميت به نفسك او استاثرت
به في علم الغيب عندك وقد قال تعالى وفوق كل ذي علم عليم قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي
العلم الى الله تعالى وهذا ما لا خفاء به اذ معلوماته تعالى لا احاطة بها ولا منتهى لها هذا حكم
عقد النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد والشرع والمعارف والامور الدينية فصل
واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه
بانواع الاذى ولا على خاطره بالوساوس وقد اخبرنا القاضي الحافظ ابو علي رحمه الله قال ثنا
ابو الفضل بن خيرون العدل ثنا ابو يعلى البغدادي وغيره ثنا ابو الحسن الدارقطني ثنا اسمعيل ثنا الصفار
عباس الترقفي ثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن منصور عن سالم بن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله
ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من
الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي ولكن الله تعالى اعانني عليه
فاسلم زاد غيره عن منصور فلا يامرني الا بخير وعن عائشة رضي الله عنها بمعناه روي فاسلم
بضم الميم اي فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها وروي فاسلم يعني القرين انه
انتقل عن حال كفره الى الاسلام فصار لا يامر الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث وروى بعضهم
فاستسلم قال القاضي ابو الفضل رحمه الله فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط
على بني آدم فكيف بمن بعد عنه ولم يلزم صحبته ولا اقدر على الدنو منه وقد جاءت
الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في اطفاء نوره واماتة نفسه واشغاله
عليهم اذ يئسوا من اغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في صلاته فاخذه النبي صلى الله
عليه وسلم واسره وفي الصحاح قال ابو هريرة رضي الله عنه عنه عليه السلام ان الشيطان عرض لي

قال

ابي حنيفة

قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع علي الصلاة فامكنني الله منه فذعته ولقد هممت
ان اوثقه الى سارية حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول اخي سليمن رب اغفر لي وهب لي ملكا
لا ينبغي لاحد من بعدي فرده الله خاسئا وفي حديث ابي الدرداء عنه عليه السلام ان عدو الله
ابليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة وذكر تعوذه
بالله منه ولعنه له ثم اردت اخذه وذكر نحوه وقال لاصبح موثقا يتلاعب به ولدان اهل
المدينة وكذلك في حديثه في الاسراء وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل عليه
السلام ما يتعوذ به منه ذكره في الموطا ولما لم يقدر على اذاه بمباشرته تسبب بالتوسط
الى عداه كقضيته مع قريش في الائتمار بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ
النجدي ومرة اخرى في غزوة بدر في صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان
اعمالهم الاية ومرة ينذر بشانه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله امره وعصمه
ضره وشره وقد قال عليه السلام ان عيسى عليه السلام كفي من لمسه فجاء ليطعن بيده
في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب وقال عليه السلام حين لد في مرضه وقيل له خشينا
ان يكون بك ذات الجنب فقال انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي فان قيل فما معنى
قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ الاية فقد قال بعض المفسرين انها راجعة الى
قوله واعرض عن الجاهلين ثم قال تعالى واما ينزغنك اي يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض
عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال تعالى من بعد ان نزغ الشيطان بيني
وبين اخوتي وقيل ينزغنك يغريك ويحركك والنزغ ادنى الوسوسة فامره الله تعالى انه متى
تحرك عليه غضب على عدوه او رام الشيطان من اغرائه به وخواطر ادنى وساوسه ما لم
يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ منه فيكفى امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلط
عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل في هذه الاية غير هذا وكذلك
لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا في اول الرسالة ولا بعدها

ولا اعتماد في ذلك الا لدليل المعجزة بل لا يشك النبي صلى الله عليه وسلم ان ما ياتيه من الله الملك
ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله له او ببرهان يظهر على يديه لتتم كلمة
ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان قيل فما معنى قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية فاعلم ان للناس في معنى هذه الاية
اقاويل منها السهل والوعث والسمين والغث واولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور
من المفسرين ان التمني ها هنا التلاوة والقاء الشيطان فيها اشتغاله بخواطر واذكار
من امور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غيره على افهام
السامعين من التحريف وسوء التاويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم
اياته وسياتي الكلام على هذه الاية باشبع من هذا ان شاء الله تعالى وقد حكى السمرقندي
رحمه الله انكار قول من قال بتسلط الشيطان على ملك سليمن وغلبته عليه وان مثل هذا
لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمن عليه السلام مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد الذي
ولد له وقال ابو محمد مكي في قصة ايوب عليه السلام وقوله اني مسني الشيطان بنصب
وعذاب انه لا يجوز لاحد ان يتأول ان الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر في بدنه ولا يكون
ذلك الا بفعل الله تعالى وامره ليبتليهم ويثيبهم قال مكي وقد قيل ان الذي اصابه الشيطان
ما وسوس به الى اهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما انسانيه الا الشيطان
ان اذكره وقوله عن يوسف فانساه الشيطان ذكر ربه وقول نبينا عليه السلام حين نام
عن الصلاة يوم الوادي ان هذا واد به شيطان وقول موسى عليه السلام في وكزته هذا
من عمل الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب
في وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله كما قال تعالى كانه رؤوس الشياطين
وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانما هو شيطان وايضا فان قول يوشع لا يلزمنا الجواب
عليه اذ لم تثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى عليه السلام قال الله تعالى واذ قال موسى

لفتاه

لفتاه والمروي انه انما نبئ بعد موسى وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته
بدليل القرءان وقصة يوسف قد ذكر انها كانت كلها قبل نبوته وقد قال المفسرون
في قوله فانساه الشيطان قولين احدهما ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبي
السجن وربه الملك اي انساه ان يذكر للملك شان يوسف عليه السلام وايضا فان مثل
هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع بوساوس ونزغ وانما هو اشغال
خواطرهما بامور اخر وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما نسيا واما قوله عليه السلام
ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له بل ان كان بمقتضى ظاهره
فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهديه كما يهدأ الصبي حتى (وهو قايم يصلي)
نام فاعلم ان تسلط الشيطان في ذلك الوادي انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا
قوله ان هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلاة واما ان جعلناه تنبيها على
سبب الرحيل عن الوادي وعلة لترك الصلاة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض
به في هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله فصل واما اقواله عليه السلام فقامت
الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه
معصوم فيه من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا
اما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله تعالى صدق فيما
قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما وقوعه على جهة الغلط في ذلك فبهذه السبيل
عند الاستاذ ابي اسحاق الاسفرايني ومن قال بقوله ومن جهة الاجماع فقط وورود الشرع
بانتفاء ذلك وعصمة النبي صلى الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي ابي بكر
الباقلاني ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول بذكره فنخرج عن غرض
الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه خلف في القول في ابلاغ
الشريعة والاعلام بما اخبر عن ربه وما اوحاه اليه من وحيه لا على وجه العمد ولا على غير عمد

ولا في حالتي الرضى والسخط والصحة والمرض وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قلت
يا رسول الله أأكتب كل ما أسمع منك قال نعم قلت في الرضى والغضب قال نعم فإني لا أقول في
ذلك كله إلا حقا ولنزد ما أشرنا إليه من دليل المعجزة عليه بيانا فنقول إذا قامت المعجزة
على صدقه وأنه لا يقول إلا حقا ولا يبلغ عن الله إلا صدقا وأن المعجزة قائمة مقام قول الله
له صدقت فيما تذكر عني وهو يقول إني رسول الله إليكم لأبلغكم ما أرسلت به إليكم
وأبين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وقد جاءكم الرسول من ربكم
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا فلا يصح أن يوجد منه في هذا الباب
خبر بخلاف مخبره على أي وجه كان فلو جوزنا عليه الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولاختلط
الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله
عليه وسلم عن ذلك كله واجب برهانا وإجماعا كما قاله أبو إسحاق فصل وقد توجهت
ها هنا لبعض الطاعنين سؤالات منها ما روي من أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم
وقال أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى قال تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتها
لترتجى ويروى ترتضى وفي رواية وإن شفاعتهن لترتجى وإنها لمع الغرانيق العلى وفي أخرى والغرانقة
العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما
سمعوه أثنى على آلهتهم وما وقع في بعض الروايات أن الشيطان ألقاها على لسانه وأن النبي
صلى الله عليه وسلم كان يتمنى أن لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه وفي رواية أخرى أن
لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وأن جبريل جاءه فعرض عليه السورة
فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى
تسلية له وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية وقوله وإن كادوا ليفتنونك الآية
فاعلم أكرمك الله أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين أحدهما توهين أصله
والثاني على تسليمه أما المأخذ الأول فيكفيك أن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة

ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون
بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث
قال لقد بلي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته بعض
واضطراب رواياته وانقطاع إسناده واختلاف كلماته فقائل يقول إنه في الصلاة وآخر يقول
قالها في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة وآخر يقول قالها وقد أصابته سنة وآخر يقول
بل حدث نفسه فسها وآخر يقول إن الشيطان قالها على لسانه وأن النبي صلى الله عليه وسلم
لما عرضها على جبريل عليه السلام قال ما هكذا أقرأتك وآخر يقول بل أعلمهم الشيطان
أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال والله ما هكذا أنزلت
إلى غير ذلك من اختلاف الرواة ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين
لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع
منه حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فيما أحسب
الشك في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة قال أبو بكر البزار
هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بإسناد متصل يجوز ذكره إلا هذا ولم يسنده
عن شعبة إلا أمية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وإنما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح
عن ابن عباس رضي الله عنهما فقد بين لك أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى
هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة
معه وأما حديث الكلبي فمما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما أشار
البزار والذي منه في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه
المسلمون والمشركون والجن والإنس هذا توهينه من طريق النقل فأما من جهة المعنى فقد قامت
الحجة وأجمعت الأمة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة إما من تمنيه
أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر أو أن يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن

حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم أن من القرآن ما ليس منه حتى
ينبهه عليه جبريل عليهما السلام وذلك كله ممتنع في حقه عليه السلام أو يقول ذلك
النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك كفر أو سهوا وهو معصوم من هذا كله وقد
قررنا بالبرهان والإجماع عصمته عليه السلام من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمدا
ولا سهوا أو أن يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان أو يكون للشيطان عليه
سبيل أو أن يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد قال تعالى ولو تقول علينا بعض
الأقاويل الآية وقال إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الآية ووجه ثان وهو
استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام
متناقض الأقسام ممتزج المدح بالذم متخاذل التأليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم
ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه وهذا لا يخفى على أدنى
متأمل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث
أنه قد علم من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين
نفورهم لأول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة وتعييرهم المسلمين
والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن أظهر الإسلام لأدنى شبهة
ولم يحك أحد في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل ولو كان ذلك لوجدت
قريش بها على المسلمين الصولة ولأقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة
في قصة الإسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة وكذلك ما روي في قصة القضية
ولا فتنة أعظم من هذه البلية لو وجدت ولا تشغيب للمعادي حينئذ أشد من هذه الحادثة
لو أمكنت فما روي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث
أصلها ولا شك في إدخال بعض شياطين الإنس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس
به على ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت وإن كادوا ليفتنونك

الايتين

الآيتين وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى
يفتري وأنه لولا أن ثبته لكاد يركن إليهم فمضمون هذا ومفهومه أن الله عصمه من أن يفتري
وثبته حتى لم يركن إليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون
والافتراء بمدح آلهتهم وأنه قال عليه السلام افتريت على الله وقلت ما لم يقل وهذا ضد
مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله في الآية الأخرى
ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم إلى قوله وما يضرونك من شيء وقد
روي عن ابن عباس رضي الله عنهما كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون وقال الله تعالى يكاد
سنا برقه يذهب بالأبصار ولم يذهب وأكاد أخفيها ولم يفعل قال القشيري القاضي
ولقد طالبه قريش وثقيف إذ مر بآلهتهم أن يقبل بوجهه إليها ووعدوه الإيمان به إن
فعل فما فعل ولا كاد ليفعل قال ابن الأنباري ما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكرت في معنى الآية
تفاسير أخر ما ذكرناه من نص الله تعالى على عصمة رسوله يرد سفسافها فلم يبق في الآية
إلا أن الله تعالى امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار وراموا من فتنته
ومرادنا من ذلك كله تنزيهه وعصمته صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الآية وأما المأخذ الثاني
فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد أعاذنا الله من صحته ولكن على كل حال فقد
أجاب على ذلك أئمة المسلمين بأجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روى قتادة ومقاتل أن
النبي صلى الله عليه وسلم أصابته سنة عند قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه
بحكم النوم وهذا لا يصح إذ لا يجوز على النبي مثله في حالة من أحواله ولا يخلقه الله على لسانه
ولا يستولي الشيطان عليه في نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب من جميع العمد والسهو
وفي قول الكلبي أن النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه وفي
رواية ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن قال وسها فلما أخبر بذلك قال إنما ذلك من
الشيطان وكل هذا لا يصح أن يقوله عليه السلام لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان

على لسانه وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله أثناء تلاوته على تقدير التقرير والتوبيخ
للكفار كقول إبراهيم عليه السلام هذا ربي على أحد التأويلات وكقوله بل فعله كبيرهم
هذا بعد السكت وبيان الفصل وبيان الكلامين ثم رجع إلى تلاوته وهذا ممكن مع بيان الفصل (خ بين)
وقرينة تدل على المراد وأنه ليس من المتلو وهو أحد ما ذكره القاضي أبو بكر ولا يعترض على هذا
بما روي أنه كان في الصلاة فقد كان الكلام قبل فيها غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تأويله
عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان كما أمره ربه يرتل
القرآن ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان
لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله
عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا إليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم وأشاعوها
ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما أنزلها الله وتحققهم من حال النبي
صلى الله عليه وسلم في ذم الأوثان وعيبها ما عرف منه وقد حكى محمد بن عقبة في مغازيه نحو هذا (خ موسى)
وقال إن المسلمين لم يسمعوها وإنما ألقى الشيطان ذلك في أسماع المشركين وقلوبهم ويكون
ما روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الإشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال
الله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى الآية فمعنى تمنى تلا قال الله تعالى
لا يعلمون الكتاب إلا أماني أي تلاوة وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان أي يذهبه ويزيل
اللبس به ويحكم آياته وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو إذا
قرأ فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول الكلبي في الآية أنه حدث نفسه وقال إذا تمنى
أي حدث نفسه وفي رواية أبي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في القراءة إنما يصح فيما ليس
فيه تغيير المعاني وتبديل الألفاظ وزيادة ما ليس من القرآن بل السهو عن إسقاط آية منه
أو كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره في
حكم ما يجوز عليه من السهو وما لا يجوز ومما يظهر في تأويله أيضا أن مجاهدا روى هذه القصة

والغرانقة العلى فإن سلمنا القصة قلنا لا يبعد أن هذا كان قرآنا والمراد بالغرانقة العلى
وأن شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانقة أنها الملائكة
وذلك أن الكفار كانوا يعتقدون الأوثان والملائكة بنات الله كما حكى الله تعالى عنهم
ورد عليهم في هذه السورة بقوله ألكم الذكر وله الأنثى فأنكر الله تعالى كل هذا من قولهم
ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تأوله المشركون على أن المراد بهذا الذكر آلهتهم
ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم وألقاه إليهم نسخ الله ما ألقى الشيطان وأحكم
آياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للإلباس كما نسخ كثير
من القرآن ورفعت تلاوته وكان في إنزال الله لذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به
من يشاء ويهدي من يشاء وما يضل به إلا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين
في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه
الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الآية وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ
هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى خاف الكفار أن يأتي بشيء
من ذمها فسبقوا إلى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشغبوا (خ ويشنعوا)
عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل
إلى الشيطان لحمله لهم عليه وأشاعوا ذلك وأذاعوه وأن النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن
لذلك من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله تعالى بقوله وما أرسلنا من قبلك الآية وبين للناس الحق
من الباطل وحفظ القرآن وأحكم آياته ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه الله تعالى من قوله
إنا نحن نزلنا الذكر الآية ومن ذلك ما روي من قصة يونس عليه السلام أنه وعد قومه بالعذاب
عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا أرجع إليهم كذابا أبدا فذهب مغاضبا فاعلم
أكرمك الله أنه ليس في خبر من الأخبار الواردة في هذا الباب أن يونس عليه السلام قال لهم إن الله
مهلككم وإنما فيه أنه دعا عليهم بالهلاك والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه

قال انه ان العذاب مصبحكم وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم
وقال الله تعالى الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي الآية وروي في الاخبار
انهم راوا دلائل العذاب ومخايله قاله ابن مسعود رضي الله عنه وقال سعيد بن جبير غشاهم
العذاب كما يغشى الثوب القبر فان قلت فما معنى ما روي من ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا
حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث
آخر فيقول له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف
شئت ويقول له اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف شئت
وفي الصحيح عن انس ان نصرانيا كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم بعدما اسلم ثم ارتد وكان
يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له قلنا ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان
وتلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية اولا لا توقع في قلب مومن ريبا اذ هي علينا
حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله على
الله ورسوله ما هو اعظم من هذا والعجب لسليم القلب يشتغل بمثل هذه الحكاية سرا
وقد صدرت من عدو كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله ولم يرد عن احد من المسلمين ولا ذكر
احد من الصحابة رضي الله عنهم انه شاهد ما قاله وافتراه على نبي الله وانما يفتري الكذب الذين
لا يومنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون وما وقع من ذكرها في حديث انس وظاهر حكايتها
له فليس فيه ما يدل انه شاهدها ولعله حكى ما سمع وقد علل البزار حديثه ذلك وقال رواه
ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه حميد عن انس قال واظن حميدا انما سمعه من ثابت قال القاضي
ابو الفضل رحمه الله ولهذا والله اعلم لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد والصحيح حديث
عبد العزيز بن رفيع عن انس الذي خرجه اهل الصحة وذكرناه وليس فيه عن انس قول شيء
من ذلك من قبل نفسه الا من حكايته عن المرتد النصراني ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح

ولا توهم للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف
فيما بلغه ولا الطعن في نظم القرآن وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان الكاتب
قال له عليم حكيم او كتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه
لكلمة او كلمتين مما انزل على الرسول صلى الله عليه وسلم قبل اظهار الرسول لها اذ كان ما تقدم مما
املاه الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة فطنة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة
حسه وفطنته كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبتدا الكلام
الحسن الى ما يتم به ولا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة وكذلك
قوله عليه السلام ان صح كل صواب فقد يكون هذا فيما كان فيه من مقاطع الآي وجهان وقراءتان
انزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملى احداهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته
بمقتضى الكلام الى الاخرى فذكرها قبل ذكر النبي صلى الله عليه وسلم لها كما قدمناه فصوبها
له النبي صلى الله عليه وسلم ثم احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في
بعض مقاطع الآي مثل قوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم
وهذا وهو قراءة الجمهور وقد قرا جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست من المصحف وكذلك
كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع قرا بهما معا الجمهور وثبتتا في المصحف مثل وانظر الى
العظام كيف ننشزها وننشرها ويقص الحق ويقضي الحق وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب
للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي
صلى الله عليه وسلم الى الناس غير القرآن فيصف الله تعالى ويسميه في ذلك كيف شاء فصل
هذا القول فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار التي لا مستند
يجب لها الى الاحكام ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي بل في امور الدنيا واحوال نفسه فالذي اعتقاده
تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا
ولا غلطا وانه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه

والدليل على ذلك اتفاق السلف وإجماعهم عليه وذلك أنا نعلم من دين الصحابة رضي الله عنهم
وعادتهم مبادرتهم إلى تصديق جميع أحواله والثقة بجميع أخباره في أي باب كانت وعن أي
شيء وقعت وأنه لم يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل
وقع فيها سهو أم لا ولما احتج ابن أبي الحقيق اليهودي على عمر رضي الله عنه حين أجلاهم من خيبر
بإقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم واحتج عليه عمر رضي الله عنه بقوله صلى الله عليه وسلم
كيف بك إذا أخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من أبي القاسم فقال له عمر رضي الله عنه
كذبت يا عدو الله وأيضاً فإن أخباره وآثاره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى تفاصيلها
ولم يرد في شيء منها استدراكه عليه السلام لغلط في قول قاله أو اعترافه بوهم في شيء أخبر به
ولو كان ذلك لنقل كما نقل من قصته عليه السلام في رجوعه عما أشار به على الأنصار في تلقيح
النخل وكان ذلك رأياً لا خبراً وغير ذلك من الأمور التي ليست من هذا الباب كقوله عليه السلام
والله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا فعلت الذي هو خير وكفرت عن يميني
وقوله عليه السلام إنكم تختصمون إلي الحديث وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين
كل ما في هذا من مشكل في هذا الباب والذي بعده إن شاء الله مع أشباهها وأيضاً فإن الكذب
متى عرف من أحد في شيء من الأخبار بخلاف ما هو على أي وجه كان استريب بخبره واتهم
في حديثه ولم يقع قوله في النفوس موقعاً ولهذا ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن
عرف بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وأيضاً فإن تعمد الكذب في
أمور الدنيا معصية والإكثار منه كبيرة بإجماع مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه
منصب النبوة والمرة الواحدة منه فيما يستبشع ويستشنع مما يخل بصاحبها وتزري
بقائلها لاحقة بذلك وأما فيما لا يقع هذا الموقع فإن عددناها من الصغائر فهل تجري على حكمها
في الخلاف فيها مختلف فيه والصواب تنزيه النبوة عن قليله وكثيره سهوه وعمده إذ عمدة النبوة
البلاغ والإعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وتجويز شيء من هذا قادح

في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بأنه لا يجوز على الأنبياء خلف في القول
في وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا نتسامح مع من تسامح في تجويز ذلك عليهم حال
السهو فيما ليس طريقه البلاغ نعم وبأنه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به
في أمورهم وأحوال دنياهم لأن ذلك كان يزري بهم ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم بعد وانظر
أحوال أهل عصر النبي صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها من الأمم وسؤالهم عن حاله في صدق لسانه
وما عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف به واتفق النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه
قبل وبعد وقد ذكرنا من الآثار فيه في الباب الثاني أول الكتاب ما يبين لك صحة ما أشرنا إليه

فصل فإن قلت فما معنى قوله عليه السلام في حديث السهو الذي حدثنا به الفقيه أبو
إسحاق إبراهيم بن جعفر قال ثنا القاضي أبو الأصبغ بن سهل قال ثنا حاتم بن محمد ثنا أبو عبد الله بن
الفخار ثنا أبو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى عن مالك عن داود بن الحصين عن أبي سفيان مولى ابن أبي أحمد
أنه قال سمعت أبا هريرة يقول صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم في ركعتين
فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل ذلك لم يكن وفي الرواية الأخرى ما قصرت وما نسيت الحديث بقصته فأخبر بنفي الحالتين
وأنها لم تكن وقد كان أحد ذلك كما قال ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله فاعلم
وفقنا الله وإياك أن للعلماء في ذلك أجوبة بعضها بصدد الإنصاف ومنها ما هو بنية التعسف
والاعتساف وها أنا أقول أما على القول بتجويز الوهم والغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ
وهو القول الذي زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه وأما على مذهب من يمنع
السهو والنسيان في أفعاله جملة ويرى أنه عليه السلام في مثل هذا عامد لصورة النسيان
ليسن فهو صادق في خبره لأنه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل في
هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول مرغوب عنه نذكره في موضعه وأما على إحالة
السهو عليه في الأقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه أجوبة

منها ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا
واما النسيان فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وانه لم ينس في ظنه فكأنه قصد الخبر
بهذا عن ظنه وان لم ينطق به وهذا صدق ايضا ووجه ثان ان قوله ولم انس راجع الى السلام
اي اني سلمت قصدا وسهوت عن العدد اي لم اسه في نفس السلام وهذا محتمل وفيه
بعد ووجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه بعضهم وان احتملته اللفظة من قوله كل ذلك لم يكن
اي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما ومفهوم اللفظة خلافه مع الرواية الاخرى
الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلاة ولا نسيت هذا ما رأيت فيه لائمتنا وكل من هذه
الوجوه محتمل للفظة على بعد بعضها وتعسف الاخر منها قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
والذي اقول ويظهر لي انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله عليه السلام لم انس انكار للفظ
الذي نفاه عن نفسه وانكره على غيره لقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا
وكذا ولكنه نسي وبقوله في بعض روايات الحديث الاخر لست انسى ولكن انسى فلما قال
له السائل اقصرت الصلاة ام نسيت انكر قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه
وانه ان كان جرى شيء من ذلك فقد نسي حتى سأل غيره فتحقق انه نسي واجري عليه ذلك
ليسن فقوله على هذا لم انس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة
ولكنه نسي ووجه اخر استثرته من كلام بعض المشائخ وذلك انه قال ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان غفلة
وآفة والسهو انما هو شغل قال فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته ولا يغفل
عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق
على هذا المعنى لم يكن في قوله ما قصرت الصلاة وما نسيت خلف في قول وعندي ان قوله ما
قصرت وما نسيت بمعنى الترك الذي هو احد وجهي النسيان اراد والله اعلم اني لم اسلم
من ركعتين تاركا لاكمال الصلاة ولكني نسيت ولم يكن ذلك من تلقاء نفسي والتأمل على

ذلك قوله عليه السلام في الحديث الذي اني لا انسى او انسى لاسن واما قصة كلمات ابراهيم
الخليل عليه السلام المذكورة في الحديث انها كذبات الثلاث المنصوصة في القرآن منها
اثنان قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختي فاعلم
اكرمك الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب
المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب فاما قوله عليه السلام اني سقيم فقال الحسن
وغيره معناه سأسقم اي ان كل مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى
عيدهم بهذا وقيل بل سقيم بما قدر علي من الموت وقيل سقيم القلب بما اشاهده من
كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم فلما رآه اعتذر
بعادته وكل هذا ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق وقيل بل عرض بسقم حجته
عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها وانه اثناء نظره
في ذلك وقبل استقامة حجته عليهم في حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك هو عليه السلام
ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال حجة سقيمة ونظر
معلول حتى الهمه الله باستدلاله وصحة حجته عليهم بالكوكب والشمس والقمر ما نصه الله
وقد قدمنا بيانه واما قوله بل فعله كبيرهم هذا الآية فانه علق خبره بشرط نطقه كأنه
قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا صدق ايضا ولا خلف فيه واما
قوله عليه السلام اختي فقد بين في الحديث وقال فانك اختي في الاسلام وهو صدق والله تعالى
يقول انما المؤمنون اخوة فان قلت فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها كذبات وقال لم
يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه
لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان
مفهوم ظاهرها خلاف باطنها اشفق ابراهيم عليه السلام بمؤاخذته بها واما الحديث كان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول انما هو ستر مقصده

لئلا يأخذ غيره حذره، وكشف وجه دهائه بتزيين القول عن موضع أخيه والبحث عن أخباره
والنمّ بمن يعزى لانه بقول الجمز والغرة هكذا او وجهتنا الى موضع كذا الخلاف مقصد
هذا البحث ولا البحر فيه خبر بتخلف المطلب بان فلتين. ومعنى قول موسى عليه السلام وقد
سئل اي الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله عليه ذلك اذ لم يرد العلم اليه. الحديث
وفيه قال بل عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك وهذا خبر قد انبا الله انه ليس كذلك فاعلم
انه وقع في هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما هل تعلم احدا
اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف فيه ولا شبهة وعلى
الطريق الاخرى فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به لان حاله عليه السلام في النبوة والاصطفاء
تقتضي ذلك فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد
بقوله انا اعلم بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة
الامة ويكون الخضر اعلم منه بامور اخر مما لا يعلمه احد الا باعلام الله من علوم غيبه كالقصص
المذكورة في خبرهما فكان موسى عليه السلام اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على
الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله ذلك عليه فيما قاله
العلماء انكار هذا القول عليه لانه لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما
علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله
في تزكية نفسه وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنه من مدح الانسان نفسه ويورثه
ذلك من الكبر والعجب والتعاطي والدعوى وان نزه عن هذه الرذائل الانبياء فغيرهم بمدرجة سبيلها
ودرك ليلها الا من عصمه الله فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى به ولهذا قال عليه السلام
تحفظا من مثل هذا مما قد علم به انا سيد ولد ادم ولا فخر وهذا الحديث احد حجج القائلين
بنبوة الخضر عليه السلام بقوله فيه انه اعلم من موسى عليه السلام ولا يكون الولي اعلم
من النبي واما الانبياء فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما فعلته عن امري فدل انه بوحي

ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون فعله بامر نبي اخر وهذا يضعف لانه ما علمنا
انه كان في زمن موسى نبي غيره الا اخاه هارون عليهما السلام وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك
شيئا يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص وفي قضايا معينة
لم يحتج الى اثبات نبوة الخضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ
عن الله تعالى والخضر اعلم فيما دفع اليه من موسى وقال اخر انما الجئ موسى الى الخضر للتاديب
لا للتعليم. فصل واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان
في ما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب في ما عدا التوحيد وما قدمناه
من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون على عصمة الانبياء من الفواحش والكبائر والموبقات
ومستند الجمهور في ذلك الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي ابي بكر ومنعها غيره بدليل
العقل مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحق وكذلك لا خلاف
انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لان كل ذلك تقتضي العصمة
منه المعجزة مع الاجماع على ذلك من الكافة والجمهور قائلون بانهم معصومون من ذلك
من قبل الله معتصمون باختيارهم وكسبهم الا حسينا النجار فانه قال لا قدرة لهم على
المعاصي اصلا واما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الانبياء صلوات الله
عليهم وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وسنورد
بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طائفة اخرى الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها
منهم ولم يات في الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت طائفة اخرى من المحققين من
الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر قالوا لاختلاف الناس
في الصغائر وتعيينها من الكبائر واشكال ذلك وقول ابن عباس رضي الله عنهما وغيره ان كل ما
عصي الله به فهو كبيرة وانه انما سمي منها الصغير بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخالفة
الباري سبحانه في اي امر كان يجب كونه كبيرة قال القاضي ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال

في معاصي الله صغيرة الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكبائر ولا يكون لها حكم مع ذلك
بخلاف الكبائر اذ لا يرتفع منها الا بالتوبة والمشيئة في العفو عنها الى الله تعالى وهو
قول القاضي ابي بكر رحمه الله وجماعة ائمة الاشعرية وكثير من ائمة الفقهاء. وقال
بعض ائمتنا ولا يجب على القولين ان يختلف انهم معصومون من تكرار الصغائر وكثرتها اذ
يلحقها ذلك بالكبائر ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت المروة واوجبت الازراء
والخساسة فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبياء اجماعا لان مثل هذا يحط منصب المتسم
به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه. والانبياء صلوات الله عليهم منزهون عن ذلك
بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى
الحظر. وقد ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا. وقد استدل بعض الائمة
على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا. وجمهور
الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير التزام قرينة بل مطلقا التزام
عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك. وحكى ابن خويز منداد وابو الفرج عن مالك رحمه الله
التزام ذلك وجوبا وهو قول الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق
وابن سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية على ان ذلك ندب
وذهبت طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من الامور الدينية وعلم
به مقصد القربة. ومن قال بالاباحة في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغائر
لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده به من القربة
او الاباحة او الحظر او المعصية. ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية
لا سيما على من يرى تقديم الفعل على القول اذا تعارضا من الاصوليين. ونزيد هذا
حجة بان نقول من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا عليه السلام مجمعون على انه لا
دل يقر على منكر من قول او فعل وانه متى رأى شيئا فسكت عنه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه

فكيف

فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه. وعلى هذا المأخذ
تجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل اذ الحظر او الندب على الاقتداء بفعله
ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه. وايضا فقد علم من دين الصحابة رضي الله عنهم
قطعا الاقتداء بافعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء باقواله
فقد نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع نعله. واحتجاجهم برؤية
ابن عمر اياه جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس. واحتج غير واحد منهم في
أو غير شيء مما بابه العبادة او العادة بقوله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله وقال
صلى الله عليه وسلم هلا اخبرتيها اني اقبل وانا صائم. وقالت عائشة رضي الله عنها محتجة كنت
افعله انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم. وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذي اخبر
فقال بمثل هذا عنه وقال يحل الله لرسوله ما يشاء وقال اني لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده
الحنز والآثار في هذا اعظم من ان نحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله
واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم
وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر عليه السلام على الآخر قوله واعتذاره بما ذكرناه. واما
المباحات فجائز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هي مأذون فيها وايديهم كأيدي
غيرهم مسلطة عليها الا انهم بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم
من انوار المعرفة واصطفوا به من تعلق بالهم بالله والدار الآخرة لا يأخذون من
المباحات الا الضرورات مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة
دنياهم وما اخذ على هذه السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه اول الكتاب
طرفا في خصال نبينا صلى الله عليه وسلم. فبان لك عظيم فضل الله على نبينا صلى الله عليه وسلم
وعلى سائر انبيائه عليهم السلام بان جعل افعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة
ورسم المعصية. **فصل** وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي

قبل النبوة لسمعا فوقع وجوزها آخرون. والصحيح ان شاء الله تنزيههم من كل عيب وعصمتهم
من كل ما يوجب الريب فكيف والمسألة تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما
تكون بعد تقرر الشرع. وقد اختلف الناس في حال نبينا عليه السلام قبل ان يوحى اليه هل
كان متبعا لشرع قبله ام لا. فقال جماعة لم يكن متبعا لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي
على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق
بالاوامر والنواهي وتقرر الشريعة. ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف
السنة ومقتدى فرق الامة القاضي ابو بكر رضي الله عنه الى ان طريق العلم بذلك النقل وموارد
الخبر من طريق السمع. وحجته انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره في العادة اذ
كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به
عليه ولم يؤثر شيء من ذلك جملة. وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد
ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهي طريقة غير سديدة
واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى واظهر. وقالت فرقة اخرى في امره عليه بالوقف
السلام وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل الوجهين منها العقل ولا استبان
عندها في احدهما طريق النقل وهو مذهب ابي المعالي. وقالت فرقة ثالثة انه كان عاملا
بشرع من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه واحجم
وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح
وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم فهذه جملة المذاهب
في هذه المسألة والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان
شيء من ذلك لنقل كما قدمناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى آخر الانبياء
فلزمت شريعته من جاء بعده اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى عليه السلام بل الصحيح
انه لم يكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا عليه السلام ولا حجة ايضا للآخر في قوله تعالى

ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وللآخر في قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فحمل
هذه الآية على اتباعهم في التوحيد كقوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب عليهما
السلام على قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الآية
وشرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل على ان المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد
وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في سائر الانبياء
غير نبينا صلوات الله على جميعهم او يخالفون بينهم اما من منع الاتباع عقلا فيطرد
اصله في كل رسول بلا مرية. واما من مال الى النقل فاينما تصور له وتقرر اتبعه. ومن قال
بالوقف فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلتزمه بمساق حجته في كل نبي عليه السلام

فصل هذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل
تحت التكليف واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظائف الشرعية
مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه فاحوال الانبياء عليهم السلام
في ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم سواء ثم ذلك على نوعين ما طريقه
البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعه فيه وما
هو خارج عن هذا مما يختص بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم
السهو في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك في حق النبي عليه السلام
وعصمته من جوازه عليه قصدا او سهوا فكذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز
طرو المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء وطرو
هذه العوارض عليها يوجب التشكيك وتسبب المطاعن واعتذروا عن احاديث السهو
بتوجيهات نذكرها بعد هذا والى هذا مال ابو اسحق. وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين
الى ان المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام الشرعية سهوا وعن غير قصد منه

جار عليه كما تقدم من احاديث السهو في الصلاة وهو فرق بين ذلك وبين الاقوال البلاغية
لقيام المعجزة على الصدق في القول ومخالفة ذلك تناقضها واما السهو في الافعال
فغير مناقض لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات البشر
كما قال عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني نعم بل حالة النسيان
والسهو هنا في حقه عليه السلام سبب افادة علم وتقرير شرع كما قال عليه السلام
اني لانسى او انسى لاسن بل قد روي لست انسى ولكن انسى لاسن وهذه الحالة زيادة
له في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص واغراض الطعن فان القائلين
بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون حكمه
بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم على قول الاخرين واما ما ليس طريقه
البلاغ ولا بيان الاحكام من افعاله عليه السلام وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه
مما لم يفعله ليتبع فيه فالاكثر من طبقات علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه
فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق وسياسات الامة
ومعاناة الاهل وملاحظة الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال بل على سبيل الندور
كما قال عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في هذا شيء يحط من رتبته
ويناقض معجزته وذهبت طائفة الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه
عليه السلام جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات ولهم
في هذه الاحاديث مذاهب نذكرها بعد هذا ان شاء الله تعالى فصل في الكلام على
الاحاديث المذكور فيها السهو منه عليه السلام قد قدمنا في الفصل قبل هذا ما الفصول خ
يجوز فيه السهو عليه السلام وما يمتنع واحلناه في الاخبار جملة وفي الاقوال الدينية عليه
قطعا واجزنا وقوعه في الافعال الدينية على الوجه الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد في ذلك
ونحن نبسط القول فيه الصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه عليه السلام في الصلاة ثلاثة

احاديث

احاديث اولها حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين الثاني حديث ابن بحينة في القيام
من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه
الاحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله فيه ليستن به اذ البلاغ
بالفعل اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال وشرطه انه لا يقر على السهو بل يشعر به
ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة فيه كما قدمناه وان النسيان والسهو في الفعل
في حقه عليه السلام غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق وقد قال عليه السلام
انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال رحم الله فلانا لقد اذكرني
كذا وكذا اية كنت اسقطتهن ويروى انسيتهن وقال عليه السلام اني لانسى
او انسى لاسن قيل هذا اللفظ شك من الراوي وقد روي اني لا انسى ولكن انسى
لاسن وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار انه ليس بشك وان معناه التقسيم اي انا انسى
او ينسيني الله تعالى قال القاضي ابو الوليد الباجي يحتمل ما قالاه ان يريد اني انسى في اليقظة
وانسى في النوم او انسى على سبيل عادة البشر من الذهول والسهو او انسى مع اقبالي من الاهوال
عليه وتفرغي له فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه ونفى الاخر
عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت طائفة من اصحاب المعاني والكلام على الحديث
الى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو في الصلاة ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة
وآفة قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان عليه السلام يسهو
في صلاته ويشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها لا غفلة عنها واحتج بقوله
في الرواية الاخرى اني لا انسى وذهبت طائفة الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه عليه
السلام كان عمدا وقصدا ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يحلى منه بطائل
لانه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال واحدة لمن في قوله انه امر بتعمد صورة النسيان
ليسن لقوله اني لانسى او انسى وقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة التعمد والقصد وقال

انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى هذا عظيم من المحققين من ائمتنا وهو ابو المظفر
الاسفرايني ولم يرتضه غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجة لهذا في هذا التعبير في قوله اني لا انسى
ولكن انسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفي لفظه وكراهة لفظه كقوله
عليه السلام بيسما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا ولكنه نسي او لنفي الغفلة وقلة
الاهتمام بامر الصلاة عن قلبه لكن شغل بها عنها ونسي بعضها ببعضها كما ترك الصلاة
يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل
ان الذي ترك يوم الخندق اربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبه احتج من ذهب
الى جواز تاخير الصلاة في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب الشاميين
والصحيح ان حكم صلاة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت فما تقول في نومه
عليه السلام يوم الوادي عن الصلاة وقد قال ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلماء عن ذلك
اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند نومه وعينيه في غالب الاوقات وقد يندر
منه غيره كما يندر من غيره خلاف عادته ويصحح هذا التاويل قوله عليه السلام
في الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا وقول بلال فيه ما القيت علي نومة مثلها
قط ولكن مثل هذا انما يكون منه لامر يريده الله من اثبات حكم وتاسيس سنة واظهار
شرع وكما قال في الحديث الاخر لو شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان تكون لمن بعدكم
الثاني ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه لما روي انه كان محروسا
وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضا وحديث ابن عباس
رضي الله عنهما المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه نومه مع اهله فلا يمكن
الاحتجاج على وضوئه بمجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسة الاهل او لحدث اخر وكيف
وفي اخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلاة فصلى ولم يتوضا
وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في قصة الوادي الا نوم عينيه

عن روية الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال عليه السلام ان الله قبض ارواحنا
ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال
لبلال رضي الله عنه اكلا لنا الصبح فقيل في الجواب عنه انه كان من شانه عليه السلام
التغليس بالصبح ومراعاة اول الفجر لا يصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح
الظاهرة فوكل بلالا بمراعاة اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم عن
مراعاته فان قيل فما معنى نهيه عليه السلام عن القول نسيت وقد قال عليه السلام اني
انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقد قال لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت انسيتهن أنسيتها
فاعلم اكرمك الله انه لا تعارض في هذه الالفاظ اما نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا
فمحمول على ما نسخ حفظه من القرآن اي ان الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره
اليها ليمحو ما يشاء ويثبت وما كان من سهو او غفلة من قبله تذكرها صلح ان يقال
فيه انسي وقد قيل ان هذا منه صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل
الى خالقه والاخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه عليه السلام لما اسقطه
من هذه الايات جائز عليه بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها
من امته او من قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب وترك استذكاره
وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز ان ينسى منه
قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل
دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه فصل في الرد على من اجاز
عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به في ذلك اعلم ان المجوزين للصغائر على الانبياء
عليهم السلام من الفقهاء والمحدثين ومن شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك
بظواهر كثيرة من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم الى تجويز الكبائر
وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه

وتقابلت الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه
من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت الادلة
على خطا قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح وها نحن ناخذ في النظر فيها ان شاء الله
فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الاية
وقوله واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات وقوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك
وقوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما
اخذتم عذاب عظيم وقوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى الاية وما قص من قصص غيره
من الانبياء كقوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى وقوله فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء الاية
وقوله عنه ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقوله عن يونس سبحانك اني كنت من الظالمين وما
ذكر من قصته عليه السلام وقصة داود وقوله تعالى وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه
وخر راكعا واناب الى مآب وقوله ولقد همت به وهم بها وما قص من قصته مع اخوته
وقوله تعالى عن موسى عليه السلام فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقول النبي
صلى الله عليه وسلم في دعائه اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت ونحوه من ادعيته
عليه السلام وذكر الانبياء في الموقف ذنوبهم وقوله في حديث الشفاعة وقوله عليه السلام
انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه اني لاستغفر الله
واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح عليه السلام والا تغفر لي وترحمني
الاية وقد كان قال الله له ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون وقال عن ابراهيم عليه
السلام والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقوله عن موسى عليه السلام تبت اليك
وقوله ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه هذه الظواهر قال القاضي رحمه الله فاما احتجاجهم بقوله
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فهذا قد اختلف فيه المفسرون فقيل المراد
ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلمه انه مغفور له

وقيل ما كان قبل النبوة والمتاخر عصمتك بعدها حكاه احمد بن نصر وقيل المراد بذلك امته
عليه السلام وقيل المراد ما كان عن سهو وغفلة وتاويل حكاه الطبري واختاره القشيري
وقيل ما تقدم لابيك ادم وما تاخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء
وبمثله والذي قبله يتاول قوله تعالى واستغفر لذنبك وللمومنين والمومنات قال مكي
مخاطبة النبي عليه السلام هاهنا هي مخاطبة لامته وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما امر ان يقول وما ادري ما يفعل بي ولا بكم سر بذلك الكفار فانزل الله تعالى ليغفر لك الله ما
تقدم من ذنبك وما تاخر الاية وبمآل المومنين في الاية الاخرى بعدها قاله ابن عباس رضي الله عنه
فمقصد الاية انك مغفور لك غير مواخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة هاهنا تبرئة
من العيوب واما قوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك
قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل معناه انه حفظ قبل
نبوته منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهره حكى معناه السمرقندي وقيل المراد
بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل
اراد حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك
وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى معناه القشيري وقيل معناه خففنا عليك
ما حملت بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض اي كاد ينقضه فيكون
المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته
وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها او يكون الوضع
عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت ظهره او يكون من ثقل الرسالة او
ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من
وحيه واما قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله
نهي فيعد معصية ولا عده الله عليه معصية بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب

ان ذلك فعل نهوا عنه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في امرين فلما وقد كان له ان يفعل
ما شاء الله فيما لم ينزل عليه فيه وحي وتخفيف وقد قال الله له فاذن لمن شئت منهم فلما
اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم ياذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما
فعل وليس عفا ها هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة
الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو
لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك ذنبا قال
الداودي وروي انها تكرمة قال مكي هو استفتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك الله وحكى
السمرقندي ان معناه عافاك الله واما قوله في اسارى بدر ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى
يثخن في الارض الآيتين فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين
سائر الانبياء عليهم السلام فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه السلام احلت
لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا الآية قيل المعنى
بالخطاب لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس المراد
بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه رضي الله عنهم بل قد روي عن الضحاك انها نزلت
حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي
عمر رضي الله عنه ان يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق فاختلف
المفسرون في معنى الآية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب احدا الا بعد
النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقرآن
وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح لعوقبتم على الغنائم ويزاد هذا القول
تفسيرا وبيانا بان يقال لولا ما كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم ممن احلت لهم الغنائم
لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم
فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما

غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان قد خير عليه السلام في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه
قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك في الاسارى
ان شاؤوا القتل وان شاؤوا الفداء على ان يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل
منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى
اضعف الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف
اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين والى نحو هذا اشار الطبري
وقوله عليه السلام في هذه القضية لو نزل عذاب من السماء ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا
من تصويب رايه وراي من اخذ باخذه في اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه
القضية لو استوجبت عذابا نجا منه عمر ومثله وعين عمر لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله
لم يقدر عليهم في ذلك عذابا لحله لهم فيما سبق وقال الداودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت
لما جاز ان يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من نص ولا جعل الامر
اليه وقد نزهه الله عن ذلك قال ض خرجه من الثقات اهل الصحيح وقال القاضي ابو بكر
ابن العلاء اخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية ان تاويله وافق ما كتبه له
من احلال الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا فادى في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها
ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام
فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله عليه وسلم في شان الاسرى كان على تاويل وبصيرة وعلى
ما تقدم قبل مثله فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها
والله اعلم اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم
لا على وجه عتاب او انكار او تذنيب هذا معنى كلامه واما قوله تعالى عبس وتولى
الآيات فليس فيه اثبات ذنب له عليه السلام بل اعلام الله له ان ذلك المتصدى له ممن
لا يتزكى وان الصواب والاولى كان لو كشف له حال الرجلين الاقبال على الاعمى وفعل

النبي صلى الله عليه وسلم لما يفعل وتصديه لقول الكافر كان طاعة لله وتبليغا عنه واستيلافا
له كما شرعه الله له لا معصية ولا مخالفة له وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين
وتوهين امر الكافر عنده والاشارة الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى وقيل
المراد بعبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام واما قصة
آدم عليه السلام وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين
وقوله تعالى الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله وعصى آدم
ربه فغوى اي جهل وقيل اخطا فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا الى آدم من
قبل فنسي ولم نجد له عزما قال ابن زيد نسي عداوة ابليس له وما عهد الله اليه من ذلك بقوله
ان هذا عدو لك ولزوجك الآية وقيل نسي ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس رضي الله عنه
انما سمي الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها
ولكنهما اغترا بحلف ابليس لهما اني لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا
وقد روي عذر آدم بمثل هذا في بعض الآثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمومن
يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال تعالى ولم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة واكثر
المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان عند اكله سكران وهذا فيه ضعف لان
الله وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان ناسيا لم تكن معصية وكذلك ان كان ملبسا
عليه غالطا اذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر
ابن فورك وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى وعصى آدم ربه
فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان
وقيل بل اكلها متاولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها لانه تاول نهي الله عن شجرة
مخصوصة لا عن الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة
وقيل تاول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد قال الله تعالى وعصى

آدم

وقف لله تعالى وقف لله تعالى وقف لله تعالى

آدم ربه وقال فتاب عليه وقوله في حديث الشفاعة ويذكر ذنبه واني نهيت عن اكل الشجرة
فعصيت فسياتي الجواب عنه وعن اشباهه مجملا اخر الفصل ان شاء الله تعالى واما قصة
يونس عليه السلام فقد مضى الكلام على بعضها آنفا وليس في قصة يونس عليه السلام نص
على ذنب وانما فيه ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله تعالى عليه خروجه
عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال والله لا
القاهم بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل ضعف عن حمل
اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم يكذبهم وهذا كله ليس فيه نص على معصية الا
على قول مرغوب عنه وقوله ابق الى الفلك المشحون قال المفسرون تباعد واما قوله اني
كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه
فاما ان يكون لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب على
قومه وقد دعا نوح عليه السلام بهلاك قومه فلم يواخذ وقال الواسطي في معناه نزه ربه
عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول آدم وحواء ربنا
ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع الذي انزلا فيه واخراجهما من الجنة
وانزالهما الى الارض واما قصة داود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره فيه
الاخباريون عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله
على شيء من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله عليه قوله وظن داود انما فتناه
الى قوله وحسن ماب وقوله فيه اواب فمعنى فتناه اختبرناه واواب قال قتادة
مطيع وهذا التفسير اولى قال ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما ما زاد داود على
ان قال للرجل انزل لي عن امراتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله
بالدنيا وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه من امره وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل احب
بقلبه ان يستشهد وحكى السمرقندي ان ذنبه الذي استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد

كلمك وكلمه بقول فصه وقيل بل لما خشيه على نفسه وكفر من الفتنة بما ابتلي كثيرا من
الملوك والدنيا والزيغ ما اصيب في الاخبار الردية ومن ذهب الى مذهبه احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما
من المحققين قال العلماء ومن ليس في قصة داود واوريا خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل
مسلم وقيل ان الخصمين اللذين اختصما اليه رجلان في نعاج غنم على ظاهر الاية واما قصة
يوسف واخوته صلوات الله على نبينا وعليه فليس على يوسف منها تعقب واما اخوته
فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على افعالهم وذكر الاسباط وعددهم في القرءان عند ذكر الانبياء
عليهم السلام قال المفسرون يريد من نبي من ابناء الاسباط وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا
بيوسف ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا ارسله
معنا غدا نرتع ونلعب وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم واما قول الله تعالى فيه
ولقد همت به وهم بها لولا ان رءا برهان ربه فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم
النفس لا يواخذ به وليس سيئة لقوله عليه السلام عن ربه اذا هم عبدي بسيئة فلم
يعملها كتبت له حسنة فلا معصية في همه اذا واما على مذهب المحققين من الفقهاء
والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من
همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله هم يوسف عليه السلام
من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي الاية اي ما ابرئها من هذا الهم او يكون ذلك على طريق
التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم
عن ابي عبيدة ان يوسف عليه السلام لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتاخير ولقد همت
به ولولا ان رءا برهان ربه لهم بها وقد قال تعالى عن المراة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
وقال تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال
معاذ الله انه ربي احسن مثواي الاية قيل في ربي الله وقيل الملك وقيل هم بها اي بزجرها
ووعظها وقيل هم بها اي غمها امتناعه عنها وقيل هم بها نظر اليها وقيل هم بضربها

ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم قال ما زال النساء يملن الى يوسف ميل
شهوة حتى نباه الله فالقى عليه هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من رءاه عن حسنه
واما خبر موسى عليه السلام مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى انه من عدوه قال كان من
القبط الذين على دين فرعون ودليل السورة في هذا كله انه قبل نبوة موسى وقال قتادة
وكزه بالعصا ولم يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله
ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يومر
وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال
وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى في قصته وفتناك فتونا اي
ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء قيل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون وقيل القاؤه في التابوت
واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة
في النار اذا خلصتها واصل الفتنة معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل عرفا في
الشرع في اختبار ادى الى ما يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاءه فلطم عينه
ففقاها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدي وفعل ما لا يجب لانه
ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل لان موسى عليه السلام دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها
وقد تصور له في صورة ادمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه ملك الموت فدافعه عن نفسه
مدافعة ادت الى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله فلما
جاءه بعد واعلمه الله انه رسوله اليه استسلم وللمتقدمين والمتاخرين على هذا
الحديث اجوبة هذا اسدها عندي وهو تاويل شيخنا الامام ابي عبد الله المازري وقد تاوله
قديما ابن عايشة وغيره على صكه ولطمه بالحجة وفقء عينه بحجته وهو كلام مستعمل في هذا
الباب في اللغة معروف واما قصة سليمان عليه السلام وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه
وقوله ولقد فتنا سليمان فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه

قال لأطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع وتسعين كلهن ياتي بفارس يجاهد في سبيل الله
فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل
قال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله قال
اصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي القي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته ومحنته
وقيل بل مات فالقي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه وقيل لانه لم يستثن
لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته ان سلب ملكه وذنبه ان احب
بقلبه ان يكون الحق لاختانه على خصمهم وقيل اوخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما
نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه
وتصرفه في امته بالجور في حكمه لان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبياء من
مثله وان سئل لم يقل سليمان عليه السلام في القصة المذكورة ان شاء الله فعنه اجوبة
اسدها ما روي في الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى والثاني
انه لم يسمع صاحبه وشغل عنه وقوله عليه السلام هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي
لم يفعل هذا سليمان غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره
المفسرون ان لا يسلط عليه احد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه اياه مدة امتحانه
على قول من قال ذلك وقيل بل اراد ان يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص
غيره من انبياء الله ورسله عليهم السلام بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على
نبوته كالانة الحديد لابيه واحياء الموتى لعيسى واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة
ونحو هذا واما قصة نوح عليه السلام فظاهرة العذر وانه اخذ فيها بالتاويل وظاهر اللفظ
لقوله اهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوي عنه من ذلك لا انه
شك في وعد الله فبين الله عليه انه ليس من اهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي
هو غير صالح وقد اعلمه انه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فووخذ بهذا

التاويل

التاويل وعتب عليه واشفق هو من اقدامه على ربه لسؤاله ما لم يوذن له في السؤال فيه
وكان نوح عليه السلام فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الاية غير هذا وكل
هذا لا يقضي على نوح معصية سوى ما ذكرناه من تاويله واقدامه بالسؤال فيما لم يوذن
له فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح من ان نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل فاوحى الله
اليه ان قرصتك نملة احرقت امة من الامم تسبح فليس في هذا الحديث ما يقتضي
ان هذا الذي اتى معصية بل فعل ما رآه مصلحة وصوابا بقتل من يوذي جنسه ويمنع
المنفعة بما اباح الله تعالى الا ترى ان هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما آذته النملة
تحول برحله عنها مخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى الله اليه ما يوجب عليه معصية
بل ندبه الى احتمال الصبر وترك التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين اذ ظاهر
فعله انما كان لاجل انها آذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها
من بقية النمل هنالك ولم يات في كل هذا امر نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما اوحى الله
اليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله اعلم فان قيل فما معنى قوله عليه السلام
ما من احد الا الم بذنب او كاد الا يحيى بن زكرياء او كما قال عليه السلام فالجواب عنه
كما تقدم من ذنوب الانبياء التي وقعت عن غير قصد وعن سهو وغفلة فصل
فان قلت فاذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من
اختلاف المفسرين وتاويل المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر
في القرآن والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء عليهم السلام بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم
وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء فاعلم
وفقنا الله واياك ان درجة الانبياء عليهم السلام في الرفعة والعلو والمعرفة
بالله تعالى وسنته في عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف
منه جل جلاله والاشفاق من المواخذة بما لا يواخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور

لم ينهوا عنها ولا أمروا بها ان وخذوا عليها وعوتبوا بسببها وحذروا من المؤاخذة بها
أو أتوها على وجه التأويل أو السهو أو تزيدوا من أمور الدنيا المباحة خائفين وجلين وهي
ذنوب بالإضافة إلى علي منصبهم ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم لا أنها كذنوب غيرهم
ومعاصيهم فإن الذنب مأخوذ من الشيء الدني الرذل ومنه ذنب كل شيء أي آخره وأذناب
الناس رذالهم فكأن هذه أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم لتطهيرهم وتنزيههم
وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية
لله تعالى وإعظامه في السر والعلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش ما
تكون بالإضافة إليها هذه الهنات في حقه كالحسنات كما قيل حسنات الأبرار سيئات
المقربين أي يرونها بالإضافة إلى علي أحوالهم كالسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة
فعلى مقتضى اللفظة كيفما كانت من سهو أو تأويل فهي مخالفة وترك وقوله غوى أي
جهل أن تلك الشجرة التي نهي عنها والغي الجهل وقيل أخطأ ما طلب من الخلود إذ أكلها
وخابت أمنيته وهذا يوسف عليه السلام قد وخذ بقوله لأحد صاحبي السجن اذكرني عند
ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين قيل أنسي يوسف ذكر الله
وقيل أنسي صاحبه أن يذكره لسيده الملك قال النبي صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف
ما لبث في السجن ما لبث قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني وكيلا
لأطيلن حبسك فقال يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم أخذ الأنبياء بمثاقيل
الذر لمكانتهم عنده ويتجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم في أضعاف ما أتوا به من سوء الأدب
وقد قال المحتج للفرقة الأولى على سياق ما قلناه إذا كان الأنبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ
به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم أرفع فحالهم إذا في هذا أسوأ حالا من غيرهم
فاعلم أكرمك الله أنا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول إنهم
يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم

له سببا للمنافسة في رتبتهم كما قال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وقال لداود فغفرنا له
ذلك الآية وقال بعد قول موسى عليه السلام تبت إليك إني اصطفيتك على الناس وقال بعد ذكر
فتنة سليمان عليه السلام وإنابته فسخرنا له الريح إلى قوله وحسن مآب قال بعض المتكلمين
زلات الأنبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلف وأشار إلى نحو مما قدمناه وأيضا
فلينبه غيرهم من البشر منهم أو ممن ليس في درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر
ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع بأهل
هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم ولهذا قال صالح المري ذكر داود بسطة للتوابين قال
ابن عطاء لم يكن ما نص الله من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن استزادة من نبينا عليه السلام
وأيضا فيقال لهم فإنكم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف
في عصمة الأنبياء من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر منهم هي مغفورة على هذا فما معنى
المؤاخذة بها إذا عندكم وخوف الأنبياء وتوبتهم منها وهي مغفورة لو كانت فما أجابوا به
فهو جوابنا عن المؤاخذة بأفعال السهو والتأويل وقد قيل إن كثرة استغفار النبي صلى الله
عليه وسلم وتوبته وغيره من الأنبياء عليهم السلام على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف
بالتقصير شكرا لله على نعمه كما قال عليه السلام وقد أمن من المؤاخذة بما تقدم وتأخر
أفلا أكون عبدا شكورا وقال إني أخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي قال الحارث بن أسد خوف الملائكة
والأنبياء صلوات الله عليهم خوف إعظام وتعبد لله لأنهم آمنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدى
بهم وتستن أممهم كما قال عليه السلام لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
وأيضا فإن في التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفا أشار إليه بعض العلماء وهو استدعاء
محبة الله قال الله تعالى إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فإحداث الرسل والأنبياء
الاستغفار والتوبة والإنابة في كل حين استدعاء لمحبة الله والاستغفار فيه معنى التوبة
وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم بعد أن غفر له ما تقدم وما تأخر من ذنبه لقد تاب الله

على النبي والمهاجرين والانصار الاية وقال فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا ○
فصل قد استبان لك ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته عليه السلام عن الجهل بالله
وصفاته او كونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة عقلا واجماعا وقبلها
سمعا ونقلا ولا بشيء مما قررناه من امور الشرع واداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته
عن الكذب وخلف القول منذ نباه الله وارسله قصدا او غير قصد واستحالة ذلك عليه شرعا
واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا وتنزيهه عن الكبائر اجماعا وعن الصغائر
تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته
في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح فيجب عليك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد الضنين
وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فائدتها وخطرها فان من يجهل ما يجب للنبي صلى الله
عليه وسلم او يجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يامن ان يعتقد في بعضها خلاف
ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب ان يضاف اليه فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك
الاسفل من النار اذ ظن الباطل به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما
احتاط عليه السلام على الرجلين اللذين راياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما
انها صفية ثم قال لهما ان الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم واني خشيت ان يقذف في قلوبكما
شيئا فتهلكا هذه اكرمكم الله احرى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم
بجهله اذا سمع شيئا منها يرى ان الكلام فيها جملة من فضول العلم وان السكوت اولى وقد
استبان لك انه متعين للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية يضطر اليها في اصول الفقه وتنبني
عليها مسائل لا تتعدد من الفقه ويتخلص بها من تشغيب مختلفي الفقهاء في عدة منها وهي الحكم
في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير من اصول الفقه ولا بد من
بنائه على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته
من المخالفة في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال الفعل بسطه

بيانه

بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة يحتاج اليها الحاكم والمفتي فيمن اضاف الى
النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه الامور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه
وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص
او مدح فاما ان يجترئ على سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا ويضيع حرمة للنبي صلى الله عليه وسلم
وبسبيل هذا ما قد اختلف ارباب الاصول وائمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة ○
فصل في القول في عصمة الملائكة عليهم السلام اجمع المسلمون ان الملائكة مومنون فضلاء
واتفق ائمة المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم
منه وانهم في حقوق الانبياء والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم واختلفوا في غير المرسلين
منهم فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم
ويفعلون ما يومرون وبقوله وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون
وبقوله ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون وبقوله
ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته الاية وقوله كرام بررة ولا يمسه الا المطهرون ونحوه
من السمعيات وذهبت طائفة الى ان هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا باشياء ذكرها
اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شاء الله بعد ونبين الوجه فيها ان شاء الله والصواب عصمة
جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورايت
بعض شيوخنا اشار ان لا حاجة بالفقيه الى الكلام في عصمتهم وانا اقول ان للكلام في ذلك ما
للكلام في عصمة الانبياء من الفوائد التي ذكرناها سوى فائدة الكلام في الاقوال والافعال
فهي ساقطة هاهنا فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما
ذكر فيها اهل الاخبار ونقلة المفسرين وما روي عن علي وابن عباس رضي الله عنهما في خبرهما وابتلائهما
فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس هو شيئا يوخذ بقياس والذي منه في القران اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال

بعضهم فيه كثير من الضلال كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نص الله اول الايات من افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه الاشكالات ان شاء الله فاختلف اولا في هاروت وماروت هل هما ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراءة ملكين او ملكين وهل ما في قوله وما انزل على الملكين وما يعلمان من احد نافية او موجبة فاكثر المفسرين ان الله امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر ومن تركه امن قال الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم انذار اي يقولان لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتحيلوا بكذا فانه سحر فلا تكفر فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان الناس السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرا بعضهم وما انزل على الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما ماذون لهما في تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وانه امتحان من الله وابتلاء فكيف لا ينزههما عن كبائر المعاصي والكفر المذكورة في تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس رضي الله عنه قال مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال مكي رحمه الله قيل هما جبريل وميكائيل ادعى اليهود عليهما المجيء به كما ادعوا انهما نزلا على سليمان عليه السلام فاكذبهم الله تعالى في ذلك ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان تعلماه قال الحسن هاروت وماروت علجان من اهل بابل وقرا وما انزل على الملكين بكسر اللام وتكون ما ايجابا على هذا وكذلك قراءة عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هنا داود وسليمان عليهما السلام وتكون ما نفيا على ما تقدم وقيل كانا ملكين

من بني اسرائيل فمسخهما الله حكاه السمرقندي والقراءة بكسر اللام شاذة فحمل الاية على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله تعالى بانهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم ومما يذكرونه من قصة ابليس وانه كان من الملائكة ورئيسا فيهم ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه وانه استثناه من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون عنه ذلك وانه ابو الجن كما ادم عليه السلام ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الارض حين افسدوا والاستثناء من غير الجنس شائع في كلام العرب سائغ وقد قال تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما روي في الاخبار ان خلقا من الملائكة عصوا الله تعالى فحرقوا وامروا ان يسجدوا لادم فابوا فحرقوا ثم اخرون كذلك حتى سجد له من ذكر الله الا ابليس في اخبار لا اصل لها تردها صحاح الاخبار فلا تشتغل بها والله اعلم وهو الموفق للصواب

الباب الثاني فيما يخصهم في الامور الدنيوية ويطرا عليهم من العوارض البشرية

قال القاضي رضي الله عنه قد قدمنا انه عليه السلام وسائر الانبياء والرسل من البشر وان جسمه وظاهره خالص للبشر يجوز عليه من الافات والتغييرات والالام والاسقام وتجرع كاس الحمام ما يجوز على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه لان الشيء انما يسمى ناقصا بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله على اهل هذه الدار فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فقد مرض عليه السلام واشتكى واصابه الحر والقر وادركه الجوع والعطش ولحقه الغضب والضجر وناله الاعياء والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها واصاب غيره من الانبياء ما هو اعظم منه فقتلوا قتلا ورموا في النار ووشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله ذلك في بعض الاوقات ومنهم من عصمه بعد كما عصم

بعد نبينا عليه السلام من الناس وإن لم يكف نبينا ربه يد ابن قميئة يوم أحد ولا حجبه عن عيون
عداه يوم دعوته أهل الطائف فلقد أخذ على عيون قريش عند خروجه إلى جبل ثور وأمسك عنه
عنه سيف غورث وحجر أبي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر لبيد بن الأعصم فقد وقاه ما
هو أعظم من سم اليهودية وهكذا سائر أنبيائه صلوات الله عليهم مبتلى ومعافى وذلك من تمام
حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين أمرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق امتحانهم بشريتهم
ويرتفع الالتباس عن أهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما يظهر من العجائب على أيديهم ضلال النصارى
بعيسى عليه السلام وليكون في محنتهم تسلية لأممهم ووفور لأجورهم عند ربهم تماما على الذي
أحسن إليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارئ والتغييرات المذكورة إنما تختص بأجسامهم
البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بني آدم لمشاكلة الجنس وأما بواطنهم
فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملأ الأعلى والملائكة لأخذها عنهم وتلقيها
الوحي منهم قال وقد قال عليه السلام إن عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال إني لست كهيئتكم
إني أبيت يطعمني ربي ويسقيني وقال لست أنسى ولكن أنسى ليستن بي فأخبر صلى الله عليه وسلم
أن سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وأن الآفات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع
وسهر ونوم لا يحل منها شيء باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لأن غيره إذا نام استغرق
النوم جسمه وقلبه وهو عليه السلام في نومه حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في
بعض الآثار أنه كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره
إذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملته وهو عليه السلام قد
أخبر أنه لا يعتريه هذا لأنه بخلافهم لقوله عليه السلام لست كهيئتكم إني أبيت يطعمني
ربي ويسقيني وكذلك أقول إنه في هذه الأحوال كلها من وصب ومرض وسحر وغضب
لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به كما يعتري غيره من
البشر مما نأخذ بعد في بيانه فصل فإن قلت فقد جاءت الأخبار الصحيحة أنه عليه السلام

سحر كما حدثنا الشيخ أبو محمد العتابي رحمة الله عليه قال حدثنا حاتم بن محمد حدثنا أبو الحسن علي
بن خلف حدثنا محمد بن أحمد ثنا محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا عبيد بن إسماعيل قال ثنا أبو أسامة
عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى إنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء وما فعله وفي رواية أخرى حتى كان يخيل إليه أنه كان يأتي
النساء ولا يأتيهن الحديث وإذا كان هذا من التباس الأمر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله
عليه وسلم في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله وإياك أن هذا الحديث صحيح
متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على أمثالها
إلى التشكيك في الشرع وقد نزه الله تعالى الشرع والنبي صلى الله عليه وسلم عما يدخل في أمره لبسا
وإنما السحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع الأمراض مما لا ينكر ولا يقدح في
نبوته وأما ما ورد أنه كان عليه السلام يخيل إليه أنه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما
يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه أو شريعته أو يقدح في صدقه لقيام الدليل والإجماع على
عصمته من هذا وإنما هذا فيما يجوز طروه عليه في أمور دنياه التي لم يبعث بسببها ولا فضل
من أجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد أن يخيل إليه من أمورها ما لا حقيقة
له ثم ينجلي عنه كما كان وأيضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الآخر من قوله حتى يخيل إليه
أنه يأتي أهله ولا يأتيهن وقد قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر ولم يأت في خبر منها
أنه نقل عنه في ذلك قول بخلاف ما كان أخبر أنه فعله ولم يفعله وإنما كانت خواطر وتخييلات
وقد قيل إن المراد بالحديث أنه كان يخيل إليه الشيء أنه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد
صحته فتكون اعتقاداته كلها على السداد وأقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه لأئمتنا
من الأجوبة عن هذا الحديث مع ما أوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم وكل
وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في الحديث تأويل أجلى وأبعد من مطاعن ذوي الأضاليل يستفاد
من نفس الحديث وهو أن عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال

فيه عنها سحر يهودي من يهود بني زريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه جعله في بير حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجه من البير وروي نحوه عن الواقدي وعن عبد الرحمن
ابن كعب وعمر بن الحكم وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن عائشة رضي الله عنها سنة فبينا هو نائم أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند
رجليه الحديث قال عبد الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة خاصة سنة
حتى أنكر بصره وروى محمد بن سعد عن ابن عباس رضي الله عنهما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس
عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان وذكر القصة فقد استبان لك من مضمون هذه
الروايات أن السحر إنما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وأنه إنما أثر في
بصره وحبسه عن وطء نسائه وطعامه وأضعف جسمه وأمرضه ويكون معنى قوله يخيل إليه أنه
يأتي أهله ولا يأتيهن أي يظهر له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فإذا دنا منهن
أصابته أخذة السحر فلم يقدر على إتيانهن كما يعتري من أخذ واعترض ولعله لمثل هذا أشار
سفيان بقوله وهذا أشد ما يكون من السحر ويكون قول عائشة في الرواية الأخرى أنه ليخيل إليه
أنه فعل الشيء وما فعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن أنه رأى شخصا
من بعض أزواجه أو شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل إليه لما أصابه في بصره وضعف نظره لا
لشيء طرأ عليه في ميزه وإذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من إصابة السحر له وتأثيره فيه ما يدخل
لبسا ولا يجد به الملحد المعترض أنسا فصل هذه حاله في جسمه فأما أحواله في أمور الدنيا
فنحن نسبرها على أسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل أما العقد منها فقد يعتقد في أمور الدنيا
الشيء على وجه ويظهر خلافه أو يكون منه على شك أو ظن بخلاف أمور الشرع كما حدثنا أبو بحر
سفيان بن العاصي وغير واحد سماعا وقراءة قالوا أخبرنا أبو العباس أحمد بن عمر قال حدثنا أبو العباس
الرازي حدثنا أبو أحمد بن عمرويه ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا عبد الله بن الرومي وعباس العنبري وأحمد
المعقري قالوا ثنا النضر بن محمد قال ثنا عكرمة ثنا أبو النجاشي قال ثنا رافع بن خديج قال قدم رسول الله

عبد الرزاق

صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يأبرون النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا
كان خيرا لكم فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له فقال إنما أنا بشر إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به
وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر وفي رواية أنس أنتم أعلم بأمر دنياكم وفي حديث آخر إنما
ظننت ظنا فلا تؤاخذوني وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في قصة الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إنما أنا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فإنما أنا بشر أخطئ وأصيب
وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في أمور الدنيا وظنه من أحوالها لا ما قاله من قبل
نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن إسحاق أنه عليه السلام لما نزل
بأدنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه أم هو الرأي
والحرب والمكيدة قال لا بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال فإنه ليس بمنزل انهض حتى نأتي أدنى ماء من
القوم فننزله ثم نعور ما وراءه من القلب فنشرب ولا يشربون فقال أشرت بالرأي وفعل ما قاله
وقد قال الله له وشاورهم في الأمر وأراد مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار
الأنصار فلما أخبروه برأيهم رجع عنه فمثل هذا وأشباهه من أمور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم
ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرناه إذ ليس في هذا كله نقيصة ولا محطة
وإنما هي أمور اعتيادية يعرفها من جربها وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي صلى الله عليه وسلم
مشحون القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الأمة الدينية
والدنيوية ولكن هذا إنما يكون في بعض الأمور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق في حراسة
الدنيا واستثمارها لا في الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر بالنقل عنه عليه السلام من
المعرفة بأمور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة فرق أهلها ما هو معجز في البشر مما نبهنا عليه
في باب معجزاته من هذا الكتاب فصل وأما ما يعتقده في أمور أحكام البشر الجارية على يديه
وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله عليه السلام
إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع

منه بحق فمن قضيت له من حق أخيه بشيء فلا يأخذ منه شيئا فإنما أقطع له قطعة من النار. حدثنا الفقيه
أبو الوليد رحمه الله ثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا أبو عمر ثنا أبو محمد ثنا أبو بكر ثنا أبو داود ثنا محمد بن كثير
أنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه عن زينب بنت أم سلمة عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحديث. وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض فأحسب أنه
صادق فأقضي له. وتجري أحكامه عليه السلام على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد
ويمين الحالف ومراعاة الأشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة الله في ذلك فإنه تعالى
لو شاء لأطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر أمته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون
حاجة إلى اعتراف أو بينة أو يمين أو شبهة ولكن لما أمر الله أمته باتباعه والاقتداء به
في أفعاله وأحواله وقضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للأمة
سبيل إلى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه لأحد في شريعته لأنا لا نعلم
ما اطلع عليه هو في تلك القضية لحكمه هو إذا في ذلك بالمكنون من إعلام الله له بما أطلعه عليه
من سرائرهم وهذا ما لا تعلمه الأمة فأجرى الله تعالى أحكامه على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره
من البشر ليتم اقتداء أمته به في تعيين قضاياه وتنزيل أحكامه ويأتون ما أتوا من ذلك على علم ويقين
من سنته إذ البيان بالفعل أوقع منه بالقول وأرفع لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول وكان حكمه على الظاهر
أجلى في البيان وأوضح في وجوه الأحكام وأكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدي بذلك كله
حكام أمته ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم الغيب الذي
استأثر به تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فيعلمه منه ما شاء ويستأثر
بما شاء ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته. **فصل** وأما أقواله الدنيوية فمن
إخباره عن أحواله وأحوال غيره وما يفعله أو فعله فقد قدمنا أن الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال
وعلى أي وجه من عمد أو سهو أو صحة أو مرض أو رضا أو غضب وأنه معصوم منه صلى الله عليه وسلم
هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب فأما المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها

وأن نعامله في الأمور الدنيوية لا سيما القصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا يأخذ العدو
حذره وكما روي من ممازحته ودعابته لبسط أمته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتأكيدا
في تحببهم ومسرة نفوسهم كقوله لأحملنك على ابن الناقة وقوله للمرأة التي سألته عن زوجها أهو الذي
بعينه بياض وهذا كله صدق لأن كل جمل ابن ناقة وكل إنسان بعينه بياض وقد قال عليه السلام إني
لأمزح ولا أقول إلا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فأما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الأمر والنهي
في الأمور الدنيوية فلا يصح منه أيضا ولا يجوز عليه أن يأمر أحدا بشيء أو ينهى أحدا عن شيء وهو
يبطن خلافه وقد قال عليه السلام ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين فكيف أن تكون له خائنة قلب
فإن قلت فما معنى قوله تعالى في قصة زيد وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك
عليك زوجك الآية فاعلم أكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وأن
يأمر زيدا بإمساكها وهو يحب تطليقه إياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين وأصح ما في هذا ما حكاه
أهل التفسير عن علي بن حسين رضي الله عنه أن الله تعالى كان أعلم نبيه عليه السلام أن زينب ستكون
من أزواجه فلما شكاها إليه زيد قال له أمسك عليك زوجك واتق الله وأخفى منه في نفسه ما أعلمه الله
به من أنه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو بن فائد
عن الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه أن الله تعالى يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي
أخفى في نفسه ويصحح هذا قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا وكان أمر الله مفعولا أي لا بد لك أن
تتزوجها ويوضح هذا أن الله لم يبد من أمره معها غير زواجه لها فدل أنه الذي أخفاه عليه السلام مما كان
أعلمه به تعالى وقوله تعالى في القصة ما كان على النبي صلى الله عليه وسلم من حرج فيما فرض الله له
سنة الله الآية فدل أنه لم يكن عليه حرج في الأمر قال الطبري ما كان الله ليؤثم نبيه فيما أحل
مثال فعله لمن قبله من الرسل قال الله تعالى سنة الله في الذين خلوا من قبل أي من النبيين
فيما أحل لهم ولو كان على ما روي في حديث قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند
ما أعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه أعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما نهي عنه

من ذمي الحياة الدنيا ولكان هذا نعض الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الاتقياء فكيف
سيد الانبياء. قال القشيري رحمه الله وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله
عليه وسلم وبفضله وكيف يقال راها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء
يحتجبن منه عليه السلام وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم
اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال الله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال تعالى
لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم ونحوه لابن فورك. وقال ابو الليث السمرقندي
فان قيل فما الفائدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها فهو ان الله تعالى اعلم نبيه انها زوجته
فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها اذ لم تكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله به
فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امراة ابنه فامره الله بزواجها ليباح مثل ذلك لامته
كما قال تعالى لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم. وقد قيل كان امره لزيد بامساكها
قمعا للشهوة ورد للنفس عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه انه راها فجاة واستحسنها
ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن ادم من استحسانه للحسن ونظرة الفجاة معفو عنها
ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والاولى
ما ذكرناه عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه القاضي
القشيري وعليه عول ابو بكر بن فورك وقال انه معنى ذلك عند المحققين من اهل التفسير قال والنبي
صلى الله عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق في ذلك واظهار خلاف ما في نفسه وقد نزهه الله عن
ذلك بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قال ومن ظن ذلك بالنبي فقد اخطا
قال وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما معناه الاستحياء اي يستحيي منهم ان يقولوا تزوج
زوجة ابنه وان خشيته عليه السلام من الناس كانت من ارجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم
على المسلمين بقولهم تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء كما قال وقد عتبه الله
على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله له كما عتبه على مراعاة رضى ازواجه في سورة التحريم

بقوله لم تحرم ما احل الله لك الاية كذلك قوله له هاهنا وتخشى الناس والله احق ان تخشاه
وقد روي عن الحسن وعائشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الاية
لما فيها من عتبه وابداء ما اخفاه. فصل فان قلت قد تقررت عصمته عليه السلام في اقواله
في جميع احواله وانه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد
ولا مزح ولا رضى ولا غضب ولكن ما معنى الحديث في وصيته عليه السلام الذي حدثنا به
القاضي الشهيد ابو علي قال ثنا القاضي ابو الوليد قال ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو الهيثم وابو اسحق
قالوا ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل قال ثنا علي بن عبد الله ثنا عبد الرزاق انا معمر عن الزهري
عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي
البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده فقال بعضهم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ايتوني اكتب لكم كتابا لن تضلوا
بعدي ابدا فتنازعوا فقالوا ما له اهجر استفهموه فقال دعوني فان الذي انا فيه خير وفي بعض طرقه
فقال ان النبي صلى الله عليه وسلم يهجر وفي رواية هجر ويروى اهجر ويروى اهجرا وفيه فقال عمر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال
قوموا عني وفي رواية فاختلف اهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر. قال ائمتنا في هذا الحديث النبي صلى الله عليه وسلم
غير معصوم من الامراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي ونحوه مما يطرا على جسمه
معصوم ان يكون منه من القول اثناء ذلك ما يطعن في معجزته ويؤدي الى فساد في شريعته من
هذيان او اختلال في كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر رواية من روى في الحديث هجر اذ معناه هذى يقال
هجر هجرا اذا هذى واهجر هجرا اذا افحش واهجر تعدية هجر وانما الاصح والاولى اهجر على طريق
الانكار على من قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة في حديث
الزهري المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه الاصيلي بخطه في كتابه وغيره

من هذه الطرق وكذلك رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل عليه رواية من رواه هجر على
حذف ألف الاستفهام والتقدير أهجر أو أن يحمل قول القائل هجر أو أهجر دهشة من قائل ذلك وحيرة
لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه وسلم وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه
والأمر الذي هم بالكتاب فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه وأجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا أنه اعتقد
أنه يجوز عليه الهجر كما حملهم الإشفاق على حراسته والله يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا
وأما على رواية أهجرا وهي رواية أبي إسحاق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير عن ابن عباس من
رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا إلى المختلفين عنده عليه السلام ومخاطبة لهم من بعضهم
أي جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول والهجر بضم
الهاء الفحش في المنطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا الحديث وكيف اختلفوا بعد أمره لهم عليه السلام
أن يأتوه بالكتاب فقال بعضهم أوامر النبي صلى الله عليه وسلم يفهم إيجابها من ندبها من إباحتها
بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله عليه السلام لبعضهم ما فهموا أنه لم تكن منه عزمة بل أمر رده قوله
إلى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه إذ لم تكن عزمة ولما
رأوه من صواب رأي عمر ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر إما إشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم من تكليفه
في تلك الحال إملاء الكتاب وأن تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال إن النبي صلى الله عليه وسلم اشتد
به الوجع وقيل خشي عمر رضي الله عنه أن يكتب أمورا يعجزوا عنها فيحصلوا في الحرج بالمخالفة
ورأى أن الأرفق بالأمة في تلك الأمور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب فيكون المصيب
والمخطئ مأجورا وقد علم عمر رضي الله عنه تقرر الشرع وتأسيس الملة وأن الله تعالى قال اليوم
أكملت لكم دينكم وقوله عليه السلام أوصيكم بكتاب الله وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله
رد على من نازعه لا على أمر النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل إن عمر رضي الله عنه خشي تطرق المنافقين ومن
في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة وأن يتقولوا في ذلك الأقاويل كادعاء الرافضة الوصية
وغير ذلك وقيل إنه كان من النبي صلى الله عليه وسلم على طريق المشورة والاختبار هل يتفقون على ذلك أم يختلفون

فلما اختلفوا تركه وقالت طائفة أخرى إن معنى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا
الكتاب لما طلب منه لا أنه ابتدأ بالأمر به بل اقتضاه منه بعض أصحابه فأجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم
للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه القصة بقول العباس لعلي انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فإن كان الأمر فينا علمناه وكراهة علي هذا وقوله والله لا أفعل الحديث واستدل بقوله عليه السلام
دعوني فالذي أنا فيه خير أي الذي أنا فيه خير من إرسال الأمر وترككم وكتاب الله وأن تدعوني مما طلبتم وذكر
أن الذي طلب كتابه أمر الخلافة بعده وتعيين ذلك. فصل فإن قيل فما وجه حديثه أيضا الذي
حدثناه الفقيه أبو محمد الخشني بقراءتي عليه حدثنا أبو علي الطبري نا عبد الغافر الفارسي نا أبو أحمد
الجلودي قال نا ابن سفيان نا مسلم بن الحجاج نا قتيبة نا الليث عن سعيد بن أبي سعيد عن سالم
مولى النصريين قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وإني قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فأيما مؤمن
آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم القيامة وفي رواية فأيما
أحد دعوت عليه دعوة وفي رواية ليس لها بأهل وفي رواية فأيما رجل من المسلمين سببته أو
لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة وصلاة ورحمة وكيف يصح أن يلعن النبي صلى الله عليه وسلم
من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد أو يفعل مثل ذلك
عند الغضب وهو معصوم من هذا كله فاعلم شرح الله صدرك أن قوله أولا ليس لها بأهل
عندك يا رب في باطن أمره فإن حكمه عليه السلام على الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرناها
فحكم النبي عليه السلام بجلده أو أدبه بسبه أو لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره ثم
دعا عليه السلام لشفقته على أمته ورأفته ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله عز وجل بها وحذره
أن يتقبل فيمن دعا عليه دعوته أن يجعل دعاءه وفعله له رحمة فهو معنى قوله ليس لها بأهل لا أنه
عليه السلام يحمله الغضب ويستفزه الضجر لأن يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا
معنى صحيح ولا يفهم من قوله عليه السلام أغضب كما يغضب البشر أن الغضب حمله على ما لا يجب

بل يجوز ان يكون المراد بهذا ان الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه او سبه او انه مما كان يحتمل
ويجوز عفوه عنه او كان مخيرا بين المعاقبة فيه او العفو عنه وقد يحتمل انه خرج مخرج الاشفاق
وتعليم امته الخوف والحذر من تعدي حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته على غير
واحد في غير موطن على غير العقد والقصد بل مما جرت به عادة العرب وليس المراد بها الاجابة كقوله
عليه السلام تربت يمينك ولا اشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها من دعواته وقد ورد في صفته
عليه السلام في غير حديث انه عليه السلام لم يكن فحاشا وقال انس رضي الله عنه لم يكن سبابا
ولا فحاشا ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعتبة ما له ترب جبينه فيكون حمل الحديث على
هذا المعنى ثم اشفق عليه السلام من موافقة امثالها اجابة فعاهد ربه كما قال في الحديث ان يجعل
ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك اشفاقا على المدعو عليه وتانيسا له لئلا يلحقه
من استشعار الخوف والحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط
وقد يكون ذلك سؤالا منه لربه لمن جلده او سبه على حق وبوجه صحيح ان يجعل ذلك له كفارة لما
اصاب وتمحية لما اجترم وان يكون عقوبته له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث
الاخر ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو له كفارة فان قلت فما معنى حديث الزبير رضي الله عنه
وقول النبي صلى الله عليه وسلم له حين تخاصم مع الانصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ
الكعبين فقال له الانصاري ان كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب ان النبي صلى الله عليه وسلم
منزه ان يقع بنفس مسلم منه في هذه القصة امر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير اولا الى
الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك الاخر ولج وقال ما يجب استوفى
النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث باب اذا اشار الامام
بالصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر في اخر الحديث فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ
حقه للزبير وقد جعل المسلمون هذا الحديث اصلا في قضيته وفيه اقتداء به صلى الله عليه وسلم

في كل ما يفعله في حال غضبه ورضاه وانه وان نهى ان يقضي القاضي وهو غضبان فانه في حكمه في حال
الغضب والرضا سواء لكونه عليه السلام فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا انما
كان لله لا لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح وكذلك الحديث في اقادته عكاشة من نفسه
لم يكن لتعديه حمله الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه ان عكاشة قال له وضربتني بالقضيب فلا
ادري اعمدا ام اردت ضرب الناقة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اعيذك بالله يا عكاشة ان يتعمدك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في حديثه الآخر مع الاعرابي حين طلب عليه السلام الاقتصاص
منه فقال الاعرابي قد عفوت عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه
بزمام ناقته مرة بعد اخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو يابى
فضربه بعد ثلاث مرات وهذا منه عليه السلام لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع ادب لكنه
عليه السلام اشفق اذ كان حق نفسه من الامر حتى عفا عنه واما حديث سواد بن عمرو قال
اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشيني بقضيب في يده في
بطني فاوجعني قلت القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه انما ضربه عليه السلام لمنكر راه
به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب الا تنبيهه فلما كان منه ايجاع لم يقصده طلب التحلل منه
على ما قدمناه فصل قال القاضي رحمه الله واما افعاله عليه السلام الدنيوية فحكمه فيها
من توقي المعاصي والمكروه ما قدمناه ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله
غير قادح في النبوة بل ان هذا فيها على الندور اذ عامة افعاله على السداد والصواب بل اكثرها
او كلها جارية مجرى العبادات والقرب على ما بيناه اذ كان عليه السلام لا ياخذ لنفسه منها
الا الضرورة وما يقيم رمق جسمه وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس
امته وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف يصنعه او بر يوسعه او كلام حسن
يقوله او يسمعه او تألف شارد او قهر معاند او مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح اعماله
منتظم في زاكي وظائف عباداته وقد كان يخالف في افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال

ويعمل للامور اشتباها فهو كيف يركب في تصرفه لما في الحمار من اسعار الراحلة وقد ركب البغلة
في معارك الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل ويجريها يوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك
في لباسه وسائر احواله بحسب اعتبار مصالحه ومصالح امته وكذلك يفعل الفعل من امور
الدنيا مساعدة لامته وسياسة وكراهة لخلافها وان كان قد يرى غيره خيرا كما يترك
الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا وقد يفعل هذا في امور الدينية مما له الخيرة في احد وجهيه كخروجه
صلى الله عليه وسلم من المدينة لاحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على
يقين من امرهم مؤالفة لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لان يقول الناس
ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء في الحديث الصحيح وتركه بناء الكعبة على قواعد ابراهيم
مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وتحريك متقدم
عداوتهم للدين واهله فقال لعائشة رضي الله عنها في الحديث الصحيح لولا حدثان قومك بالكفر
لاتممت البيت على قواعد ابراهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كانتقاله
من ادنى مياه بدر الى اقربها للعدو من قريش وكقوله صلى الله عليه وسلم لو استقبلت من امري
ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط وجهه للكافر والعدو رجاء استيلافه ويصبر للجاهل
ويقول ان من شر الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل الرغائب ليحبب اليه شريعته ودين ربه
ويتولى في منزله ما يتولاه الخادم من مهنته ويتسمت في ملائه حتى لا يبدو منه شيء من
اطرافه وحتى كان على رؤوس جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب مما
يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب
ولا يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه يقول ما كان لنبي ان تكون له خائنة الاعين
فان قيل فما معنى قوله عليه السلام لعائشة رضي الله عنها في الداخل عليه بئس ابن العشيرة
ثم فلما دخل الان له القول وضحك معه فلما سالته عن ذلك قال ان من شر الناس من اتقاه
الناس لشره وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال فالجواب ان فعله

عليه

عليه السلام كان استيلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه
اتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا على هذا الوجه قد خرج من حد مدارات
الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان يستالفهم باموال الله العريضة فكيف بالكلمة
اللينة قال صفوان لقد اعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني
حتى كان احب الخلق الي وقوله فيه بئس ابن العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف ما علمه
منه لمن لم يعلم ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا
متبوعا ومثل هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جائزا بل واجبا في
بعض الاحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين في الشهود فان قيل فما معنى
المعضل الوارد في حديث بريرة من قوله عليه السلام لعائشة رضي الله عنها وقد اخبرته
ان موالي بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولاء فقال لها عليه السلام اشتريها واشترطي
لهم الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله
كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم قد امرها بالشرط لهم وعليه
باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوها من عائشة رضي الله عنها كما لم يبيعوها قبل حتى شرطوا
ذلك عليها ثم ابطله عليه السلام وهو قد حرم الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله ان النبي
صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك
ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء اذ ليست في اكثر طرق الحديث ومع
ثباتها فلا اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة وقال الله
تعالى وان اساتم فلها فعلى هذا اشترطي لهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم
ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان ان قوله عليه السلام اشترطي
لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام بان شرطه لهم لا ينفعهم
بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم قبل ان الولاء لمن اعتق فكانه قال اشترطي او لا تشترطي

وانه شرك غير نافع والرضا اذ سب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم لهم
وتقبيحهم على ذلك لجهلهم لا على علمهم به فبطل هذا الوجه الثالث ان معنى قوله عليه السلام انتهى
لهم الوباء ان الفهم لهم حكمه ويبين عندهم سننه ان الوباء انما هو لمن اعتزه ثم بعد هذا اذا
قام عنه صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك وموبخا على مخالفة ما تقدم منه فيه **فإن قيل**
ما معنى فعل يوسف عليه السلام باخيه اذ جعل السقاية في رحله واخذه باسم سرقتها
وما جرى على اخوته في ذلك وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا **فاعلم** اكرمك الله ان الاية
تدل على ان فعل يوسف عليه السلام كان عن امر الله لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان
ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله الاية فاذا كان ذلك فلا اعتراض بما كان فيه
ما فيه **وايضا** فان يوسف عليه السلام كان اعلم اخاه باني انا اخوك فلا تبتئس فكان
ما جرى عليه بعد هذا من وفقه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وازاحة السوء والمضرة
عنه بذلك **واما** قوله تعالى ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف عليه السلام
فيلزم عليه جواب بحل شبهه ولعل قائله ان حسن له التأويل كائنا من كان ظن على صورة الحال
ذلك **وقد** قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم له وقيل غير ذلك ولا يلزم ان تقول الانبياء
ما لم يأت انهم قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم **فصل**
فإن قيل فما الحكمة في اجراء الامراض وشدتها عليه وعلى غيره من الانبياء على جميعهم
السلام وما الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب ويعقوب
ودانيال ويحيى وزكرياء وعيسى وابراهيم ويوسف وغيرهم صلوات الله عليهم اجمعين
وهم خيرته من خلقه واحباؤه واصفياؤه **فاعلم** وفقنا الله واياك ان افعال الله تعالى
كلها عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم لينظر
كيف تعملون وليبلوكم ايكم احسن عملا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم
الصابرين ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم فامتحانه

تعالى

تعالى اياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسباب لاستخراج حالات
الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل والتفويض والدعاء والتضرع منهم وتأكيد لبصائرهم
في رحمة الممتحنين والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم ليتأسوا
في البلاء بهم ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ومحو لهنات فرطت منهم او غفلات
سلفت لهم ليلقوا الله تعالى طيبين مهذبين وليكون اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل حدثنا
القاضي ابو علي الحافظ حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا ثنا ابو يعلى البغدادي
قال نا ابو علي السنجي نا محمد بن محبوب نا ابو عيسى الترمذي نا قتيبة نا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة
عن مصعب بن سعد عن ابيه قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء ثم الامثل فالامثل
فيبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض ما عليه خطيئة
وكما قال تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير الايات الثلاث وعن ابي هريرة رضي الله عنه
ما يزال البلاء بالمومن في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة وعن انس رضي الله عنه
عنه عليه السلام اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبده
الشر امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة وفي حديث اخر اذا احب الله عبدا
ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم على الله تعالى كان بلاؤه
اشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب كما روي عن لقمان انه قال يا بني الذهب والفضة
يختبران بالنار والمومن يختبر بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف عليهما السلام
كان سببه التفاته في صلاته اليه ويوسف نائم محبة له وقيل بل اجتمع يوما هو وابنه
يوسف على اكل حمل مشوي وهما يضحكان وكان لهم جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى
وبكت جدة له عجوز لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه يوسف عليهما السلام
فعوقب يعقوب بالبكاء اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من
الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يأمر مناديا ينادي على سطحه الا من كان مفطرا

وليتذكر اعتبارا الى يعقوب وعرف بيوسف عليه السلام بالمحنة التي نص عليها وورد عن الليث
ان سبب بلاء ايوب انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه في ظلمه واغلظوا له الا ايوب
عليه السلام فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله تعالى ببلائه ومحنة سليمان عليه السلام لما
ذكر انه من فتنته يكون الهوى في جهة اصهاره او للعقاب بالمعصية في داره ولا علم عنده وهذه
فائدة شدة المرض والوجع بالنبي صلى الله عليه وسلم قالت عائشة رضي الله عنها ما رايت
الوجع على احد اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله رايت النبي صلى الله
عليه وسلم في مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت له انك لتوعك وعكا شديدا قال اجل الخ وعلم
كما يوعك رجلان منكم قلت ذلك ان لك اجرين قال اجل ذلك كذلك وفي حديث ابي سعيد
ان رجلا وضع يده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال والله ما اطيق اضع يدي عليك من شدة
حماك فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان النبي ليبتلى
بالقمل حتى يقتله وان كان النبي ليبتلى بالفقر وان كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء
وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن
رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط وقال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ان
المسلم يجزى بمصائب الدنيا فتكون له كفارة وروي مثله عن عائشة رضي الله عنها وابي
ومجاهد وقال ابو هريرة عنه عليه السلام من يرد الله به خيرا يصب منه وقال في رواية عائشة
ما من مصيبة تصيب المسلم الا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال في رواية
ابي سعيد رضي الله عنه ما يصيب المومن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم
حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه
ما من مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه كما تحت ورق الشجر وحكمة اخرى
اودعها الله في الامراض لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف
قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضهم وتخف عليهم مونة النزع وشدة السكرات لتقدم المرض

وضعف الجسم والنفس لذلك بخلاف موت الفجاءة واخذه كما نشاهد من اختلاف احوال الموتى في
الشدة واللين والصعوبة والسهولة وقد قال عليه السلام مثل المومن مثل خامة الزرع تفيئها
الريح هكذا وهكذا وفي رواية ابي هريرة رضي الله عنه من حيث اتتها الريح تكفؤها فاذا سكنت
اعتدلت وكذلك المومن يكفا بالبلاء ومثل الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله
معناه ان المومن مرزا مصاب بالبلاء والامراض راض بتصريفه بين اقدار الله منطاع لذلك لين
الجانب برضاه وقلة سخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها
وترنحها من حيث ما اتتها فاذا ازاح الله عن المومن رياح البلايا واعتدل صحيحا كما
اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه
منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله ولا
اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما تقدم من الالام ومعرفة ما له فيها من الاجر وتوطينه
نفسه على المصائب ورقتها وضعفها بتوالي المرض او شدته والكافر بخلاف هذا معافى
في غالب حاله ممتع بصحة جسمه كالارزة الصماء حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه الله
لحينه على غرة واخذه بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته اشد عليه حسرة ومقاساة
نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا ولعذاب الاخرة اشد كانجعاف
الارزة وكما قال تعالى ما اخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك عادة الله تعالى في اعدائه
كما قال تعالى فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة
الاية ففاجا جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة وصبحهم به على غير استعداد بغتة ولهذا
ما كره السلف موت الفجاءة ومنه في حديث ابراهيم كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف
اي الغضب يريد موت الفجاءة وحكمة ثالثة ان الامراض نذير الموت وبقدر شدتها شدة
الخوف من نزول الموت فيستعد من اصابته وعلم تعاهده لقاء ربه ويعرض عن
دار الدنيا الكثيرة الانكاد ويكون قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى

تباعد عنه من قبل الله وقبل العباد ويؤدى الحقوق الى اهلها ويتقى فيها الجناح اليه من وصيته فيمن
يخلفه او امر يعهده وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قد طلب
التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال او حق في بدن واقاد من نفسه وماله وامكن من القصاص
منه على ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة واوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالانصار
عيبته ودعا الى كتب كتاب لئلا تضل امته بعده اما في النص على الخلافة او الله اعلم بمراده
ثم رأى الامساك عنه افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين واولياء المتقين وهذا
كله يحرمه غالبا الكفار لاملاء الله لهم ليزدادوا اثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الله
تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون
ولذلك قال عليه السلام في رجل مات فجأة سبحان الله كأنه على غضب المحروم من حرم وصيته
وقال صلى الله عليه وسلم موت الفجاءة راحة للمؤمن واخذة اسف للكافر او الفاجر وذلك لان الموت
يأتى المؤمن غالبا وهو مستعد له منتظر لحلوله فهان امره عليه كيف ما جاء وافضى الى راحته
من نصب الدنيا واذاها كما قال عليه السلام مستريح ومستراح منه ويأتى الكافر والفاجر
منيته على غير استعداد ولا اهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة بل تأتيهم بغتة فتبهتهم
فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت اشد شىء عليه وفراق الدنيا افظع امر
صدمه واكره شىء له والى هذا المعنى اشار عليه السلام بقوله من احب لقاء الله احب الله
لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه :.

القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه عليه السلام

قال القاضي ابو الفضل رحمه الله تعالى قد تقدم من الكتاب والسنة
واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبى صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم
واكرام وبحسب هذا حرم الله تعالى اذاه في كتابه واجمعت الامة على قتل متنقصه من المسلمين
وسابه قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا
مهينا وقال والذين يؤذون الله ورسوله لهم عذاب اليم وقال تعالى وما كان لكم ان تؤذوا
رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال تعالى
في تحريم التعريض له يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا الاية وذلك
ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون
الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهى المؤمنين عنها لئلا يتوصل
بها الكافر والمنافق الى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لانها
عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الادب وعدم توقير النبى صلى الله
عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم
لا يرعونه الا برعايته لهم وهو عليه السلام واجب الرعاية بكل حال وهذا هو عليه السلام قد
نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية
عن اذاه اذ كان النبى صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل نادى يا ابا القاسم فقال لم اعنك
انما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني بكنيته لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره لمن لم
يدعه ويجد بذلك المنافقون والمستهزئون ذريعة الى اذاه والازراء به فينادونه فاذا التفت
قالوا انما اردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه على عادة المجان والمستهزئين فحمى
عليه السلام حمى اذاه بكل وجه فحمل محققو العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته
واجازه بعده لارتفاع العلة وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما
ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب ان شاء الله وان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره وعلى
سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه لانه قد كان الله منع من ندائه
به بقوله لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله
ويا نبى الله وقد يدعونه بكنيته ابا القاسم بعضهم في بعض الاحوال وقد روى انس عنه عليه السلام ما يدل
على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك اذا لم يوقر فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم
وروى ان عمر كتب الى اهل الكوفة لا يسمى احد باسم النبى صلى الله عليه وسلم حكاه ابو جعفر الطبري

وحكى محمد بن سعد ان عمر نظر الى رجل اسمه محمد ورجل يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع فقال عمر
لابن اخيه محمد بن زيد بن الخطاب الا ارى محمدا يسب بك والله لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن
واراد ان يمنع لهذا ان يسمى احد باسماء الانبياء اكراما لهم بذلك وغير اسماءهم وقال لا تسموا
باسماء الانبياء ثم امسك والصواب جواز هذا كله بعده عليه السلام بدليل اطباق
الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابي القاسم وروي ان النبي صلى الله
عليه وسلم اذن في ذلك لعلي رضي الله عنه وقد اخبر عليه السلام ان ذلك اسم المهدي وكنيته
وقد سمى به النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد بن ثابت بن قيس وغير
واحد وقال ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وقد فصلت الكلام في هذا القسم
على نحو ما قدمناه الباب الاول في بيان ما هو في حقه عليه السلام سب او نقص من تعريض
او نص قال القاضي ابو الفضل رحمه الله اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم
او عابه او الحق به نقصا في نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله او عرض به او شبهه بشيء
على طريق السب له والازراء عليه او التصغير لشانه او الغض منه والعيب له فهو ساب له والحكم
فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري
فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا
يليق بمنصبه على طريق الذم او عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول
وزور او عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة
لديه وهذا كله اجماع من العلماء وائمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم الى هلم
جرا قال ابو بكر بن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال
ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحاق وهو مذهب الشافعي قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل توبته عند هؤلاء وبمثله قال ابو حنيفة
واصحابه والثوري واهل الكوفة والاوزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي ردة وروى مثله الوليد

ابن

ابن مسلم عن مالك وحكى الطبري مثله عن ابي حنيفة واصحابه فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم او برئ
منه او كذبه وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة مثل الزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته
وتكفيره وهل قتله حد او كفر كما سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله ولا نعلم خلافا في استباحة
دمه بين علماء الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية
وهو ابو محمد علي بن احمد الفارسي الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه قال محمد بن
سحنون اجمع العلماء ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله
له وحكمه عند الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر واحتج ابراهيم بن حسين بن خالد
الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد رضي الله عنه مالك بن نويرة لقوله عن النبي صاحبكم وقال ابو سليمان
الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما وقال ابن القاسم عن مالك في
كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكاه مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي
صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن القاسم في العتبية او شتمه او عابه او تنقصه
فانه يقتل وحكمه عند الامة القتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره وبره وفي المبسوط عن
عثمان بن كنانة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب والامام
مخير في صلبه حيا او قتله ومن رواية ابي المصعب وابن ابي اويس سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله
صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب وفي كتاب
محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر
قتل ولم يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف
وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى
الطبري مثله عن اشهب عن مالك وروى ابن وهب عن مالك من قال ان رداء النبي صلى الله عليه وسلم
ويروى زر النبي صلى الله عليه وسلم وسخ اراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء
على ان من دعا على نبي من الانبياء بالويل او بشيء من المكروه انه يقتل بلا استتابة وافتى ابو الحسن

القابسي في من قال في النبي صلى الله عليه وسلم الجمّال يتيم ابي طالب بالقتل وافتى ابو محمد بن
ابي زيد بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه
واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي صفة هذا المار في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد
كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد بن ابي سليمن صاحب سحنون من قال
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل وقال في رجل قيل له لا وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
فعل الله برسول الله كذا وذكر كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال اشد من كلامه الاول
ثم قال انما اردت برسول الله العقرب فقال ابن ابي سليمن للذي ساله اشهد عليه وانا شريكك يريد في
قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لان ادعاءه التاويل في لفظ صراح لا يقبل لانه امتهان وهو
غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له فوجب اباحة دمه وافتى ابو عبد الله بن عتاب
في عشار قال لرجل ادّ واشك الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان سالت او جهلت فقد جهل وسال النبي صلى الله عليه وسلم
بالقتل وافتى فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه من استخفافه
بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن حيدرة وزعمه ان زهده
عليه السلام لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه لهذا وافتى فقهاء القيروان واصحاب
سحنون بقتل ابراهيم الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن يحضر مجلس القاضي
ابي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة من هذا الباب في الاستهزاء بالله وانبيائه
ونبينا عليه السلام فاحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن
بالسكين وصلب منكسا ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض المورخين انه لما رفعت خشبته وزالت
عنها الايدي استدارت وحولته عن القبلة فكان اية للجميع وكبر الناس وجاء كلب فولغ في دمه
فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديثا عنه عليه السلام انه قال لا يلغ الكلب
في دم مسلم وقال القاضي ابو عبد الله بن المرابط من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل
لانه تنقص اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصة نفسه اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته وقال حبيب

ابن ربيع القروي مذهب ملك واصحابه ان من قال فيه عليه السلام ما فيه نقص قتل دون استتابة وقال
ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان ان من قصد النبي صلى الله عليه وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا
وان قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب قتل قائله لم يختلف
في ذلك متقدمهم ولا متاخرهم وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه ونبينه بعد ان شاء الله
تعالى وكذلك اقول حكم من غمصه او عيره برعاية الغنم او السهو او النسيان او السحر او ما اصابه
من جرح او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة من زمانه او بالميل الى نسائه فحكم هذا كله
لمن قصد به نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء في ذلك وياتي ما يدل عليه فصل في الحجة
في ايجاب قتل من سبه او عابه عليه السلام فمن القران لعنه تعالى لموذيه في الدنيا والاخرة وقرانه
تعالى اذاه باذاه صلى الله عليه وسلم ولا خلاف في قتل من سب الله تعالى وان اللعن انما يستوجبه من
هو كافر وحكم الكافر القتل فقال تعالى ان الذين يوذون الله ورسوله الاية وقال تعالى في قاتل المومن
مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وقال
في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون
وقاتلهم الله انى يوفكون اي لعنهم الله ولانه فرق بين اذاهما واذى المومنين وفي اذى المومنين ما دون
القتل من الضرب والنكال فكان حكم موذي الله ونبيه اشد من ذلك وهو القتل وقال الله تعالى فلا وربك
لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية فسلب اسم الايمان عمن وجد في صدره حرجا من قضائه
ولم يسلم له ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي الى قوله ان تحبط اعمالكم ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل وقال الله تعالى واذا جاوك
حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال تعالى حسبهم جهنم يصلونها فبيس المصير وقال تعالى ومنهم الذين
يوذون النبي ويقولون هو اذن ثم قال تعالى والذين يوذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى ولين
سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم قال اهل التفسير كفرتم بقولكم
في رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الاجماع فقد ذكرناه واما الاثار فحدثنا الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون

عن الشيخ ابي ذر الهروي اجازة قال حدثنا ابو الحسن الدارقطني وابو عمر بن حيويه ثنا محمد بن نوح
ثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسين بن زبالة ثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن ابيه
عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه عن الحسين بن علي عن ابيه رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح امر النبي صلى الله عليه وسلم
بقتل كعب بن الاشرف وقوله عليه السلام لكعب بن الاشرف فانه يؤذي الله ورسوله ووجه
اليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف غيره من المشركين وعلل باذاه له فدل ان قتله اياه
لغير الاشراك بل للاذى وكذلك قتل ابا رافع قال البراء رضي الله عنه وكان يؤذي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويعين عليه وكذلك امره عليه السلام يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه
اللتين كانتا تغنيان بسبه عليه السلام وفي حديث آخر ان رجلا كان يسبه عليه السلام فقال
من يكفيني عدوي فقال خالد رضي الله عنه انا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك
لم يقتل جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط وعهد امر بقتل ج
بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا الا من بادر باسلامه قبل القدرة عليه وقد روى
البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما ان عقبة بن ابي معيط نادى يا معشر قريش ما لي اقتل من بينكم
صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله وذكر عبد الرزاق ان النبي
صلى الله عليه وسلم سبه رجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يكفيني عدوي فقال الزبير انا فبارزه
فقتله الزبير رضي الله عنه وروي ايضا ان امراة كانت تسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوتي
فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروي ان رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير
ليقتلاه وروى ابن قانع ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت ابي
يقول فيك قولا قبيحا فقتلته فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ المهاجر بن ابي
امية امير اليمن لابي بكر رضي الله عنه ان امراة هناك في الردة غنت بسب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ ابا بكر ذلك فقال له لولا ما فعلت بها لامرتك بقتلها لان حد النبي صلى الله

كلا مرتكه

علم

عليه وسلم ليس يشبه الحدود وعن ابن عباس رضي الله عنه هجت امراة من خطمة النبي صلى الله
عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان اعمى كانت له ام ولد تسب النبي صلى الله
عليه وسلم فيزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم
وتشتمه فقتلها واعلم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فاهدر دمها وفي حديث ابي برزة الاسلمي كنت
يوما جالسا عند ابي بكر الصديق رضي الله عنه فغضب على رجل من المسلمين وحكى القاضي اسماعيل
وغير واحد من الائمة في هذا الحديث انه سب ابا بكر ورواه النسائي اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل فرد
عليه قال فقلت يا خليفة رسول الله دعني اضرب عنقه فقال اجلس فليس ذلك لاحد
الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه احد فاستدل الائمة بهذا
الحديث على قتل من اغضب النبي صلى الله عليه وسلم بكل ما اغضبه او اذاه او سبه ومن ذلك كتاب
عمر بن عبد العزيز الى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه فكتب
عمر اليه انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس الا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمن سبه فقد حل دمه وسال الرشيد مالكا في رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ان فقهاء العراق
افتوه بجلده فغضب مالك وقال يا امير المؤمنين ما بقاء الامة بعد شتم نبيها من شتم الانبياء قتل
ومن شتم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد قال القاضي ابو الفضل رحمه الله كذا وقع
في هذه الحكاية رواها غير واحد من اصحاب مناقب مالك ومؤلفي اخباره وغيرهم ولا ادري من
هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله ولعلهم
ممن لم يشتهر بعلم او من لا يوثق بفتواه او يميل به هواه او يكون ما قاله يحمل على غير السب
فيكون الخلاف هل هو سب او غير سب او يكون رجع وتاب عن سبه فلم يقله لمالك على اصله
والا فالاجماع على قتل من سبه كما قدمناه ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه
او تنقصه عليه السلام فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سوء طويته وكفره ولهذا ما حكم

له كثير من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي وقول الثوري وابي حنيفة والكوفيين
والقول الآخر انه دليل على الكفر فيقتل حدا وان لم يحكم له بالكفر الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر
له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم
فاعترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر بلا خلاف قال الله
تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم قال اهل التفسير
هي قولهم ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير وقيل بل قول بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول
القائل سمن كلبك ياكلك ولئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد قيل ان قائل
مثل هذا ان كان مستترا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه قد غير دينه وقد قال عليه السلام
من غير دينه فاضربوا عنقه ولان لحكم النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة مزية على امته وساب الحر
من امته يحد فكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام القتل لعظم قدره وشفوف منزلته على غيره
فصل فإن قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له عليه السلام السام عليكم
وهذا دعاء عليه ولا قتل الآخر الذي قال له ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله وقد تاذى النبي
صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال قد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر ولا قتل المنافقين الذين كانوا
يؤذونه في اكثر الاحيان فاعلم وفقنا الله واياك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول الاسلام
يستالف عليه الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول
لاصحابه انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا ويقول
لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكان صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم
ويغضي عنهم ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفاهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان يرفقهم
بالعطاء والاحسان وبذلك امره الله تعالى فقال ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف
عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقال تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم وذلك لحاجة الناس للتالف اول الاسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر واظهره الله

على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله بابن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه
قتله غيلة من يهود وغيرهم او غلبة ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري
الايمان به ممن كان يؤذيه كابن الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك ندر دم جماعة سواهم
ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن آذاه حتى القوا بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين
مستترة وحكمه عليه السلام على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان يقولها القائل منهم خفية
ومع امثاله ويحلفون عليها اذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا
بعد اسلامهم وكان مع هذا عليه السلام يطمع في فيئتهم ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم فيصبر عليه
السلام على هناتهم وجفوتهم كما صبر اولو العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا
واخلص سرا كما اظهر جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء واعوان وحماة
وانصار كما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله عن هذا السؤال وقيل لعله
لم يثبت عنده عليه السلام من اقوالهم ما رفع وانما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة
في هذا الباب من صبي او عبد او امراة والدماء لا تستباح الا بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهود في السلام
وانهم لووا به السنتهم ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت عليه عائشة رضي الله عنها ولو كان
صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم في
سلامهم وخيانتهم في ذلك ليا بالسنتهم وطعنا في الدين فقال عليه السلام ان اليهود اذا سلم احدهم
فانما يقول السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال بعض اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يات انه قامت بينة على نفاقهم فلذلك تركهم صلى الله عليه وسلم وايضا
فان الامر كان سرا وباطنا وظاهرهم الاسلام والايمان وان كان من اهل الذمة بالعهد والجوار والناس
قريبو عهد بالاسلام لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهم
بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد المرسلين وانصار الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي
صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم لوجد المنفر ما يقول

ولارتاب الشاك وأرجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم والدخول في الإسلام غير
واحد ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم أن القتل إنما كان للعداوة وطلب أخذ الترة وقد رأيت معنى
ما حررته منسوبا إلى مالك بن أنس رحمه الله ولهذا قال عليه السلام لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل
أصحابه وقال أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف إجراء الأحكام الظاهرة عليهم من
حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها واستواء الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز لو أظهر المنافقون
نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقاله القاضي أبو الحسن بن القصار وقال قتادة في تفسير
قوله لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك
فيها إلا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الآية قال معناه إذا أظهروا
النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد بن أسلم أن قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار
والمنافقين نسختها ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القائل هذه قسمة ما أريد بها وجه الله
وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم منه الطعن عليه والتهمة له وإنما رآها من وجه الغلط
في الرأي وأمور الدنيا والاجتهاد في مصالح أهلها فلم ير ذلك سبا ورأى أنه من الأذى الذي له العفو
عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود إذ قالوا السام عليكم ليس فيه تصريح
سب ولا دعاء إلا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسأمون
دينكم والسام والسآمة الملال وهذا دعاء على سآمة الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري
على هذا الحديث باب إذا عرض الذمي أو غيره بسب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض علمائنا وليس هذا
بتعريض بالسب وإنما هو تعريض بالأذى قال القاضي أبو الفضل رحمه الله قد قدمنا أن الأذى والسب
في حقه عليه السلام سواء وقال القاضي أبو محمد بن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال
ولم يذكر في هذا الحديث هل كان هذا اليهودي من أهل العهد والذمة والحرب ولا يترك موجب الأدلة
للأمر المحتمل والأولى في ذلك كله والأظهر من هذه الوجوه مقصد الاستئلاف والمداراة على الدين
لعلهم يؤمنون ولهذا ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج للتألف

ولئلا

ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرناه من معناه عن مالك وقررناه قبل وقد صبر لهم عليه السلام على سحره وسمه
وهو أعظم من سبه إلى أن نصره الله عليهم وأذن له في قتل من حينه منهم وإنزالهم من صياصيهم وقذف
في قلوبهم الرعب وكتب على من شاء منهم الجلاء وأخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين
وكاشفهم بالسب فقال يا إخوان القردة والخنازير وحكم فيهم سيوف المسلمين وأجلاهم
من جوارهم وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا
السفلى فإن قلت فقد جاء في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم ما انتقم
لنفسه في شيء يؤتى إليه قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله فاعلم أن هذا لا يقتضي أنه
لم ينتقم ممن سبه أو آذاه أو كذبه فإن هذه من حرمات الله التي انتقم منها وإنما يكون ما لا ينتقم منه
فيما يتعلق بسوء أدب أو معاملة من القول والفعل في النفس والمال مما لم يقصد فاعله به أذاه
لكن مما جبلت عليه الأعراب من الجفاء والجهل أو جبل عليه البشر من الغفلة كجبذ الأعرابي بإزاره حتى
أثر في عنقه وكرفع صوت الآخر عنده وكجحد الأعرابي شراءه منه فرسه التي شهد له فيها خزيمة
وكما كان من تظاهر زوجتيه عليه وأشباه هذا مما يحسن الصفح عنه وقد قال بعض علمائنا
إن أذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام لا يجوز بفعل مباح ولا غيره وأما غيره من الناس فيجوز بفعل مباح
ما يجوز للإنسان فعله وإن تأذى به غيره واحتج بعموم قوله تعالى إن الذين يؤذون الله ورسوله وبقوله
عليه السلام في حديث فاطمة إنها بضعة مني يؤذيني ما آذاها ألا وإني لا أحرم ما أحل الله ولكن
لا تجتمع ابنة رسول الله وابنة عدو الله عند رجل أبدا أو يكون هذا مما آذاه به كافر رجا بعد ذلك
إسلامه كعفوه عن اليهودي الذي سحره وعن الأعرابي الذي أراد قتله وعن اليهودية التي سمته
وقد قيل قتلها ومثل هذا مما يبلغه من أذى أهل الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء استئلافهم
واستئلاف غيرهم بهم كما قررناه قبل وبالله التوفيق فصل قال القاضي أبو الفضل
رضي الله عنه تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه والإزراء به وغمصه بأي وجه كان من ممكن
أو محال فهذا وجه بين لا إشكال فيه الوجه الثاني لاحق به في البيان والجلاء وهو أن يكون القائل

غير قاصد للسب والازرا ولا معتقد له
ولكنه تكلم في جهته عليه السلام

لما قاله في جهته عليه السلام بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز اليه
او نفي ما يجب له مما هو في حقه عليه السلام نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة
في تبليغ الرسالة او في حكم بين الناس او يغض من مرتبته او شرف نسبه او وفور علمه او زهده
او تكذيب بما اشتهر من امور اخبر بها صلى الله عليه وسلم وتواتر الخبر بها عن قصد لرد خبره او
يأتي بسفه من القول وقبيح من الكلام ونوع من السب في جهته وان ظهر بدليل حاله انه لم يعتمد
ذمه ولم يقصد سبه اما لجهالة حملته على ما قاله او لضجر او سكر اضطره اليه او قلة مراقبة
وضبط للسانه وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول القتل دون تلعثم
اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة ولا بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه اذا كان عقله في فطرته
سليما الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون على ابن حاتم في نفيه الزهد عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه وقال محمد بن سحنون في المأسور يسب النبي صلى الله عليه وسلم في ايدي
العدو يقتل الا ان يعلم تنصره او اكراهه وعن ابي محمد بن ابي زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل هذا
وافتى ابو الحسن القابسي فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لانه يظن به انه يعتقد
هذا ويفعله في صحوه وايضا فانه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه
ادخله على نفسه لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو كالعامد
لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص والحدود ولا يعترض على هذا بحديث
حمزة رضي الله عنه وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابي قال فعرف النبي صلى الله عليه وسلم
انه ثمل فانصرف لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن في جناياتها اثم وكان حكم ما يحدث
منها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء المأمون فصل الوجه الثالث ان يقصد الى
تكذيبه فيما قاله واتى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده او يكفر به انتقل بقوله ذلك الى دين اخر
غير ملته ام لا فهذا كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد
وقوي الخلاف في استتابته وعلى القول الاخر لا يسقط القتل عنه توبته لحق النبي صلى الله عليه وسلم ان كان

ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره وان كان مستترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله
التوبة عندنا كما سنبينه قال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد صلى الله عليه وسلم او كذب
به فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل او لم
ينزل عليه قران وانما هو شيء تقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وانكره من
المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه انه كالمرتد يستتاب وكذلك قال
فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقاله سحنون وقال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا قال اصبغ
وهو كالمرتد لانه قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله وقال اشهب في يهودي تنبأ او زعم انه
ارسل الى الناس او قال بعد نبيكم نبي انه يستتاب ان كان معلنا بذلك فان تاب والا قتل وذلك
لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله لا نبي بعدي مفتر على الله في دعواه عليه الرسالة
والنبوة وقال محمد بن سحنون من شك في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله فهو كافر جاحد
وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند الامة القتل وقال احمد بن ابي سليمان صاحب
سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود يقتل ولم يكن عليه السلام باسود وقال نحوه ابو عثمان
الحداد قال لو قال انه مات قبل ان يلتحي او انه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفي
قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر والمظهر له كافر وفيه الاستتابة والمسر
له زنديق يقتل دون استتابة ان شاء الله فصل الوجه الرابع ان يأتي من الكلام بمجمل ويلفظ
من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم او غيره او يتردد في المراد به من سلامته
من المكروه او شره فههنا متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء
المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم
وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرأ الحد بالشبهة لاحتمال القول
وقد اختلف ائمتنا في رجل اغضبه غريمه فقال له صل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم فقال له الطالب
لا صلى الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم

الملائكة الذين يصلون عليه قال الا ان كان اراد ما وقع من الغضب لانه لم يكن مضمرا الشتم
وقال ابو اسحاق البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه انما شتم الناس وهذا نحو قول سحنون لانه
لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم تكن معه
قرينة تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة صلوات الله عليهم ولا مقدمة
يحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده الناس غير هؤلاء لاجل قول الاخر له صل على النبي
محمد صلى الله عليه وسلم فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الان لاجل امر الاخر له بهذا عند غضبه
هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه وذهب الحارث بن مسكين القاضي وغيره في مثل
هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن القابسي في قتل رجل قال كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا
مرسلا فامر بشده في القيود والتضييق عليه حتى تستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل
على مقصده هل اراد اصحاب الفنادق الان فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره اخف
قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتاخرين وقد كان فيمن تقدم
من الانبياء والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين وما ترد اليه
التاويلات لا بد من امعان النظر فيه هذا معنى كلامه وحكي عن ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله فيمن
قال لعن الله العرب ولعن الله بني اسرائيل ولعن الله بني ادم وذكر انه لم يرد الانبياء وانما اردت الظالمين
منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر وقال
لم اعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبع حاضر لباد ولعن ما جاء به انه ان كان يعذر بالجهل وعدم
معرفته بالسنن فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله تعالى ولا سب
رسوله عليه السلام وانما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه في المسالة
المتقدمة ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم لبعض يا ابن الف خنزير ويا ابن
مائة كلب وشبهه من هجر القول ولا شك انه يدخل في مثل هذا العدد من ابائه واجداده جماعة
من الانبياء ولعل بعض هذا العدد منقطع الى ادم عليه السلام فينبغي الزجر عنه وتبيين

ما جهل قائله منه وشدة الادب فيه ولو علم انه قصد سب من في ابائه من الانبياء على علم
لقتل وقد يضيق القول في مثل هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني هاشم وقال اردت الظالمين
منهم او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في ابائه او من نسله او ولده على علم
منه انه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسالتين تقتضي تخصيص بعض ابائه
واخراج النبي صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم وقد رايت لابي موسى بن مناس فيمن قال لرجل لعنك الله
الى ادم انه ان ثبت عليه ذلك قتل قال القاضي رحمه الله تعالى وقد كان اختلف شيوخنا رحمهم الله
فيمن قال لشاهد شهد عليه بشيء ثم قال له تتهمني فقال له الاخر الانبياء يتهمون فكيف انت
فكان شيخنا ابو اسحاق بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر اللفظ وكان القاضي ابو محمد بن منصور
يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار وافتى فيها قاضي
قرطبة ابو عبد الله بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده واطال سجنه ثم
استحلفه بعد على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن
ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله محمد بن عيسى ايام قضائه اتي برجل هاتر
رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون قال ذلك
وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه
فلما لم يجد عليه ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسياط واطلقه فصل الوجه الخامس
ان لا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه او يستشهد ببعض
احواله الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة عليه لنفسه او لغيره او على التشبيه
به او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته ليس على طريق التاسي وطريق التحقيق بل على
مقصد الترفيع لنفسه او لغيره او سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه عليه السلام او قصد
الهزل والتنكيت بقوله كقول القائل ان قيل في السوء فقد قيل في النبي صلى الله عليه وسلم
او ان كذبت فقد كذب الانبياء او ان اذنبت فقد اذنبوا او انا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم

انبيآء الله ورسله او قد صبرت كما صبر اولوا العزم من الرسل او كصبر ايوب او قد صبر نبي الله
من عداه وحلم على اكثر مما صبرت . وكقول المتنبي

انا في امة تداركها الله ... غريب كصالح في ثمود

ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري

كنت موسى وافته بنت شعيب ... غير ان ليس فيكما من فقير

على ان اخر البيت شديد عند تدبره وداخل في باب الازراء والتحقير بالنبي صلى الله عليه وسلم
وتفضيل حال غيره عليه وكذلك قوله

لولا انقطاع الوحي بعد محمد ... قلنا محمد عن ابيه بديل
هو مثله في الفضل الا انه ... لم ياته برسالة جبريل

فصدر البيت الثاني من هذا الفصل شديد لتشبيهه غير النبي في فضله بالنبي صلى الله عليه وسلم
والعجز يحتمل وجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح والاخر استغناؤه عنها وهذه
اشد ونحو منه قول الاخر

واذا ما رفعت راياته صفقت ... بين جناحي جبرين

وقول الاخر من اهل العصر

فر من الخلد واستجار بنا ... فصبر الله قلب رضوان

وكقول حسان المصيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره
ابي بكر بن زيدون

كان ابا بكر ابو بكر الرضى ... وحسان حسان وانت محمد

الى امثال هذا وانما اكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف امثلتها ولتساهل
كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم
ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم لا سيما
الشعراء واشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هانئ الاندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج
كثير من كلامهما عن هذا الحد الى الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد اجبنا عنه وغرضنا
الان الكلام في هذا الفصل الذي سقنا امثلته فان هذه كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الى

الملائكة والانبياء نقصا ولست اعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها ازراء وغضا وما وقر النبوة
ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة المصطفى ولا عزز حظوة الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة نالها او
معرة قصد الانتفاء منها او ضرب مثل لتطييب مجلسه او اغلاء في وصف لتحسين كلامه بمن
عظم الله خطره وشرف قدره والزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده
فحق هذا ان درئ عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح
ما نطق به ومالوف عادته لمثله او ندوره وقرينة كلامه او ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون
ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله

فان يك باقي سحر فرعون فيكم ... فان عصا موسى بكف خصيب

وقال العتابي ابن اللخناء انت المستهزئ بعصا موسى وامر باخراجه عن عسكره من ليلته وذكر القتبي
ان مما انكر عليه وكفر به او قارب قوله في محمد الامين وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله عليه وسلم

تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها ... خلقا وخلقا كما قد الشراكان

وقد انكروا ايضا على الاخر قوله في ممدوحه

كيف لا يدنيك من امل ... من رسول الله من نفره

لان حق الرسول صلى الله عليه وسلم وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف
بالمنكر في مثل هذا ما بسطناه في هذه الفتيا وعلى هذا المنهج جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس
رحمه الله واصحابه وفي النوادر من رواية ابن ابي مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر
وقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم الغنم فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه ارى ان يؤدب
قال ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطات الانبياء قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز
رضي الله عنه لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له قد كان ابو النبي صلى الله عليه وسلم
كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي ابدا وقد كره سحنون ان يصلى على النبي صلى الله
عليه وسلم عند التعجب الا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله وسئل

القابسي عن رجل قال لرجل قبيح كأنه وجه نكير ولرجل عبوس كأنه وجه مالك الغضبان فقال
أي شيء أراد بهذا ونكير أحد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي أراد أروع دخل عليه حين رآه
من وجهه أم عاف النظر إليه لدمامة خلقه فإن كان هذا فهو شديد لأنه جرى مجرى التحقير والتهوين
فهو أشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك وإنما السب واقع على المخاطب وفي الأدب بالسوط
والسجن نكال للسفهاء قال وأما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره عندما أنكر من عبوس الآخر
إلا أن يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه القائل على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه
في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول كأنه لله يغضب غضب مالك فيكون
أخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا ولو كان أثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك
كان أشد ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال
أبو الحسن أيضا في شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فإنك أمي فقال الشاب
أليس كان النبي أميا فشنع عليه مقاله وكفره الناس وأشفق الشاب مما قال وأظهر الندم عليه
فقال أبو الحسن القابسي أما إطلاق الكفر عليه فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده بصفة النبي
صلى الله عليه وسلم وكون النبي صلى الله عليه وسلم أميا آية له وكون هذا أميا نقيصة فيه وجهالة
ومن جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه إذا استغفر وتاب واعترف ولجأ إلى الله
فيترك لأن قوله لا ينتهي به إلى حد القتل وما طريقه الأدب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف
عنه ونزلت أيضا مسألة استفتى فيها بعض قضاة الأندلس شيخنا القاضي أبا محمد بن منصور
رحمه الله في رجل تنقصه آخر بشيء فقال له إنما تريد نقصي بقولك وأنا بشر وجميع البشر يلحقهم
النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم فأفتاه بإطالة سجنه وإيجاع أدبه إذ لم يقصد السب
وكان بعض فقهاء الأندلس أفتى بقتله فصل الوجه السادس أن يقول القائل ذلك حاكيا
عن غيره وآثرا له عن سواه فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف
ذلك على أربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة والتحريم فإن كان أخبر به على وجه الشهادة

والتعريف بقائله والإنكار عليه والإعلام بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله
ويحمد فاعله وكذلك إن حكاه في كتاب أو في مجلس أو على طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا
بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فإن كان
القائل لذلك ممن تصدى لأن يؤخذ عنه العلم أو رواية الحديث أو يقطع بحكمه أو شهادته أو فتياه
في الحقوق وجب على سامعه الإشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة عليه
بما قاله ووجب على من بلغه ذلك من أئمة المسلمين إنكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره
عن المسلمين وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك إن كان ممن يعظ العامة أو يؤدب الصبيان فإن
من هذه سريرته لا يؤمن على إلقاء ذلك في قلوبهم فيتأكد في هؤلاء الإيجاب لحق النبي صلى الله عليه وسلم
ولحق شريعته وإن لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه
متعين ونصرته عن الأذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه إذا قام بهذا من ظهر به الحق
وفصلت به القضية وبان به الأمر سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب في تكثير الشهادة
عليه وعضد التحذير منه وقد أجمع السلف على بيان حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل
أبو محمد بن أبي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى أيسعه أن لا يؤدي شهادته قال إن رجا
نفاذ الحكم بشهادته فليشهد وكذلك إن علم أن الحاكم لا يرى القتل بما شهد به ويرى الاستتابة
والأدب فليشهد ويلزمه ذلك وأما الإباحة لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا أرى لها
مدخلا في هذا الباب فليس التفكه بعرض النبي صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره لأحد
لا ذاكرا ولا آثرا لغير غرض شرعي بمباح وأما للأغراض المتقدمة فمتردد بين الإيجاب والاستحباب
وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسله في كتابه على وجه الإنكار لقولهم والتحذير
من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه علينا في محكم كتابه وكذلك وقع من أمثاله في
أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه المتقدمة وأجمع السلف والخلف من
أئمة الهدى من المسلمين على حكايات مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم ليبينوها

للناس وينقضوا شبهها عليهم وإن كان ورد لأحمد بن حنبل إنكار لبعض هذا على الحارث بن أسد فقد
صنع أحمد مثله في رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق وهذه الوجوه السائغة الحكاية عنها. فأما
ذكرها على غير هذا من حكاية سبه أو الإزراء بمنصبه على وجه الحكايات والأسمار والطرف وأحاديث
الناس ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يعني
فكل هذا ممنوع وبعضه أشد في المنع والعقوبة من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير قصد
أو معرفة بمقدار ما حكاه أو لم تكن عادته أو لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه
استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العودة إليه وإن قوم ببعض الأدب فهو مستوجب
له وإن كان لفظه من البشاعة حيث هو كان الأدب أشد وقد حكي أن رجلا سأل مالكا عمن يقول
القرآن مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقال إنما حكيته عن غيري فقال مالك إنما سمعناه منك
وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر والتغليظ بدليل أنه لم ينفذ قتله وإن اتهم هذا الحاكي
فيما حكاه أنه اختلقه ونسبه إلى غيره أو كانت تلك عادة له أو ظهر استحسانه لذلك أو كان مولعا
بمثله والاستخفاف له أو التحفظ لمثله وطلبه أو رواية أشعار هجوه عليه السلام وسبه فحكم
هذا حكم الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا تنفعه نسبته إلى غيره فيبادر بقتله ويعجل إلى الهاوية
أمه وقد قال أبو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو
كافر وقد ذكر بعض من ألف في الإجماع إجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم
وكتابته وقراءته وتركه متى وجد دون محو ورحم الله أسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم
فقد أسقطوا من أحاديث المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته إلا أشياء ذكروها
يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الأول ليروا نقمة الله من قائلها وأخذه المفتري عليه
بذنبه وهذا أبو عبيد القاسم بن سلام قد تحرى فيما اضطر إلى الاستشهاد به من أهاجي أشعار العرب
في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا من المشاركة في ذم أحد بروايته
أو نشره فكيف بما يتطرق إلى عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم **فصل الوجه السابع**

أن يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم أو يختلف في جوازه عليه وما يطرأ من الأمور البشرية
به ويمكن إضافتها إليه أو يذكر ما امتحن به وصبر في ذات الله على شدته من مقاساة أعدائه وأذاهم
له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشته كل ذلك
على طريق الرواية ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للأنبياء وما يجوز عليهم فهذا فن
خارج عن هذه الفنون الستة إذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا إزراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ
ولا في مقصد اللافظ لكن يجب أن يكون الكلام مع أهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده
ويحققون فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفقه ولا يفقهه أو يخشى به فتنته فقد كره بعض السلف
تعليم النساء سورة يوسف عليه السلام لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص
عقولهن وإدراكهن فقد قال عليه السلام مخبرا عن نفسه باستئجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله
وقال ما من نبي إلا وقد رعى الغنم وأخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة فيه جملة
واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت عادة في جميع العرب
نعم في ذلك حكمة بالغة للأنبياء عليهم السلام وتدريج لله تعالى لهم إلى كرامته وتدريب برعايتها
لسياسة أممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الأزل ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر الله تعالى
يتمه وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر عن
مبتدئه والتعجب من منح الله قبله وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته
وصحة دعوته إذ أظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن ناوأه من أشرافهم شيئا فشيئا
ونما أمره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الأمم غيرهم بإظهار
الله تعالى له وتأييده بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم وإمداده بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك
أو ذا أشياع متقدمين لحسب كثير من الجهال أن ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل
حين سأل أبا سفيان عنه هل في آبائه من ملك ثم قال ولو كان في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك أبيه
وإذ اليتم من صفته وإحدى علاماته في الكتب المتقدمة وأخبار الأمم السالفة وكذا وقع ذكره

في كتاب ارميا وبهذا وصفه ابن عمّه الزبير بن عبد المطلب وعمّه ابو طالب وكذلك اذ اوصفه بانه امر كما
وصفه الله تعالى فهي مدرجة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته العظمى من القرآن العظيم
انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه
في القسم الاول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى
العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة وانما
هي آلة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغني عن
الواسطة والسبب والامية في غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين
امره من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه وهذا شق قلبه
واخراج حشوته كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلاكه
وحتم موته وفنائه وهلم جرا الى سائر ما روي من اخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم
والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في اموره وخدمة بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسويته
بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه
كما ذكرناه فمن اورد شيئا منها مورده وقصد بها مقصده كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه
وعلم منه بذلك سوء قصده لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من اخباره صلى الله عليه وسلم
واخبار سائر الانبياء عليهم السلام في الاحاديث مما في ظاهره اشكال يقتضي امورا لا تليق
بهم بحال ويحتاج الى تأويل وتردد احتمال فلا يجب ان يتحدث منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم
الثابت ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة
المعنى وقال ما يدعو الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان يتحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء
وليت الناس وافقوه رحمه الله على ترك التحدث بها وساعدوه على طيها فاكثرها ليس تحته عمل
وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة انهم كانوا يكرهون الكلام فيما ليس تحته
عمل والنبي صلى الله عليه وسلم اوردها على قوم عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاته

في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وايجازه فلم تكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت
عليه العجمة وداخلته الامية فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب الا نصها وصريحها ولا يتحقق اشاراتها
الى غرض الايجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تأويلها او حملها على ظاهرها شذر مذر
فمنهم من آمن ومنهم من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب ان لا يذكر منها شيء في حق الله
تعالى ولا في حق انبيائه صلوات الله عليهم ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها
وترك الشغل بها الا ان تذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة المعنى واهية الاسناد وقد انكر الاشياخ
على ابي بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام على احاديث ضعيفة موضوعة لا اصل لها او
منقولة عن اهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها ويغنيه عن الكلام عليها
التنبيه على ضعفها اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس بها واجتثاثها من
اصلها وطرحها اكشف للبس واشفى للنفس فصل ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي
صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره
عليه السلام وذكر تلك الاحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله
وتظهر عليه علامات الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الاشفاق والارتماض
والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة له لو امكنته واذا اخذ
في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اعماله واقواله واحواله عليه السلام تحرى احسن اللفظ
وآداب العبارة ما امكنه واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب
والمعصية فاذا تكلم في الاقوال قال هل يجوز عليه الخلف في القول والاخبار بخلاف ما وقع سهوا
او غلطا ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال
هل يجوز ان لا يعلم الا ما علم وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا
يقول بجهل لقبح اللفظ وبشاعته واذا تكلم في الافعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر
والنواهي ومواقعة بعض الصغائر فهو اولى وآدب من قوله هل يجوز ان يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا

من انواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه السلام وما يجب له من توقير واعظام وقد رايت بعض
العلماء لم يتخلص من هذا فقبح منه ولم استصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجاهلين قد قوله لاجل
ترك تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما ياباه ويكفر قائله واذا كان مثل هذا بين الناس
مستعملا في آدابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم فاستعماله في حقه عليه السلام اوجب والتزامه
آكد فجودة العبارة تقبح الشيء او تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الامر او يهونه
ولهذا قال عليه السلام ان من البيان لسحرا فاما ما اورده على جهة النفي عنه والتنزيه
له فلا حرج في تسريح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا اتيان
الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره
عند ذكره مجردا فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة
عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة اي من
القرآن حكى الله فيها مقال عداه ومن كفر بآياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته
اعظاما لربه واجلالا له واشفاقا من التشبه بمن كفر به والله الموفق للصواب

الباب الثاني في حكم سابه وشانئه ومتنقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته

ووراثته قال القاضي ابو الفضل رحمه الله قد قدمنا ما هو سب واذى في حقه عليه السلام وذكرنا اجماع
العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله او تخيير الامام في قتله او صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد
فاعلم ان مشهور مذهب مالك رحمه الله واصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا ان اظهر
التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه
حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته على هذا بعد القدرة عليه والشهادة
على قوله او جاء تائبا من قبل نفسه لانه حد وجب لا تسقطه التوبة كسائر الحدود قال الشيخ
ابو الحسن القابسي رحمه الله اذا اقر بالسب وتاب منه واظهر التوبة قتل بالسب لانه حده وقال
ابو محمد ابن ابي زيد مثله واما ما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون من شتم النبي صلى الله

عليه

عليه وسلم من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق اذا جاء تائبا
فحكى القاضي ابو الحسن ابن القصار في ذلك قولين قال من شيوخنا من قال اقتله باقراره لانه كان يقدر على
ستر نفسه فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال اقبل توبته لاني استدل
على صحتها بمجيئه فكانا وقفنا على باطنه بخلاف من اسرته البينة قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
وهذا قول اصبغ ومسالة ساب النبي صلى الله عليه وسلم اقوى لا يتصور فيها الخلاف على الاصل المتقدم
لانه حق يتعلق بالنبي صلى الله عليه وسلم ولامته بسببه لا تسقطه التوبة كسائر الحقوق للآدميين
والزنديق اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث واسحاق واحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل
واختلف فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف وحكى ابن المنذر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه يستتاب
قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن المسلم بالتوبة من سبه عليه السلام لانه لم ينتقل من دين الى غيره
وانما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال
القاضي ابو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه وبين من سب الله تعالى على مشهور القول
باستتابته ان النبي عليه السلام بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله تعالى بنبوته والباري
تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه عليه السلام كالارتداد
المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الآدميين فقبلت توبته ومن
سب النبي صلى الله عليه وسلم تعلق فيه حق لآدمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف فان توبته
لا تسقط عنه حد القتل والقذف وايضا فان توبة المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنا وسرقة وغيرها
ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره لكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة به
وذلك لا تسقطه التوبة قال القاضي ابو الفضل رحمه الله يريد والله اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي
الكفر ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف او لان بتوبته واظهار انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا
والله اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه وقال ابو عمران الفاسي من سب النبي صلى الله عليه وسلم
ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم يستتب لان السب من حقوق الآدميين التي لا تسقط عن المرتد وكلام شيوخنا

هؤلاء مبني على القول بقتله حدًّا لا كفرًا وهو يحتاج إلى تفصيل وأما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك ومن وافقه
على ذلك ممن ذكرناه وقال به من أهل العلم فقد صرحوا أنه ردة قالوا ويستتاب منها فإن تاب نُكّل وإن أبى قُتل فحُكم
له بحكم المرتد مطلقًا في هذا الوجه والوجه الأول أشهر وأظهر لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة
فهو يوجب القتل فيه حدًّا وإنما نقول ذلك مع فصلين إما مع إنكاره ما شُهد به عليه أو إظهاره الإقلاع والتوبة
عنه فنقتله حدًّا لثبات كلمة الكفر عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله من حقه وأجرينا
حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق إذا ظُهر عليه وأنكر أو تاب فإن قيل فكيف تُثبتون الكفر عليه ويُشهد
عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بما يجب من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وإن أثبتنا له حكم الكافر في القتل
فلا نقطع عليه بذلك لإقراره بالتوحيد والنبوة وإنكاره ما شُهد به عليه أو زعمه أن ذلك كان منه وهلًا ومعصية
وأنه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع إثبات بعض أحكام الكفر على بعض الأشخاص وإن لم تثبت له خصائصه
كقتل تارك الصلاة وأما من علم أنه سبه معتقدًا لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك وكذلك إن كان
سبه في نفسه كفرًا كتكذيبه أو تكفيره ونحوه فهذا ما لا إشكال فيه ويُقتل وإن تاب منه لأنا لا نقبل
توبته ونقتله بعد التوبة حدًّا لقوله ومتقدم كفره وأمره بعدُ إلى الله المطلع على صحة إقلاعه العالم
بسره وكذلك من لم يُظهر التوبة واعترف بما شُهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر بقوله وباستحلاله هتك
حرمة الله تعالى وحرمة نبيه صلى الله عليه وسلم يُقتل كافرًا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء
ونزّل مختلف عباراتهم في الاحتجاج عليها وأجرِ اختلافهم في الموارثة وغيرها على ترتيبها تتضح لك مقاصدهم
إن شاء الله تعالى فصل إذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد
إذ لا فرق بينهما وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور أهل العلم إلى أن المرتد يستتاب
وحكى ابن القصار أنه إجماع من الصحابة رضي الله عنهم على تصويب قول عمر رضي الله عنه في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم
وهو قول عثمان وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم وبه قال عطاء بن أبي رباح والنخعي والثوري ومالك وأصحابه والأوزاعي
والشافعي وأحمد وإسحاق وأصحاب الرأي وذهب طاوس وعبيد بن عمير والحسن في إحدى الروايتين عنه
لا يستتاب وقاله عبد العزيز بن أبي سلمة وذكره عن معاذ وأنكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن أبي يوسف وهو

قول أهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن لا ندرأ القتل عنه لقوله عليه السلام فاقتلوه وحكي
أيضًا عن عطاء أنه إن كان ممن ولد في الإسلام لم يستتب ويستتاب الإسلامي وجمهور العلماء على أن المرتد
والمرتدة في ذلك سواء وروي عن علي رضي الله عنه لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطاء وقتادة وروي عن ابن
عباس رضي الله عنه لا تقتل النساء في الردة وبه قال أبو حنيفة قال مالك والحر والعبد والذكر والأنثى
في ذلك سواء وأما مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر رضي الله عنه أنه يستتاب ثلاثة أيام يحبس فيها
وقد اختلف فيه عن عمر رضي الله عنه وهو أحد قولي الشافعي وقول أحمد وإسحاق واستحسنه مالك وقال لا يأتي
الاستظهار إلا بخير وليس عليه جماعة الناس وقال الشيخ أبو محمد بن أبي زيد يريد في الاستيناء ثلاثًا
وقال مالك أيضًا الذي آخذ به في المرتد قول عمر يحبس ثلاثة أيام ويعرض عليه كل يوم فإن تاب وإلا قتل
وقال أبو الحسن بن القصار في تأخيره ثلاثًا روايتان عن مالك هل ذلك واجب أو مستحب واستحسن الاستتابة
ثلاثًا أصحاب الرأي وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه استتاب امرأة فلم تتب فقتلها وقال الشافعي
مرة إن لم يتب مكانه قُتل واستحسنه المزني وقال الزهري يدعى إلى الإسلام ثلاث مرات فإن أبى
قُتل وروي عن علي رضي الله عنه يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب أبدًا وبه أخذ الثوري ما رجيت
توبته وحكى ابن القصار عن أبي حنيفة أنه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة أيام أو ثلاث جمع كل يوم أو جمعة
مرة واحدة وفي كتاب محمد عن ابن القاسم يدعى المرتد إلى الإسلام ثلاث مرات فإن أبى ضربت عنقه واختلف على
هذا هل يهدد أو يشدد عليه أيام الاستتابة ليتوب أم لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة تجويعًا
ولا تعطيشًا ويؤتى من الطعام بما لا يضره وقال أصبغ يخوف أيام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الإسلام
وفي كتاب أبي الحسن الطابثي يوعظ في تلك الأيام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار قال أصبغ وأي المواضع حبس
فيها من السجون مع الناس أو وحده إذا استوثق منه سواء ويوقف ماله إذا خيف أن يتلفه على
المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب أبدًا كلما رجع وارتد وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم
نبهان الذي ارتد أربع مرات أو خمسًا قال ابن وهب عن مالك يستتاب أبدًا كلما رجع وهو قول الشافعي وأحمد
ابن حنبل وقاله ابن القاسم وقال إسحاق يقتل في الرابعة وقال أصحاب الرأي إن لم يتب في الرابعة قتل دون استتابة

وان تاب فمن ذنب ما وجب ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر ولا نعلم احدا اوجب
على الذمي توبة المرتد الا ولكن انما اذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي والكوفي فصل قال القاضي رحمه الله
هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم تتم الشهادة عليه بما
شهد عليه الواحد او اللفيف من الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك ان تاب على القول
بقبول توبته فهذا يدرأ عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه
وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة حاله من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي امره اذاقه
من شديد النكال من التضييق في السجن والشد في القيود الى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام
لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص
به لاشكال وعائق اقتضاه امره وحالات الشدة عليه في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى الوليد
عن مالك والاوزاعي انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد
فلا عقوبة عليه وقاله سحنون وافتى ابو عبد الله بن عتاب في من سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه
شاهدان عدل احدهما بالادب الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته وقال القابسي في مثل
هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاق عن اشكال في القتل لم ينبغ ان يطلق من السجن ويستطال سجنه
ولو كان فيه من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل عليه من القيود ما يطيق وقال في مثله ممن اشكل امره يشد
في القيود شدا ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في مسئلة اخرى مثلها ولا تهراق الدماء
الا بالامر الواضح وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء ويعاقب عقوبة شديدة فاما ان لم يشهد
عليه سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحتهما ما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره
اخف لسقوط الحكم عنه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به ذلك ويكون الشاهدان من
اهل التبريز فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم
هنا في تنكيله موضع اجتهاد والله ولي الارشاد فصل قال القاضي رحمه الله هذا حكم المسلم
فاما الذمي فاذا صرح بسبه او عرض او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا في قتله

ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد على هذا وهو قول عامة العلماء الا ابا حنيفة والثوري
واتباعهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك اعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل
بعض شيوخنا على قتله بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا ائمة الكفر
الاية ويستدل ايضا عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف واشباهه ولانا لم نعاهدهم
ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد
نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا اهل حرب يقتلون لكفرهم وايضا فان ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام عليهم
من القطع في سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا عندهم فكذلك سبهم النبي
صلى الله عليه وسلم يقتلون به وورد لاصحابنا فتاوى تقتضي الخلاف اذا ذكره الذمي بالوجه الذي
كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم وسحنون بعد وحكى ابو المصعب الخلاف فيها عن اصحابه
المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم
اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا منعناه من اظهاره
فلم يزدنا ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا للعهد فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله
قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان ظننا بباطنه
حكم ظاهره وخلاف ما بدا منه الان فلم نقبل بعد رجوعه ولا استنمنا الى باطنه
اذ قد بدت سرائره وما ثبت عليه من الاحكام باقية عليه لم يسقطها شيء وقيل لا يسقط اسلام
الذمي الساب قتله لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق النقيصة
والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقطه عنه كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه
من قتل او قذف واذا كنا لا نقبل توبة المسلم فان لا نقبل توبة الكافر اولى قال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط
وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا صلى الله عليه وسلم من اهل الذمة او احدا من
الانبياء عليهم السلام قتل الا ان يسلم وقاله ابن القاسم في العتبية وعند محمد وابن سحنون وقال سحنون
واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك له توبة وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب
رسول الله صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وروي لنا عن مالك الا ان

يسلم الكافر. وقد روى ابن وهب عن ابن عمر رضي الله عنه أن راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر
فهلا قتلتموه. وروى عيسى عن ابن القاسم في ذمي قال إن محمدا لم يرسل إلينا إنما أرسل إليكم وإنما نبينا موسى
أو عيسى ونحو هذا لا شيء عليهم لأن الله أقرهم على مثله. وأما إن سبه فقال ليس بنبي أو لم يرسل أو لم
ينزل عليه قرآن وإنما هو شيء تقوله ونحو هذا فيقتل. قال ابن القاسم وإذا قال النصراني ديننا خير من دينكم
إنما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح أو سمع المؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله فقال كذلك
يعطيكم الله ففي هذا الأدب الموجع والسجن الطويل. قال وأما إن شتم النبي صلى الله عليه وسلم شتما
يعرف فإنه يقتل إلا أن يسلم. قاله مالك غير مرة ولم يقل يستتاب. قال ابن القاسم ومحمل قوله عندي إن أسلم
طائعا. وقال ابن سحنون في سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي يقول للمؤذن إذا تشهد كذبت يعاقب
العقوبة الموجعة مع السجن الطويل. وفي النوادر من رواية سحنون عنه من شتم الأنبياء من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي كفروا به ضربت عنقه إلا أن يسلم. وقال محمد بن سحنون فإن قيل لم قتلته في سب
النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه سبه وتكذيبه قيل لأنا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا وأخذ
أموالنا فإذا قتل واحدا منا قتلناه وإن كان من دينه استحلاله فكذلك إظهاره لسب نبينا صلى الله عليه وسلم
قال سحنون كما لو بذل لنا أهل الحرب الجزية على إقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في قول قائل كذلك ينتقض
عهد من سب منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الإسلام من سبه من القتل كذلك لا تحصنه الذمة.
قال القاضي أبو الفضل رحمه الله ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن أبيه مخالف لقول ابن القاسم
فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتأمله ويدل على أنه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك ما حكاه
أبو المصعب الزهري قال أتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي فيه فضربته
حتى قتلته أو عاش يوما وليلة وأمرت من جر برجله وطرح على مزبلة فأكلته الكلاب. وسئل
أبو المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا فقال يقتل. وقال ابن القاسم سألنا مالكا عن نصراني بمصر
شهد عليه أنه قال مسكين محمد يخبركم أنه في الجنة فهو الآن في الجنة ماله لم ينفع نفسه إذ كانت
الكلاب تأكل ساقيه لو قتلوه استراح منه الناس. قال مالك أرى أن تضرب عنقه. قال ولقد كدت

ألا أتكلم فيها بشيء ثم رأيت أنه لا يسعني الصمت. قال ابن كنانة في المبسوطة من شتم النبي صلى الله
عليه وسلم من اليهود والنصارى فأرى للإمام أن يحرقه بالنار وإن شاء قتله ثم حرق جثته وإن شاء أحرقه
بالنار حيا إذا تهافتوا في سبه. ولقد كتب إلى مالك من مصر وذكر مسألة ابن القاسم المتقدمة قال
فأمرني مالك فكتبت إليه بأن يقتل وأن تضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا أبا عبد الله وأكتب ثم
يحرق بالنار فقال إنه لحقيق بذلك وما أولاه به فكتبته بيدي بين يديه فما أنكره ولا عابه ونفذت الصحيفة
بذلك فقتل وحرق. وأفتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف أصحابنا الأندلسيين بقتل نصرانية
استهلت بنفي الربوبية وبنوة عيسى لله وتكذيب محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة وبقبول إسلامها
ودرء القتل عنها. قال غير واحد من المتأخرين منهم القابسي وابن الكاتب. وقال أبو القاسم بن الجلاب
في كتابه من سب الله ورسوله من مسلم أو كافر قتل ولا يستتاب. وحكى القاضي أبو محمد في الذمي
يسب روايتين في درء القتل عنه بإسلامه. وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا
يسقطه عن الذمي إسلامه وإنما يسقط عنه بإسلامه حدود الله فأما حد القذف فحق للعباد كان ذلك
لنبي أو غيره فأوجب على الذمي إذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم ثم أسلم حد القذف ولكن انظر ماذا
يجب عليه هل حد القذف في حق النبي صلى الله عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم على
غيره أم هل يسقط القتل بإسلامه ويحد ثمانين فتأمله. **فصل** في ميراث من قتل في سب النبي صلى الله
عليه وسلم وغسله والصلاة عليه. اختلف العلماء في ميراث من قتل بسبب النبي صلى الله عليه وسلم فذهب
سحنون إلى أنه لجماعة المسلمين من قبل أن شتم النبي صلى الله عليه وسلم كفر يشبه كفر الزنديق. وقال
أصبغ ميراثه لورثته من المسلمين إن كان مستسرا بذلك وإن كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين
ويقتل على كل حال ولا يستتاب. قال أبو الحسن القابسي إن قتل وهو منكر للشهادة عليه فالحكم
في ميراثه على ما أظهر من إقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث في شيء. وكذلك
لو أقر بالسب وأظهر التوبة لقتل إذ هو حده وحكمه في ميراثه وسائر أحكامه حكم الإسلام
ولو أقر بالسب وتمادى عليه وأبى التوبة منه فقتل على ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين

ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر عورته ويوارى كما يفعل بالكفار وقول الشيخ أبي الحسن في المجاهر
المتمادي بين لا يمكن الخلاف فيه لأنه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول أصبغ وكذلك في كتاب ابن سحنون
في الزنديق يتمادى على قوله ومثله لابن القاسم في العتبية ولجماعة من أصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن
أعلن كفره مثله قال ابن القاسم وحكمه حكم المرتد لا ترثه ورثته من المسلمين ولا من أهل الدين الذي ارتد إليه
ولا تجوز وصاياه ولا عتقه وقاله أصبغ قتل على ذلك أو مات عليه وقال أبو محمد بن أبي زيد وإنما يختلف في ميراث
الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا تقبل منه فأما المتمادي فلا خلاف أنه لا يورث وقال أبو محمد فيمن سب الله
تعالى ثم مات ولم تعدل عليه بينة أو لم تقبل أنه يصلى عليه وروى أصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب
فيمن كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلن دينا مما يفارق به الإسلام أن ميراثه للمسلمين ولا يرثه ورثته وقاله
ربيعة والشافعي وأبو ثور وابن أبي ليلى واختلف فيه عن أحمد وقال علي بن أبي طالب وابن مسعود وابن المسيب
والحسن والشعبي وعمر بن عبد العزيز والحكم والأوزاعي والليث وأبو حنيفة يرثه ورثته من المسلمين
وقيل ذلك فيما كسبه في الارتداد للمسلمين قال القاضي رحمه الله وتفصيل أبي الحسن في باقي جوابه
بين حسن وهو على رأي أصبغ وخلاف قول سحنون واختلافهما على قولي مالك في ميراث الزنديق فمرة ورثه
ورثته من المسلمين قامت عليه بذلك بينة فأنكرها أو اعترف بذلك وأظهر التوبة وقاله أصبغ ومحمد بن
مسلمة وغير واحد من أصحابه لأنه مظهر للإسلام بإنكاره أو توبته وحكمه حكم المنافقين الذين
كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى ابن نافع عنه في العتبية وفي كتاب محمد أن ميراثه
لجماعة المسلمين لأن ماله تبع لدمه وقال به أيضا جماعة من أصحابه وقاله أشهب والمغيرة وعبد الملك
ومحمد وسحنون وذهب ابن القاسم في العتبية إلى أنه إن اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث
وإن لم يقر حتى قتل أو مات ورث قال وكذلك كل من أسر كفرا فإنهم يتوارثون بوراثة الإسلام وسئل
أبو القاسم بن الكاتب عن النصراني يسب النبي صلى الله عليه وسلم فيقتل هل يرثه أهل دينه أم المسلمون
فأجاب بأنه للمسلمين ليس على جهة الميراث لأنه لا توارث بين أهل ملتين ولكن لأنه من فيئهم لنقضه
العهد هذا معنى قوله واختصاره والله الموفق للصواب

الباب الثالث في حكم من سب الله

تعالى وملائكته وأنبيائه وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه وصحبه قال القاضي أبو الفضل
رحمه الله لا خلاف أن ساب الله تعالى من المسلمين كافر حلال الدم واختلف في استتابته فقال ابن القاسم
في المبسوط وفي كتاب محمد بن سحنون ومحمد ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب إسحاق بن يحيى من سب الله
تعالى من المسلمين قتل ولم يستتب إلا أن يكون افتراء على الله بارتداده إلى دين دان به وأظهره فيستتاب
وإن لم يظهره لم يستتب وقال في المبسوطة مطرف وعبد الملك مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة
وابن أبي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى يستتاب وكذلك اليهودي والنصراني فإن تابوا قبل منهم
وإن لم يتوبوا قتلوا ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر عن
المذهب وأفتى أبو محمد بن أبي زيد فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله فقال إنما أردت أن ألعن الشيطان
فزل لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره وأما فيما بينه وبين الله فمعذور واختلف فقهاء قرطبة
في مسألة هارون بن حبيب أخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه
بشهادات منها أنه قال عند استقلاله من مرض أصابه لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت أبا بكر وعمر رضي الله عنهما
لم أستوجب هذا كله فأفتى إبراهيم بن حسين بن خالد بقتله وأن مضمن قوله تجوير لله تعالى والتظلم منه
والتعريض فيه كالتصريح وأفتى أخوه عبد الملك بن حبيب وإبراهيم بن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي
بطرح القتل عنه إلا أن القاضي رأى عليه التثقيل في الحبس والشدة في الأدب لاحتمال كلامه وصرفه
إلى التشكي فوجه من قال في ساب الله تعالى بالاستتابة أنه كفر وردة محضة لم يتعلق بها حق لغير الله فأشبه
قصد الكفر بغير سب الله تعالى وإظهار الانتقال إلى دين آخر من الأديان المخالفة للإسلام ووجه ترك
استتابته أنه لما ظهر منه ذلك بعد إظهار الإسلام قبل اتهمناه وظننا أن لسانه لم ينطق به إلا وهو معتقد
له إذ لا يتساهل في هذا أحد فحكم له بحكم الزنديق ولم تقبل توبته وإذا انتقل من دين إلى دين آخر وأظهر
السب بمعنى الارتداد فهذا قد أعلم أنه خلع ربقة الإسلام من عنقه بخلاف الأول المتمسك به وحكم هذا حكم
المرتد يستتاب على مشهور مذاهب أكثر العلماء وهو مذهب مالك وأصحابه على ما بيناه قبل وذكرنا الخلاف
في فصوله

فصل وأما من أضاف إلى الله تعالى ما لا يليق به ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر

ولكن على طريق التأويل والاجتهاد والخطأ المفضي إلى الهوى والبدعة من تشبيه أو نعت بجارحة
أو نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده واختلف قول مالك
وأصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم إذا تحيزوا فئة وأنهم يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا وإنما
اختلفوا في المنفرد منهم فأكثر قول مالك وأصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم
وإطالة سجنهم حتى يظهر إقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر رضي الله عنه بصبيغ وهذا قول محمد بن
المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع أهل الأهواء وبه فسر قول مالك في الموطأ
وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده وعمه من قولهم في القدرية يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا وقال عيسى
عن ابن القاسم في أهل الأهواء من الإباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة من أهل البدع والتحريف
لكتاب الله تعالى يستتابون أظهروا ذلك أو أسروه فإن تابوا وإلا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله
أيضا ابن القاسم في كتاب محمد في أهل القدر وغيرهم قال واستتابتهم أن يقال لهم اتركوا ما أنتم عليه
ومثله له في المبسوط في الإباضية والقدرية وسائر أهل البدع قال وهم مسلمون وإنما قتلوا لرأيهم السوء
قال وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال ابن القاسم من قال إن الله لم يكلم موسى تكليما استتيب
فإن تاب وإلا قتل وابن حبيب وغيره من أصحابنا يرى تكفيرهم وتكفير أمثالهم من الخوارج والقدرية
والمرجئة وقد روي أيضا عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام أنه كافر واختلفت الروايات عن مالك
فأطلق في رواية الشاميين أبي مسهر ومروان بن محمد الطاطري الكفر عليهم وقد شوور في زواج القدري
فقال لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم وروي عنه أيضا أهل الأهواء كلهم
كفار وقال من وصف شيئا من ذات الله تعالى وأشار إلى شيء من جسده بيد أو سمع أو بصر قطع ذلك
منه لأنه شبه الله تعالى بنفسه وقال فيمن قال القرآن مخلوق كافر فاقتلوه وقال أيضا في رواية
ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب وفي رواية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا تقبل
توبته قال القاضي أبو عبد الله البرنكاني والقاضي أبو عبد الله التستري من أئمة العراقيين من أصحابنا
جوابه مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف قوله في إعادة الصلاة خلفهم

خلفهم

وحكى ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدرية وأكثر أقوال السلف تكفيرهم وممن قال به الليث
وابن عيينة وابن لهيعة وروي عنهم ذلك فيمن قال بخلق القرآن وقاله ابن المبارك والأودي ووكيع
وحفص بن غياث وأبو إسحاق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في آخرين وهو من قول أكثر المحدثين
والفقهاء والمتكلمين فيهم وفي الخوارج والقدرية وأهل الأهواء المضلة وأصحاب البدع المتأولين
وهو قول أحمد بن حنبل وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة في هذه الأصول وممن روي عنه
معنى القول الآخر بترك تكفيرهم علي بن أبي طالب وابن عمر والحسن البصري وهو رأي جماعة من الفقهاء
والنظار والمتكلمين واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة أهل حروراء ومن عرف
بالقدر ممن مات منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري أحكام الإسلام عليهم قال إسماعيل القاضي
وإنما قال مالك في القدرية وسائر أهل البدع يستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا لأنه من الفساد في
الأرض كما قال في المحارب إن رأى الإمام قتله وإن لم يقتل قتله وفساد المحارب إنما هو في
الأموال ومصالح الدنيا وإن كان قد يدخل أيضا في أمر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد أهل البدع
معظمه على الدين وقد يدخل في أمر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة والله تعالى الموفق
للصواب فصل في تحقيق القول في إكفار المتأولين قد ذكرنا مذاهب السلف في إكفار
أصحاب البدع والأهواء المتأولين ممن قال قولا يؤديه مساقه إلى كفر هو إذا وقف عليه لا يقول
بما يؤديه قوله إليه وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك فمنهم من صوب القول بالتكفير
الذي قال به الجمهور من السلف ومنهم من أباه ولم ير إخراجهم من سواد المؤمنين وهو قول أكثر
الفقهاء والمتكلمين وقال هم فساق عصاة ضلال ونورثهم من المسلمين ونحكم لهم بأحكامهم
ولهذا قال سحنون لا إعادة على من صلى خلفهم في وقت ولا غيره قال وهو قول جميع أصحاب مالك
المغيرة وابن كنانة وأشهب قال لأنه مسلم وذنبه لم يخرجه من الإسلام واضطرب الآخرون
في ذلك ووقفوا عن القول بالتكفير أو ضده واختلاف قول مالك في ذلك وتوقفه عن إعادة
الصلاة خلفهم منه وإلى نحو من هذا ذهب القاضي أبو بكر إمام أهل التحقيق والحق وقال إنها

من المعوصات اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما قالوا قولا يودي اليه واضطرب قوله في المسئلة
على نحو اضطراب قول امامه ملك بن انس حتى قال في بعض كلامه انهم على راي من حكم بتكفيرهم بالتاويل لا تحل
مناكحتهم ولا اكل ذبايحهم ولا الصلاة على ميتهم ويختلف في موارثتهم على الخلاف في ميراث المرتد
وقال ايضا نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين ولا نورثهم من المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمال
وكذلك اضطرب فيه قول شيخه ابي الحسن الاشعري واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة
وهو الجهل بوجود الباري وقال مرة من اعتقد ان الله جسم او المسيح او بعض من يلقاه في الطرق
فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب ابو المعالي رحمه الله في اجوبته لابي محمد عبد الحق
وكان سأله عن المسئلة فاعتذر له بان الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر في الملة او اخراج مسلم
عنها عظيم في الدين وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير في اهل التاويل فان استباحة
دماء المصلين الموحدين خطر والخطا في ترك الف كافر اهون من الخطا في سفك محجمة من دم مسلم واحد
وقد قال عليه السلام فاذا قالوها يعني الشهادة فقد عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم
على الله فالعصمة مقطوع بها مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع من شرع
ولا قياس عليه والفاظ الاحاديث الواردة في الباب معرضة للتاويل فما جاء منها في التصريح بكفر
القدرية وقوله لا سهم لهم في الاسلام وتسميته الرافضة بالشرك واطلاق اللعنة عليهم
وكذلك في الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء فقد يحتج بها من يقول بالتكفير وقد يجيب الاخر عنها
بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ في الحديث في غير الكفرة على طريق التغليظ وكفر دون كفر واشراك
دون اشراك وقد ورد مثله في الريا وعقوق الوالدين والزوج والزور وغير معصية واذا كان محتملا للامرين
فلا يقطع على احدهما الا بدليل قاطع وقوله في الخوارج هم من شر البرية وهذه صفة الكفار وقال
شر قتيل تحت اديم السماء طوبى لمن قتلهم او قتلوه وقال فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر
هذا الكفر لا سيما مع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الاخر انما ذلك من قتلهم
لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليله من الحديث نفسه يقتلون اهل الاسلام فقتلهم ها هنا

حد

حد لا كفر وذكر عاد تشبيه للقتل وحله لا للمقتول وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه
بقول خالد في الحديث دعني اضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلي فان احتجوا بقوله عليه السلام
يقرون القران لا يجاوز حناجرهم فاخبر ان الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين
مروق السهم من الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم الى فوقه وبقوله سبق الفرث والدم
يدل على انه لم يتعلق من الاسلام بشي اجابه الاخر ان معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم
ولا تنشرح له صدورهم ولا تعمل به جوارحهم وعارضهم بقوله ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي
التشكك في حاله وان احتجوا بحديث ابي سعيد الخدري في هذا الحديث سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول يخرج في هذه الامة ولم يقل من هذه الامة وتحرير ابي سعيد الرواية واتقانه
اللفظة اجابهم الاخر بان العبارة بفي لا تقتضي تصريحا بكونهم من غير الامة بخلاف لفظة من
التي هي للتبعيض وكونهم من الامة مع انه قد روي عن ابي ذر وعلي وابي امامة وغيرهم في هذا الحديث
يخرج من امتي وسيكون في امتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل على اخراجهم من الامة بفي ولا
ادخالهم فيها بمن لكن ابا سعيد رحمه الله اجاد ما شاء في التنبيه الذي نبه عليه وهذا مما
يدل على سعة فقه الصحابة وتحقيقهم للمعاني واستنباطها من الالفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم
في الرواية هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات كثيرة
مضطربة سخيفة اقربها قول جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر بالله الجهل به لا يكفر احد بغير ذلك
وقال ابو الهذيل ان كل متاول كان تاويله تشبيها لله بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره
فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر وقال بعض المتكلمين ان كان ممن
عرف الاصل وبنى عليه وكان فيما هو من اوصاف الله فهو كافر وان لم يكن من هذا الباب ففاسق الا ان
يكون ممن لا يعرف الاصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبيد الله بن الحسن العنبري الى تصويب اقوال المجتهدين
في اصول الدين فيما كان عرضة للتاويل وفارق في ذلك فرق الامة اذ اجمعوا سواه على ان الحق
في اصول الدين في واحد والمخطئ فيه اثم عاص فاسق وانما الخلاف في تكفيره وقد حكى القاضي الباقلاني

مثل قول عبيد الله بن داود الاصبهاني وقد حكى قوم عنهما انهما قالا ذلك في كل من علم الله من حاله
استفراغ الوسع في طلب الحق من اهل ملتنا او من غيرهم وقال نحو هذا القول الجاحظ وثمامة في ان كثيرا
من العامة والنساء والبله ومقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله تعالى عليهم اذ لم تكن لهم
طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالي قريبا من هذا المنحا في كتاب التفرقة وقائل هذا كله
كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر احدا من النصارى واليهود وكل من فارق دين المسلمين او وقف في تكفيرهم
او شك قال القاضي ابو بكر لان التوقيف والاجماع اتفقا على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص
والتوقيف او شك فيه والتكذيب والشك فيه لا يقع الا من كافر **فصل في بيان ما هو من**
المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر **اعلم** ان تحقيق هذا الفصل وكشف اللبس
فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل البين في هذا ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية او الوحدانية
او عبادة احد غير الله او مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية وسائر فرق اصحاب الاثنين من الديصانية
والمانوية واشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا بعبادة الاوثان او الملائكة او
الشياطين او الشمس او النجوم او النار او احد غير الله من مشركي العرب واهل الهند والصين والسودان
وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة واصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة
من الروافض وكذلك من اعترف بالاهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير حي او غير قديم
او انه محدث او مصور او ادعى له ولدا او صاحبة او والدا او انه متولد من شيء او كائن عنه او ان معه
في الازل شيئا قديما غيره او ان ثم صانعا للعالم سواه او مدبرا غيره فذلك كله كفر باجماع
المسلمين كقول الالهيين من الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله
والعروج اليه ومكالمته او حلوله في احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة والباطنية والنصارى
والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم او بقائه او شك في ذلك على مذهب بعض
الفلاسفة والدهرية او قال بتناسخ الارواح وانتقالها ابد الاباد في الاشخاص وتعذيبها او تنعيمها
فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك من اعترف بالالاهية والوحدانية ولكنه جحد النبوة

من اصلها عموما او نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم خصوصا او واحد من الانبياء الذين نص الله عليهم بعد
علمه بذلك فهو كافر بلا ريب كالبراهمة ومعظم اليهودية والاروسية من النصارى والغرابية
والقرامطة والاسماعيلية والعنبرية من الروافض وان كان بعض هؤلاء قد اشركوا في كفر اخر
مع من قبلهم وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة نبينا عليه السلام ولكن جوز على
الانبياء الكذب في ما اتوا به ادعى في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع كالمتفلسفين
وبعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة فان هؤلاء زعموا ان ظواهر الشرع
واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار عما كان ويكون من امور الاخرة والحشر والقيامة والجنة والنار
ليس منها شيء على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة لهم
اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم فمضمن مقالاتهم ابطال الشرع وتعطيل الاوامر والنواهي
وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك من اضاف الى نبينا صلى الله عليه وسلم تعمد الكذب
فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه او سبه او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبياء
او ازرى عليهم او اذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر باجماع وكذلك نكفر من ذهب مذهب
بعض القدماء في ان في كل جنس من الحيوان نذيرا ونبيا من القردة والخنازير والدواب والدود
ونحو ذلك ويحتج بقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك يؤدي الى ان توصف انبياء هذه
الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على هذا المنصب المنيف ما فيه مع اجماع المسلمين
على خلافه وتكذيب قائله وكذلك نكفر من اعترف من الاصول الصحيحة بما تقدم ونبوة
نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن قال كان اسود او مات قبل ان يلتحي او ليس الذي كان بمكة
والحجاز او ليس بقرشي لان وصفه صلى الله عليه وسلم بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به
وكذلك من ادعى نبوة احد مع نبينا صلى الله عليه وسلم او ادعى نبوة او بعده كالعيسوية من
اليهود القائلين بتخصيص رسالته الى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر الرسل وكاكثر الروافض
القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم وبعده وكذلك كل امام عند هؤلاء

من الروافض الزاعمين ان عليا كان المبعوث [illegible]

يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيغية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيغ وبيان وأشباه
هؤلاء أو من ادعى النبوة لنفسه أو جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة
وغلاة المتصوفة وكذلك من ادعى منهم أنه يوحى إليه وإن لم يدع النبوة أو أنه يصعد إلى السماء
ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم كفار مكذبين للنبي صلى الله عليه وسلم
فيما جاء به لأنه أخبر عليه السلام أنه خاتم النبيين ولا نبي بعده وأخبر عن الله أنه خاتم النبيين
وأنه أرسل كافة للناس وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره وأن مفهومه المراد به دون
تأويل ولا تخصيص فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعا إجماعا وسمعا وكذلك وقع الإجماع
على تكفير كل من دافع نص الكتاب أو خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على حمله على ظاهره
كتكفير الخوارج بإبطال الرجم ولهذا نكفر من دان بغير ملة الإسلام من الملل أو وقف فيهم أو شك
أو صحح مذهبهم وإن أظهر مع ذلك الإسلام واعتقده واعتقد إبطال كل مذهب سواه فهو كافر بإظهاره
ما أظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قال قولا يتوصل به إلى تضليل الأمة أو تكفير
جميع الصحابة كقول الكميلية من الرافضة بتكفير جميع الأمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم إذ لم تقدم
عليا وكفرت عليا إذ لم يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لأنهم أبطلوا الشريعة
بأسرها إذ قد انقطع نقلها ونقل القرآن إذ ناقلوه كفرة على زعمهم وإلى هذا والله أعلم أشار مالك
في أحد قوليه بقتل من كفر الصحابة ثم كفروا من وجه آخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى
قولهم وزعمهم أنه عهد إلى علي رضي الله عنه وهو يعلم أنه يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم وصلى الله
على رسوله محمد وآله وكذلك نكفر بكل فعل أجمع المسلمون على أنه لا يصدر إلا من كافر وإن كان صاحبه
مصرحا بالإسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود للصنم أو للشمس أو للقمر أو الصليب أو النار أو السعي
إلى الكنائس أو البيع مع أهلها والتزيي بزيهم من شد الزنانير وفحص الرؤوس فقد أجمع المسلمون أن
هذا لا يوجد إلا من كافر وأن هذه الأفعال علامة على الكفر وإن صرح فاعلها بالإسلام وكذلك أجمع
المسلمون على تكفير كل من استحل القتل أو شرب الخمر أو الزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كأصحاب

الإباحة من القرامطة وبعض غلاة المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب أو أنكر
قاعدة من قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم ووقع الإجماع
المتصل عليه كمن أنكر وجوب الخمس الصلوات أو عدد ركعاتها وسجداتها ويقول إنما أوجب الله علينا
في كتابه الصلاة على الجملة وكونها خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا أعلمه إذ لم يرد فيه نص
جلي والخبر به عن الرسول صلى الله عليه وسلم خبر واحد وكذلك أجمع المسلمون على تكفير من قال من الخوارج
إن الصلاة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم إن الفرائض أسماء رجال أمروا بولايتهم والخبائث
والمحارم أسماء رجال أمروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة إن العبادة وطول المجاهدة
إذا صفت نفوسهم أفضت بهم إلى إسقاطها وإباحة كل شيء لهم ورفع عهد الشرائع عنهم وكذلك
إن أنكر منكر مكة أو البيت أو المسجد الحرام أو صفة الحج وقال الحج واجب في القرآن واستقبال القبلة
كذلك ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وأن تلك البقعة هي مكة والبيت والمسجد الحرام
لا أدري هل هي تلك أو غيرها ولعل الناقلين أن النبي صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا
ووهموا فهذا ومثله لا مرية في تكفيره إن كان ممن يظن به علم ذلك أو ممن خالط المسلمين وامتدت
صحبته لهم إلا أن يكون حديث عهد بالإسلام فيقال له سبيلك أن تسأل عن هذا الذي لم تعلمه
بعد كافة المسلمين فلا تجد بينهم خلافا كافة عن كافة إلى معاصر الرسول صلى الله عليه وسلم أن هذه
الأمور كما قيل لك وأن تلك البقعة هي مكة والبيت الذي فيها هو الكعبة والقبلة التي صلى
لها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وحجوا إليها وطافوا بها وأن تلك الأفعال هي صفات عبادة
الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون وأن صفات الصلوات المذكورة هي التي
فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح مراد الله بذلك وأبان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا
ترتاب بذلك بعد والمرتاب في ذلك والمنكر له بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق ولا يعذر
بقوله لا أدري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب إذ لا يمكن أنه لا يدري وأيضا
فإنه إذا جوز على جميع الأمة الوهم والغلط فيما نقلوه من ذلك وأجمعوا أنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم

وفعله وتفسيره ما اراد الله به ادخل الاسترابة في جميع الشريعة اذ هم الناقلون لها وللقران وانحلت عرى
الدين كرة ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر القران او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه كفعل
الباطنية والاسماعيلية او زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة كقول
هشام الفوطي ومعمر الضيمري انه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم
ولا محالة في كفرهما بذلك القول وكذلك نكفرهما بانكارهما ان يكون في سائر معجزات الرسول عليه
السلام حجة له او في خلق السماوات والارض دليل على الله سبحانه لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر
عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القران به وكذلك من انكر شيئا مما نص فيه بعد
علمه انه من القران الذي في ايدي الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج
لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم على ناقله فنكفره بالطريقين المتقدمين
لانه مكذب للقران مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه وكذلك من انكر الجنة او النار
او البعث والحساب والقيامة فهو كافر باجماع للنص عليه واجماع الامة على صحة نقله متواترا وكذلك
من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى
غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة
وزعم ان معنى القيامة الموت او انتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة — او فناء محض
وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم ان الائمة افضل من الانبياء فاما من انكر ما عرف
بالتواتر من الاخبار والسير والبلاد التي لا ترجع الى ابطال شريعة ولا تفضي الى انكار قاعدة من الدين
كانكار غزوة تبوك او مؤتة او وجود ابي بكر وعمر او قتل عثمان وخلافة علي رضي الله عنهم مما علم
بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع العلم به اذ ليس
في ذلك اكثر من المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه فاما ان ضعف ذلك
من اجل تهمة الناقلين ووهم المسلمين اجمع فنكفره بذلك لسريانه الى ابطال الشريعة فاما من انكر الاجماع
المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فاكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب

قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم
قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى الاية وقوله عليه الصلاة والسلام من خالف
الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع
وذهب اخرون الى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقله العلماء وذهب
اخرون الى التوقف في تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام بانكاره الاجماع لانه
بقوله هذا مخالف اجماع السلف فاحتجاجهم به خارق للاجماع قال القاضي ابو بكر القول عندي ان الكفر
بالله هو الجهل بوجوده والايمان بالله هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقول ولا راي الا ان يكون
هو الجهل بالله فان عصى بقول او فعل نص الله ورسوله او اجمع المسلمون انه لا يوجد الا من كافر او يقوم
دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله لا يكون الا باحد
ثلاثة امور احدها الجهل بالله تعالى والثاني ان ياتي فعلا او يقول قولا يخبر الله ورسوله او يجمع المسلمون
ان ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم والمشي الى الكنائس بالتزام الزنانير من اصحابها
في اعيادهم او يكون ذلك القول او الفعل لا يمكن معه العلم بالله قال فهذان الضربان وان لم يكونا
جهلا بالله فهما علم ان الذي فعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما من نفى صفة من صفات الله
تعالى الذاتية او جحدها مستبصرا في ذلك كقوله ليس بعالم ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه
ذلك من صفات الكمال الواجبة له تعالى فقد نص ائمتنا على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف
بها واعراه عنها وعلى هذا حمل قول سحنون من قال ليس لله تعالى كلام فهو كافر وهو لا يكفر المتاولين
كما قدمناه فاما من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف العلماء ها هنا فكفره بعضهم وحكي
ذلك عن ابي جعفر الطبري وغيره وقال به ابو الحسن الاشعري مرة وذهبت طائفة الى ان هذا لا يخرجه
عن اسم الايمان واليه رجع الاشعري قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا
وانما يكفر من اعتقد ان مقاله حق واحتج هؤلاء بحديث السوداء وان النبي صلى الله عليه وسلم انما طلب
منها التوحيد لا غير وبحديث القائل لئن قدر الله علي وفي رواية فيه لعلي اضل الله ثم قال فغفر الله له قالوا

ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات وكوشفوا عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الاخر عن هذا
الحديث بوجوه منها ان قدر بمعنى قدّر ولا يكون شكه في القدرة على احيائه بل في نفس البعث الذي لا يعلم
الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون الشك فيه حينئذ كفرا فاما ما لم يرد به
شرع فهو من مجوزات العقول او يكون قدر بمعنى ضيّق ويكون ما فعله بنفسه ازراء عليها وغضبا لعصيانها
وقيل انما قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه ولا ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية التي
اذهلت لبه فلم يؤاخذ به وقيل كان هذا في زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد وقيل بل هذا من
مجاز كلام العرب الذي صورته الشك ومعناه التحقيق وهو يسمى تجاهل العارف وله امثلة في كلامهم
كقوله تعالى لعله يتذكر او يخشى وقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين فاما من اثبت الوصف
ونفى الصفة فقال اقول عالم ولكن لا علم له ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا في سائر الصفات
على مذهب المعتزلة فمن قال بالمآل لما يؤديه اليه قوله ويسوقه اليه مذهبه كفره لانه اذا نفى العلم
انتفى وصف عالم اذ لا يوصف بعالم الا من له علم فكانهم صرحوا عنده بما ادى اليه قولهم وهكذا عند هذا
سائر فرق اهل التاويل من المشبهة والقدرية وغيرهم ومن لم ير اخذهم بمآل قولهم ولا الزمهم
موجب مذهبهم لم ير اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي من القول
بالمآل الذي الزمتموه لنا ونعتقد نحن وانتم انه كفر بل نقول ان قولنا لا يؤول اليه على ما اصلناه فعلى هذين
الماخذين اختلف الناس في اكفار اهل التاويل واذا فهمته اتضح لك الموجب لاختلاف الناس في ذلك
والصواب ترك اكفارهم والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران واجراء حكم الاسلام عليهم في قصاصهم
ووراثاتهم ومناكحتهم ودياتهم والصلاة عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم لكنهم
يغلظ عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر
الاول من القدر ورأي الخوارج والاعتزال فما ازاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم
وادبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر احوالهم لانهم فساق ضلال عصاة اصحاب كبائر عند المحققين
واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن رأى غير ذلك والله الموفق للصواب قال القاضي ابو بكر

فيهم فقد كان نشأ على زمن الصحابة وبعدهم في هذه الاقوال

واما

واما مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق الافعال وبقاء الاعراض والتولد وشبهها من الدقائق
فالمنع في اكفار المتاولين فيها اوضح اذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون على
اكفار من جهل شيئا منها وقد قدمنا في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما اغنى عن اعادته
بحول الله فصل هذا حكم المسلم الساب لله تعالى واما الذمي فروي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
في ذمي تناول من حرمة الله تعالى غير ما هو عليه من دينه وحاج فيه فخرج ابن عمر عليه بالسيف فطلبه
فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوطة وابن القاسم في المبسوط وكتاب محمد وابن سحنون
من شتم الله تعالى من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر قتل ولم يستتب وقال ابن القاسم
الا ان يسلم قال في المبسوطة طوعا قال اصبغ لان الوجه الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من
دعوى الصاحبة والشريك والولد تعالى الله عن ذلك واما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه
فهو نقض للعهد قال ابن القاسم في كتاب محمد من شتم من غير اهل الاديان الله تعالى بغير الوجه الذي ذكر
في كتابه قتل الا ان يسلم وقال المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل حتى
يستتاب مسلما كان او كافرا فان تاب والا قتل وقال مطرف وعبد الملك مثل قول مالك وقال ابو محمد
ابن ابي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل
وذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الاندلسيين في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه
الذي كفرت به لله تعالى وللنبي صلى الله عليه وسلم تسليما واجماعهم على ذلك وهو نحو القول الاخر في من
سب النبي صلى الله عليه وسلم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك بين سب الله تعالى وسب نبيه لانا
عاهدناهم على ان لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم وان لا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه
فهو نقض لعهدهم واختلف العلماء في الذمي اذا تزندق فقال مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ
لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل لانه دين لا يقر عليه احد ولا يؤخذ
عليه جزية قال ابن حبيب وما اعلم من قاله غيره فصل هذا حكم من صرح بسبه واضافة ما
لا يليق بجلاله والاهيته فاما مفتري الكذب عليه تبارك وتعالى بادعاء الالهية او الرسالة

أو النافي أن يكون الله خالقه أو ربه أو قال ليس لي رب أو المتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره أو غمرة جنونه
فلا خلاف في تكفير قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه
إنابته وتنجيه من القتل فيئته لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب ليكون ذلك
زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره أو جهله إلا من تكرر ذلك منه وعرف استهانته بما أتى به فهو
دليل على سوء طويته وكذب توبته وصار كالزنديق الذي لا نأمن باطنه ولا نقبل رجوعه وحكم السكران
في ذلك حكم الصاحي. وأما المجنون والمعتوه فما علم أنه قاله من ذلك في حال غمرته وذهاب ميزه بالكلية
فلا نظر فيه وما فعله منه في حال ميزه وإن لم يكن معه عقله وسقط تكليفه أدب على ذلك لينزجر
عنه كما يؤدب على قبائح الأفعال ويوالى أدبه على ذلك حتى ينكف عنه كما تؤدب البهيمة على
سوء الخلق حتى تراض وقد حرق علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من ادعى له الإلهية وقد قتل عبد الملك
ابن مروان الحارث المتنبي وصلبه وفعل ذلك غير واحد من الخلفاء والملوك بأشباههم وأجمع علماء وقتهم
على صواب فعلهم والمخالف في ذلك من كفرهم كافر وأجمع فقهاء بغداد أيام المقتدر من المالكية وقاضي
قضاتها أبو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الإلهية والقول بالحلول وقوله أنا الحق مع تمسكه
في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته وكذلك حكموا في ابن أبي العزاقر وكان على نحو مذهب الحلاج
بعد هذا أيام الراضي وقاضي قضاة بغداد يومئذ أبو الحسين بن أبي عمر المالكي وقال ابن عبد الحكم في
المبسوط من تنبأ قتل وقال أبو حنيفة وأصحابه من جحد أن الله خالقه أو ربه أو قال ليس لي رب فهو
مرتد وقال ابن القاسم في كتاب ابن حبيب ومحمد في العتبية فيمن تنبأ يستتاب أسر ذلك أو أعلنه
وهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره وقاله أشهب في يهودي تنبأ أو ادعى أنه رسول إلينا إن كان
معلنا بذلك استتيب فإن تاب وإلا قتل وقال أبو محمد بن أبي زيد فيمن لعن بارئه وادعى أن لسانه
زل وإنما أراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا على القول الآخر في أنه لا تقبل توبته وقال
أبو الحسن القابسي في سكران قال أنا الله إن تاب أدب وإن عاد إلى مثل قوله طولب مطالبة الزنديق
لأن هذا كفر المتلاعبين. فصل وأما من تكلم من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه

وأهمل لسانه بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه أو تمثل في بعض الأشياء ببعض
ما عظم الله من ملكوته أو نزع من الكلام لمخلوق بما لا يليق إلا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف
ولا عامد للإلحاد فإن تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه وجهله
بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك إن كان ما أورده يوجب الاستخفاف والتنقص
لربه وقد أفتى ابن حبيب وأصبغ بن خليل من فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن أخي عجب وكان خرج
يوما فأخذه المطر فقال بدأ الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها أبو زيد صاحب الثمانية وعبد الأعلى
ابن وهب وأبان بن عيسى قد توقفوا في سفك دمه وأشاروا إلى أنه عبث من القول يكفي فيه الأدب
وأفتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي أيشتم ربا عبدناه ثم لا ننتصر
له إنا إذا لعبيد سوء وما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس إلى الأمير بها عبد الرحمن بن الحكم الأموي
وكانت عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه وأعلم باختلاف الفقهاء فخرج الإذن من عنده بالأخذ بقول
ابن حبيب وصاحبه وأمر بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة
في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم. وأما من صدرت عنه من ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة
ما لم يكن تنقصا وإزراء فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال قائلها
وشرح سببها ومقارنها وقد سئل ابن القاسم رحمه الله عن رجل نادى رجلا باسمه فأجابه لبيك اللهم
قال إن كان جاهلا أو قاله على وجه سفه فلا شيء عليه. قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى وشرح
قوله أنه لا قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد إنزاله منزلة ربه
لكفر هذا مقتضى قوله وقد أسرف كثير من سخفاء الشعراء ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا
عظيم هذه الحرمة فأتوا من ذلك بما ننزه كتابنا ولساننا وأقلامنا عن ذكره ولولا أنا قصدنا نص مسائل
حكيناها ما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا مما حكيناه في هذه الفصول وأما ما ورد في هذا
من أهل الجهالة وأغاليط اللسان كقول بعض الأعراب

رب العباد ما لنا وما لكا ... قد كنت تسقينا فما بدا لكا ... أنزل علينا الغيث لا أبا لكا

في اشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يتفقه تغافلا تاديب القتل بعقوبة والعلم في هذا الباب وقل ما يصدر الا
من جاهل يجب تعليمه وزجره والاغلاظ له عن العودة الى مثله قال ابو سليمان الخطابي وهذا من تهور من
القول والله تعالى منزه عن هذه الامور وقد روينا عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم احدكم ربه ان يذكر اسمه
في كل شيء حتى يقول اخزى الله الكلب وفعل به كذا وكذا قال وكان بعض من ادركنا من مشايخنا قل
ما يذكر اسم الله تعالى الا فيما يتصل بطاعته وكان يقول للانسان جزيت خيرا وقل ما يقول جزاك الله
اعظاما لاسمه تعالى ان يمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة ان الامام ابا بكر الشاشي كان يعيب على اهل
الكلام كثرة خوضهم فيه تعالى وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه تعالى ويقول هولاء يتمندلون بالله عز وجل
وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه التي فصلناها والموفق الله

فصل وحكم من سب سائر انبياء الله تعالى وملائكته او استخف بهم او كذبهم فيما اتوا به
او انكرهم او جحدهم حكم نبينا عليه الصلاة والسلام على مساق ما قدمناه قال الله تعالى ان الذين يكفرون
بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نومن ببعض ونكفر ببعض الاية وقال قولوا
امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم الاية الى قوله لا نفرق بين احد منهم وقال كل امن بالله وملائكته
وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله قال مالك في كتاب ابن حبيب ومحمد وقال ابن القاسم وابن الماجشون
وابن عبد الحكم واصبغ وسحنون فيمن شتم الانبياء او احدا منهم او تنقصه قتل ولم يستتب ومن
سبهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم وروى سحنون عن ابن القاسم من سب الانبياء من اليهود والنصارى
بغير الوجه الذي به كفر ضربت عنقه الا ان يسلم وقد تقدم الخلاف في هذا الاصل وقال القاضي بقرطبة
سعيد بن سليمان في بعض اجوبته من سب الله وملائكته قتل وقال سحنون من شتم ملكا من الملائكة
فعليه القتل وفي النوادر عن مالك فيمن قال ان جبريل اخطا بالوحي وانما كان النبي علي بن ابي طالب
استتيب فان تاب والا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض وسموا بذلك لقولهم
كان النبي اشبه بعلي من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة واصحابه على اصلهم من كذب باحد من الانبياء
او تنقص احدا منهم او برئ منه فهو مرتد وقال ابو الحسن القابسي في الذي قال لاخر كانه وجه مالك

الغضبان

الغضبان لعبوس انه قصد ذم الملك قتل قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وهذا كله فيمن تكلم فيهم
بما قلناه على جملة الملائكة والنبيين او على معين ممن حققنا كونه من الملائكة والنبيين ممن نص الله
تعالى عليه في كتابه او حققنا علمه بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع كجبريل
وميكائيل ومالك وخزنة الجنة وجهنم والزبانية وحملة العرش المذكورين في القران من الملائكة
ومن سمي فيه من الانبياء وكعزرائيل واسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة المتفق
على قبول الخبر بهم فاما من لم تثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه من الملائكة او الانبياء
كهاروت وماروت في الملائكة والخضر ولقمان وذي القرنين ومريم واسية وخالد بن سنان المذكور
انه نبي اهل الرس وزرادشت الذي تدعي المجوس والمورخون نبوته فليس الحكم في سابهم والكافر بهم
كالحكم فيمن قدمناه اذ لم تثبت لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم واذاهم ويودب بقدر حال المقول
فيه لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم وان لم تثبت له نبوة واما انكار نبوتهم او انكار كون
الاخر من الملائكة فان كان المتكلم في ذلك من اهل العلم فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك وان كان
من عوام الناس زجر عن الخوض في مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا وقد كره السلف
الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لاهل العلم فكيف للعامة

فصل واعلم ان من استخف
بالقران او المصحف او بشيء منه او سبهما او جحده او حرفا منه او اية او كذب به او بشيء منه
او كذب بشيء مما صرح به فيه من حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه بذلك او
شك في شيء من ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى وانه لكتاب عزيز لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد رحمه الله
قال ثنا ابو علي ثنا ابن عبد البر ثنا ابن عبد المومن ثنا ابن داسة ثنا ابو داود ثنا احمد بن حنبل ثنا يزيد بن
هارون ثنا محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المراء في القران كفر تؤول
بمعنى الشك وبمعنى الجدال وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد اية من
كتاب الله من المسلمين فقد حل ضرب عنقه وكذلك ان جحد التوراة والانجيل وكتب الله المنزلة

او كفر بها او لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون ان القران المتلو في جميع اقطار الارض
المكتوب في المصحف بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان من اول الحمد لله رب العالمين الى اخر قل اعوذ برب الناس
انه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصدا
لذلك او بدله بحرف اخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الاجماع عليه واجمع على
انه ليس من القران عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا راى مالك قتل من سب عايشة رضي الله عنها بالفرية قتل
لانه خالف القران ومن خالف القران قتل اي لانه كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال ان الله تعالى لم يكلم موسى
تكليما قتل وقاله عبد الرحمن بن مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان ليستا من كتاب الله تضرب عنقه
الا ان يتوب وكذلك كل من كذب بحرف منه قال وكذلك ان شهد شاهد على من قال ان الله لم يكلم
موسى تكليما وشهد اخر عليه انه قال ان الله ما اتخذ ابراهيم خليلا لانهما اجتمعا على تكذيب النبي
صلى الله عليه وسلم وقال ابو عثمان بن الحداد جميع من ينتحل التوحيد متفقون على ان الجحد لحرف من التنزيل
كفر وكان ابو العالية اذا قرا عنده رجل لم يقل له ليس كما قرات ويقول اما انا فاقرا كذا فبلغ ذلك ابرهيم
فقال اراه سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله قال عبد الله بن مسعود من كفر باية من القران
فقد كفر به كله ومن كفر به فقد كفر بالله وقال اصبغ بن الفرج من كذب ببعض القران فقد كذب به كله ومن
كذب به فقد كفر به ومن كفر به فقد كفر بالله وسيل القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف له بالتورية
فقال الاخر لعن الله التوراة فشهد عليه بذلك شاهد ثم شهد عليه اخر انه سأله عن القضية فقال انما
لعنت توراة اليهود فقال ابو الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل والشاهد الثاني علق الامر بصفة
تحتمل التاويل اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان
على لعن التوراة مجردا لضاق التاويل وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ المقري احد ايمة
المقرين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراته واقرايه بشواذ من الحروف مما ليس في المصحف وعقدوا
عليه بالرجوع عنه والتوبة منه سجلا اشهد فيه بذلك على نفسه في مجلس الوزير ابي علي بن مقلة سنة
ثلاث وعشرين وثلاث مائة وكان فيمن افتى عليه بذلك ابو بكر الابهري وغيره وافتى ابو محمد بن ابي زيد

بالادب فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال اردت سوء الادب ولم ارد القران قال ابو محمد
واما من لعن المصحف فانه يقتل **فصل** وسب ال النبي صلى الله عليه وسلم واهل بيته وازواجه وذريته
واصحابه عليه الصلاة والسلام وتنقصهم حرام ملعون فاعله حدثنا القاضي الشهيد ابو علي
رحمه الله حدثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل العدل حدثنا ابو يعلى حدثنا ابو علي السنجي حدثنا ابن
محبوب حدثنا الترمذي حدثنا محمد بن يحيى حدثنا يعقوب بن ابرهيم حدثنا عبيدة بن ابي رايطة عن عبد الرحمن
ابن زياد عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله في اصحابي
الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم
ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله والملايكة والناس اجمعين لا يقبل
الله منه صرفا ولا عدلا وقال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فانه يجي قوم في اخر الزمان يسبون
اصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم فان مرضوا فلا تعودوهم وعنه
عليه السلام من سب اصحابي فاضربوه وقد اعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم يوذيه
واذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام فقال لا تؤذوني في اصحابي ومن اذاهم فقد اذاني وقال لا تؤذوني في عايشة وقال
في فاطمة بضعة مني يؤذيني ما اذاها وقد اختلف العلماء في هذا فمشهور مذهب مالك في ذلك
الاجتهاد والادب الموجع قال مالك رحمه الله من شتم النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم اصحابه ادب
وقال ايضا من شتم احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر او عمر او عثمان او معاوية او عمرو بن العاص
فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة الناس نكل نكالا شديدا
وقال ابن حبيب من غلا من الشيعة الى بغض عثمان والبراءة منه ادب ادبا شديدا
ومن زاد الى بغض ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فالعقوبة عليه اشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت
ولا يبلغ به القتل الا في سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
عليا او عثمان او غيرهما يوجع ضربا وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن سحنون من قال في ابي بكر وعمر وعثمن وعلي

رضوان الله عليهم انهم كانوا على الحق وعلي في قتال ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل
النكال الشديد وروي عن مالك من سب ابا بكر رضي الله عنه جلد ومن سب عائشة رضي الله عنها
قتل قيل له لم قال من رماها فقد خالف القرآن وقال ابن شعبان عنه لان الله تعالى يقول يعظكم
الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو الحسن الصقلي
ان القاضي ابا بكر بن الطيب قال ان الله تعالى اذا ذكر في القرآن ما نسبه اليه المشركون سبح
نفسه لنفسه كقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في آي كثيرة وذكر تعالى ما نسبه
المنافقون الى عائشة رضي الله عنها فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا
سبحانك سبح نفسه في تبرئتها من السوء كما سبح نفسه في تبرئته من السوء وهذا
يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة رضي الله عنها ومعنى هذا والله اعلم ان الله تعالى لما
عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها سبا لنبيه صلى الله عليه وسلم وقرن سب نبيه
واذاه باذاه تعالى وكان حكم مؤذيه تعالى القتل كان حكم مؤذي نبيه كذلك كما قدمناه
وشتم رجل عائشة بالكوفة فقدم الى موسى بن عيسى العباسي فقال من حضر هذا فقال
ابن ابي ليلى انا فجلده ثمانين وحلق راسه واسلمه في الحجامين وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
انه نذر قطع لسان عبيد الله بن عمر اذ شتم المقداد بن الاسود فكلم في ذلك فقال دعوني
اقطع لسانه حتى لا يشتم احدا بعد اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وروى ابو ذر الهروي
ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتي باعرابي يهجو الانصار فقال لولا ان له صحبة لكفيتكموه
قال مالك من انتقص احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق
قد قسم الله الفيء في ثلاثة اصناف فقال للفقراء المهاجرين الآية ثم قال والذين تبوءوا الدار
والايمان من قبلهم الآية وهؤلاء الانصار ثم قال والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر
لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين وفي
كتاب ابن شعبان من قال في واحد منهم انه ابن زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا

حدين حدا له وحدا لامه ولا اجعله كقاذف الجماعة في كلمة واحدة لفضل هذا على غيره ولقوله
صلى الله عليه وسلم من سب اصحابي فاجلدوه قال ومن قذف ام احدهم وهي كافرة حد حد الفرية
لانه سب له فان كان احد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له والا فمن قام من المسلمين كان
على الامام قبول قيامه قال وليس هذا كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم عليه السلام ولو
سمعه الامام واشهد عليه كان ولي القيام به قال ومن سب غير عائشة من ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم ففيها قولان احدهما يقتل لانه سب النبي صلى الله عليه وسلم بسب حليلته والآخر انها كسائر
الصحابة يجلد حد المفتري قال وبالاول اقول وروى ابو مصعب عن مالك من انتسب الى بيت النبي
صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا وجيعا ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لانه استخفاف بحق النبي
صلى الله عليه وسلم وافتى ابو المطرف الشعبي فقيه مالقة في رجل انكر تحليف امراة بالليل وقال
لو كانت بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنها ما حلفت الا بالنهار وصوب قوله بعض المتسمين بالفقه
فقال ابو المطرف ذكر هذا لابنة ابي بكر في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل
والفقيه الذي صوب قوله هو احق باسم الفسق من اسم الفقه فيتقدم اليه في ذلك ويزجر ولا تقبل
فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله تعالى وقال ابو عمران في رجل
قال لو شهد علي ابو بكر الصديق ان كان اراد ان في مثل هذا لا يجوز فيه الشاهد الواحد فلا شيء وان كان
اراد غير هذا فيضرب ضربا يبلغ به حد الموت قال القاضي ابو الفضل رحمه الله هنا انتهى القول
بنا فيما حررناه وانتجز الغرض الذي انتحيناه واستوفي الشرط الذي شرطناه مما ارجو ان
يكون في كل قسم منه للمريد مقنع وفي كل باب منهج الى بغيته ومنزع وقد سفرت فيه عن نكت
تستغرب وتستبدع وكرعت في مشارب من التحقيق لم يورد لها قبل في اكثر التصانيف
مشرع واودعته غير ما فصل وددت لو وجدت من بسط قبلي الكلام فيه او مقتديا يفيدنيه
او كتابه او فيه لاكتفي بما ارويه عن ما ارويه او مقتديه والى الله تعالى جزيل الضراعة
في المنة في قبول ما منه لوجهه والعفو عما تخلله من تزين وتصنع لغيره وان يهب لنا ذلك

بجميل جوده وعفوه لما اودعناه من نثره ومصحفه، وامير وجيبه واسهرنا فيه جفوننا
لتتبع فضائله، واعملنا فيه خواطرنا من ابراز خصائصه ومسائله، ونجى امر اصطناع من ناوءه
الموقف لحسابنا الى يوم عرضه، ويجعلنا ممن لا يعاد اذا ذيد المبطلون عن حوضه، ويجعله لنا ولمن
نفع باكتتابه واكتسابه سببا يصلنا باسبابه، وذخيرة نجدها يوم تجد كل نفس
ما عملت من خير محضرا في دار بقائه وجزيل ثوابه، ويختمنا بخير خاتمة فيحيينا عند
ويحشرنا في الرعيل الاول اولي الالباب الذين من اهل الشفاعة عنده، ونحمده تعالى على ما من به
من جعله والتيسير وبلغ التيسير لنا في كتابه ما اودعناه، ونستعيذ به جل اسمه
من علم لا ينفع، وعمل لا يرفع، وقلب لا يخشع، وهو الجواد الذي لا يخيب من امله
ولا يقنط من جوده ولا يرد دعوة الداعين ولا يضيع عمل العاملين، وهو حسبنا
ونعم الوكيل، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ورسول رب العالمين
وامام المرسلين وسيد الناس اجمعين وعلى آله واصحابه وازواجه وذريته
وانصاره واصهاره اجمعين، وسلم تسليما كثيرا اجمعين امين.